
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي





فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثاني ـ المجلد الواحد والستون

١٤٣٥هـ . ٢٠١٤م



(شروط النشر وضوابطه)

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦- لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .

٧- لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨- لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .

٩- لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .

١٠- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشر مستلات من بحثه ومكافأة تقديرية على وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

محتويـــات

الجزء الثاني / المجلد الواحد والستون

اللغة العربية وتحديات العولمة (*)

الدكتور أحمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

لا يستطيع الانسان المعاصر أن يتابع الحركات التي تظهر بين حين وآخر ، ففي مطلع كل عقد من الزمان تظهر حركة تدعو الى اتجاه معين يخدم مصالح الداعين اليه ، ومن تلك الحركات (العولمة) التي دعت في أول أمرها الى توحيد الاقتصاد العالمي وإنشاء شركات متعددة الجنسية ، ثم التفتت الى الثقافة وما يتصل بها من لغة ، لتجعل العالم يدور في ثقافة مرسومة ولغة معنومة تحقق أهداف القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .

وهذه الورقة تلقي الضوء على العولمة وتحدياتها لغة القرآن الكريم ، ومخاطرها على الثقافة العربية ، ورأيت إعادة نشرها لأن خطرها لا يزال يهدد ، وان بعضهم ما يزال بها مخدوعا .

(*) ألقي ونوقش في مجمع اللغة العربية في القاهرة يوم السبت ٢٩/٣/ ٢٠١٤م – ٢٨ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ .

(١)

تظهر بين حين وآخر دعوات في ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، فمن دعوة الى اللهجات المحكية وتغيير الحرف العربي ، ودعوة الى الشرق أوسطية واندماج العرب ، بغيرهم ، ودعوة الى ثقافة حوض البحر الابيض المتوسط ، وغير ذلك من الدعوات التي تسعى الى إذابة الامة العربية وعقيدتها ولغتها في أتون الدول الداعية الى مثل ذلك لتستحوذ على مواردها الطبيعية ، وتعطل طاقتها الانتاجية والابداعية ، وتمحق حضارتها ، وتزعزع لغتها التي نزل بها القرآن الكريم على النبي العربي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وتذّر العولمة اليوم بقرنيها في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، فرحب بها قوم وروّجوا لها ، ونأى عنها قوم وكشفوا زيفها ومراميها .

(٢)

لقد تفاوت الباحثون في تسمياتها فسماها بعضهم ((العولمة)) وهي ترجمة globalization وسماها بعضهم ((الكوكبة)) و ((الكونية)) لتنال القبول بعد أن مقتها المؤمنون بعقيدتهم السمحة وأمتهم الخالدة .

ولا يخفى ما وراء العولمة من أهداف خططت لها الرأسمالية العالمية والصهيونية ، ورسمت معالمها ، وهي خطوات يُفضي بعضها الى بعض حتى اذا ما اكتملت الخطوات ضاقت الحلقة وأصبحت طوقا لا يمكن تحطيمه إلا بشِقّ الأنفس والنضال المرير .

لقد طرحت العولمة أول ما طرحت القضايا الاقتصادية.لما للاقتصاد في حياة الشعوب من أهمية بالغة وأثر كبير ، ولا سيما الدول النامية التي يرزح معظمها تحت نير الفقر والحرمان .

ودعت الى اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات والقوى العاملة ، وتأسيس الشركات الكبرى المتعددة الجنسية لتحكم قبضتها على التجارة العالمية ، وتعلي شأن الاقتصاد الدولي الذي يمكن أن يقوم بالتعاون بين الدول على أساس المصالح المشتركة ، لا الدمج الذي يسلب الدولة خططها التنموية ومشاريعها الاستثمارية .

ورحّب بعض أصحاب المال في الوطن العربي بها ، وظنوا أن أرباحهم ستزيد وأن شركاتهم ستتسع ، ونسوا أن اندماجهم هذا يفقدهم حريتهم وقد يؤدي بهم الى الافلاس اذا ما تركوا مقاليد أمورهم للشركات الرأسمالية التي هي كالسمكة الكبيرة التي تبتلع الاسماك الصغيرة ، ومن قبل قال الشاعر :

إن مَنْ كان ضعيفا   أكلتــه الأقويـــاء

وتبنت العولمة شعار ((الانسانية)) و((الاسرة العالمية الواحدة)) لقيام مجتمع جديد تذوب فيه الفوارق القومية والوطنية والدينية أي جعل العالم واحدا لتسود فيه العدالة والمساواة والإخاء . وظن بعضهم أن هذا لن يتحقق إلا في ظل ((العولمة)) مع أن الديانات السماوية والقوانين الوضعية أكدت هذا الجانب وجعلت المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات .

لقد كَرَّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ الانسان وقال : ((ولقد كَرَّمنا بني آدمَ وحَمَلْناهم في البرّ والبحْرِ ورزقناهم من الطَّيباتِ وفضَّلْناهم على كثيرٍ مِمَّنْ خلقْنا تَفضيلا)) (الاسراء ٧٠) .

وجعل الانسان خليفةً في الارض ليحيا حياة حرة كريمة فقال عَزَّ مِنْ قائل : ((يا أيها النـاسُ إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائِلَ لتعارَفوا إن أكرَمكُم عند الله أتقاكم)) (الحجرات ١٣) ، ولم يجعلهم شعبا واحدا لئلا تتعطل القدرات وتتحكم فيهم قوى العدوان ، وتعسف الحكام .

من هنا كانت البداية وهي بداية تُفضي الى خطوات أخرى :

اولا : سيطرة القطب الواحد على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

ثانيا : القضاء على الوطنية والقومية ، لأن دعاة العولمة يريدون مجتمعا موحدا تكون السيطرة لهم عليه ، ومعنى هذا أن الدولة التي تتبنى العولمة تفقد سيادتها ، وتكون تابعا يدور في فلك الرأسمالية العالمية وشركاتها الاحتكارية . وتذوب الشخصية القومية في الأممية التي نادت بها الشيوعية من قبل ، وما دعت اليه الماسونية من الانسانية والإخاء .

ثالثا : مسخ الثقافات القومية وسيطرة ثقافة العولمة ، وبذلك تفقد الأمة هويتها الثقافية التي تنبع من واقعها ، على أن تنتفع بالثقافات الاخرى التي لاتتقاطع مع ثقافتها وتوجهاتها الفكرية ، لتظل أمة متميزة كما تميزت في ظل الاسلام .

رابعا : السيطرة على وسائل الاعلام والترويج للعولمة ، وقد نشطت الفضائيات في السنوات الاخيرة نشاطا كبيرا لشرح العولمة وما تجنيه الشعوب منها اقتصاديا وثقافيا وعلمياً .

ولا يعني التصدي للعولمة الانغلاق على ثقافات الامم والشعوب الاخرى ، لأن العولمة شيء والعالمية شيء آخر ، كما لا ينفي تعزيز الحوار بين الحضارات .

ان العولمة تهدد العرب والمسلمين ، حين تدعو الى الغاء الكيانات القومية والوطنية ، ومحو خصوصيات الامم والشعوب وشل طاقات الابداع وتعطيل القدرات العلمية لتظل الشعوب تحت سيطرتها تستهلك منتوجاتها بعد أن تغرق الاسواق ببضائع الشركات الكبرى التي لا تنافسها الصناعات الوطنية .

وتحقق ذلك بنشر الثقافة التي تمهد السبيل بوسائل اعلامها المختلفة ولا سيما القنوات الفضائية التي أخذت تدخل البيوت .

ان الثقافة مهمة ولكن الثقافة التي تروج لها العولمة ليست ما يضمن استقلال الشعوب الثقافي ، وانما ما يحقق أهدافها وتتبع في ذلك وسائل منها:

أولا : نشر الثقافة الموجهة لخدمة العولمة .

ثانيا : التشكيك بالثقافات القومية والوطنية ووصفها بالتخلف .

ثالثا : التشكيك بالعقيدة الدينية والدعوة الى وحدة الأديان ليعيش العالم في أمن وسلام .

رابعا : تشويه التقاليد والأعراف الاجتماعية ونشر أعراف في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب .

خامسا : التشكيك بقدرة اللغات القومية والوطنية وانكار دورها في استيعاب الحضارة الجديدة والتقدم العلمي الحديث .

سادسا : نشر اللغة الاجنبية بتقديم الجوائز وتكريم الناطقين بها لتحل محلَّ اللغات القومية .

سابعا : اشاعة العامية وجعلها لغة الآداب والعلوم والفنون لانها لغة الشعوب المنطوقة . وهذا ما حاوله المستشرقون منذ مطلع القرن العشرين أمثال : ولهم سبيتا ، وكارلو لندبرج (عمر السويدي) ، وكارل فولرس ، وولكوكس ، وسلدن ولمور ، وغيرهم من المنسوبين الى الارض العربية ، الذين قالوا ان الوطن العربي لن يتقدم ويزدهر ويلحق بالركب العالمي مادام يستعمل لغة القرآن الكريم ، والخير كل الخير في هجرها والأخذ بالعالمية .

ولم تُؤتِ هذه الدعوة ثمرتها لان المخلصين من العرب والمسلمين وقفوا بوجه هذا التيار المريب وسقط القناع عن الوجوه الحاقدة ، ولم تصب القرآن الكريم ولغته المعجزة بشيء ، لأنه كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ ((إنا نحن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وإنا له لحافظون)) (الحجر ٩) .

(٣)

ولكن هل انتهت الحملة الظالمة على لغة الذكر الحكيم ؟ إن أعداء الأمة ما يزالون يتربصون بها الدوائر ، ولا يزال الذين في قلوبهم مرض يتحينون الفرص للقضاء على اللغة التي وحدت العرب وجمعت المسلمين على الخير والهدى وهم يقرأون القرآن الكريم صباح مساء .

وجاءت الفرصة في الاعوام الاخيرة ، واذا بدعاة العولمة يتنادون في كل واد ، واذا بهم يزينونها ويسيرون بخطى متتابعة بدأت بالاقتصاد والسياسة وثنّت بما يتبعها من ثقافة وعاؤها اللغة ، وقالوا ان الثقافة التي يدعون اليها لن تثمر اذا عبر عنها بالعربية ، لانها لغة ثقافة تخطاها العصر .

وصدّق هذا المخدوعون بسياسة القطب الواحد وأيدوه أما الذين ((صدقوا ما عاهدوا الله عليه)) فلن يلينوا ، وسيظلون سدا منيعا يصد تحديات العولمة وهم معتصمون بحبل الله وكتابه العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين ، وكان معجزة كبرى تحدى الله به الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

ان الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتنميتها لتستوعب المستجدات واجب كل عربي ومسلم ، ولا يكفي الاعتزاز بها فحسب ، وانما لابد من عمل مثمر متواصل ، ويتم ذلك بوسائل منها :

أولا : نشر الوعي اللغوي بوسائل الاعلام المختلفة ، وطبع الكتب والكراسات التي تبرز منزلة اللغة العربية وموقعها بين لغات العالم ، وأثرها في وحدة العرب وجمع المؤمنين .

ثانيا : اعادة النظر في مناهج تدريسها وتطبيق الطرائق الحديثة في تأليف الكتب وتدريسها .

ثالثا : تعريب التعليم في جميع مراحله ، لأن تلقي العلم باللغة الأم غير تلقيه بلغة أجنبية .

رابعا : مشاركة المجامع العربية واتحادها مشاركة فعالة في العناية باللغة العربية وتوحيد المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية .

خامسا : عقد المؤتمرات القومية والقطرية للوقوف على مسيرة تدريس اللغة العربية ، وتقديم المقترحات التي تحقق ازدهار العربية لتواكب العصر ، وتستوعب المستجدات .

سادسا : اصدار تشريع يصون اللغة العربية كما فعل العراق حينما أصدر سنة ١٩٧٧ ((قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية)) الذي ألزم ((الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية ، وشبه الرسمية ، والمؤسسات ، والمصالح ، والشركات العامة ، وكذالك الجمعيات ، والنقابات ، والمنظمات الشعبية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية ، واعتمادها في وثائقها ، ومعاملاتها ، وكذلك بجعل اللغة العربية وافية بأغراضها القومية والحضارية)) .

ويتجلى ذلك في :

أولا : التدريس باللغة العربية .

ثانيا : العناية بلغة الكتب ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات .

ثالثا : الابتعاد عن العامية في الكتابة ، والسعي الى تقريبها من العربية الفصيحة .

رابعا : أن يحرر باللغة العربية :

١- الوثائق ، والمذكرات ، والمكاتبات ، وغيرها من المحررات التي تقدم الى الدوائر الرسمية ، وشبه الرسمية .

٢- السجلات ، والمحاضر ، وغيرها من المحررات التي يكون لممثلي الحكومة ، والمؤسسات الاطلاع عليها ، وتفتيشها .

٣- العقود ، والايصالات ، والمكاتبات المتبادلة بين المؤسسات ، أو الجمعيات ، أو الشركات العامة ، أو بينها وبين الافراد .

٤- اللافتات التي تضعها المؤسسات ، والمنظمات ، والجمعيات ، والمحلات التجارية أو الصناعية على واجهات محالها .

خامسا : كتابة البيانات التجارية المتعلقة بأي سلعة تم انتاجها بالقطر العراقي بالعربية .

سادسا : تجنب استعمال المصطلحات الاجنبية إلا عند الضرورة ، ونص القانون – فيما يخص هذه الفقرة – على أن المجمع العلمي هو ((المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الاجهزة المعنية الرجوع اليه بشأنها)) .

ولتنفيذ القانون صدر سنة ١٩٨٣م ((قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية)) الذي نص على أن الهيئة تسعى الى تحقيق ما يأتي :

أولا : العناية باللغة العربية من جميع الوجوه بوصفها اللغة القومية للأمة العربية التي هي في مقدمة اللغات المستقلة الحية المتطورة المنتشرة على النطاق العالمي .

ثانيا : تيسير استعمال اللغة العربية لتعميم الاستفادة منها في الاغراض كافة ، وفي الشؤون العلمية بوجه خاص .

ثالثا : المحافظة على أصالة اللغة العربية ، وجوهرها ، وسلامتها من الاخطاء ، وخلوها من الألفاظ العامية والاجنبية .

وشرعت الوزارات ، والمؤسسات الثقافية ، والمراكز العلمية ، ووسائل الاعلام بتنفيذ القانون ، وبدأت الالفاظ الاجنبية ، والعلامات الصناعية ، والاسماء التجارية ، وأسماء الشركات والمحال تتغير ، وأخذ أصحاب المصالح يراجعون المجمع العلمي لاستحصال الموافقات على الاسماء والألفاظ التي يرغبون في استعمالها ، لأن الدوائر المختصة بشؤون قضاياهم لا تعطيهم اجازة إلا بعد موافقته الرسمية . وهذا ما يبشر بالخير ، حيث الوعي بأهمية اللغة العربية يزداد يوما بعد يوم ، وحيث الاعتزاز بها ، لأنها رمز استقلال الامة ، والحفاظ على هويتها فضلا عن أنها لغة الكتاب العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين .

ان اصدار القوانين في الاقطار العربية للحفاظ على سلامة لغة الضاد ، وتشكيل هيئات قطرية تنفذ تلك القوانين لأمر ضروري في هذا الزمن الذي تتعرض فيه لغة القرآن الكريم ، للهجمات في السر والعلن ،

وآخرها (العولمة) التي تحاول الهيمنة على العالم وتمحو ثقافات الشعوب الوطنية ، وتُحجِّم لغاتها القومية للوصول الى سيطرة لغة القطب الواحد .

لقد أدرك العراق مخاطر دعوات التضليل ، ولذلك شَرَّع قانونا يحمي اللغة العربية التي تعد من اللغات العالمية على مستوى هيئة الامم ، وعلى مستوى شعوب العالم ، ولا سيما المسلمون الذين يقرأون بها كتابهم العزيز ، ويؤدون بها الصلاة ، ويتواصلون بالعالم العربي وما لديه من حضارة عريقة ، وثقافة أصيلة ، وايمان عميق بقَدَرِه ووجوده ، وهو يصارع الاستعمار والتبعية ، ويصد العدوان ، ويبني حاضرا مزدهرا ، ويستشرف مستقبلا ترفرف عليه راية الامن والسلام .

إن الامم والشعوب تناضل نضالا مشهودا للحفاظ على لغاتها الوطنية ، وهوياتها القومية ، واستقلالها الذي لا يتم إلا بلغتها التي يرتبط بها أبناؤها ارتباطا وثيقا ، لأن اللغة هي القومية ، والقومية هي اللغة التي تكسبها الوجود .

وما الفرنكفونية التي تنادي بها فرنسة إلا مثل واضح على أهمية اللغة التي هي وسيلة نشر ثقافتها ، وقد أصدرت القوانين التي تحافظ على سلامة الفرنسية ، والعناية بألفاظها ، وتعويض الكلمات الاجنبية بأخرى فرنسية في المجالات المختلفة ، وهي تسعى بكل الوسائل الى نشرها ، وتقيم المؤسسات والهيئات واللجان العليا للدفاع عنها ، ومن أبرزها ((المنظمة الدولية للفرنكفونية)) التي نشطت في السنوات الاخيرة نشاطا ملحوظا من خلال أمانتها العامة التي تعقد المؤتمرات ، ومنها المؤتمر الذي عقد في باريس في أيار ٢٠٠٠م وحضره ممثلون من عدة أقطار ، وقدمت فيه

دراسات رصدت ((واقع حضور الثقافة الناطقة بالفرنسية في العالم العربي ، والثقافة الناطقة بالعربية في العالم الفرنكفوني)) ، وتعرضت للوسائل ((الكفيلة بتعزيز حضور الثقافة العربية ونشرها في العالم الفرنكفوني ، والثقافة الناطقة بالفرنسية في العالم العربي)) وغير ذلك من الدراسات التي تعزز اللغة الفرنسية وثقافتها .

والخيركل الخير أن ينشئ العرب منظمة تُعنى باللغة العربية وتنشرها ، وهي اللغة التي نطقت بها ألسنة الملايين في مشارق الارض ومغاربها ، واستوعبت العلوم والآداب والفنون ، لما فيها من ألفاظ كثيرة ، وأساليب متنوعة ، وقدرة على النماء . وإذا كان الله – سبحانه وتعالى – قد حفظها في كتابه العزيز وقال : ((إن علينا جَمْعَهُ وقرآنه)) (القيامة ١٧) فلا يعني التواكل ، لأنها ستظل مهددة من أعداء الله والامة ، كل عقد من الزمان تظهر بدعة ، وأحدثها ((العولمة)) التي تنفذ ما يخطط لها القطب الواحد . ولا يكفي أن تكون في (الوطن العربي) مجامع علمية ولغوية واتحاد يجمعها ، وإنما ينبغي أن تقوم ((منظمة دولية للغة العربية)) تضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وتنميتها ، ونشرها في العالم ، وأن يكون لها سلطان ونفوذ لتحقق أهدافها ، وبغير هذا لن يكون لها دور فاعل ، ولن يكتب لها النجاح في زمن كثرت فيه الاتجاهات ، وتصارعت الآراء ، وأصبح المؤمن بعقيدته وأمته كالقابض على الجمر في عالم يمور بكل عجيب غريب .

الرعاية الصحية والبدنية للأطفال
في التراث الطبي العربي والإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد
طبيب أطفال . الموصل . العراق

الدكتور عامر عزيز جواد
اختصاص / فسيولوجيا التدريب الرياضي
معهد إعداد المعلمين – الانبار – العراق

الملخص :

أهداف البحث : الكشف عن فضل كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم) والسنة النبوية المطهرة في رعاية الطفل ، وأهم القواعد العلمية والطبية وإسهامات الأطباء والعلماء العرب والمسلمين في الرعاية الصحية و البدنية للأطفال . وتضمن البحث المحاور الآتية :

المحور الأول / رعاية الطفل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
المحور الثاني / رعاية الجنين (رعاية الأم الحامل)
المحور الثالث/ الرعاية الصحية والبدنية بالطفل الوليد في مرحلة الرضاعة وتشمل :-

١/ تغذية الطفل الولي أ/ حليب الأم ، ب/ الحليب الإضافي للمولود . ج/ الغذاء الإضافي والفطام

٢/ الرعاية البدنية للطفل الوليد :-

٣/ أمراض الطفل الوليد (أسبابها وعلاجها) :-

٤/ بكاء الطفل والعناية به من الناحية النفسية (السيكولوجية) :-

٥/ تطور حركات الطفل الوليد :-

المحور الرابع / الرعاية الصحية والبدنية بالطفل في مرحلة ما قبل المدرسة (٣ – ٦ سنوات) . وشمل

أولا / الرعاية الصحية للطفل : ذكر فيها أشهر الأمراض التي تصيب الأطفال وطرق علاجها في هذا العمر والتي ذكرها العلماء العرب والمسلمون .

ثانيا / الناحية العلاجية الخاصة بالأطفال

ثالثا / الرعاية البدنية للأطفال

المحور الخامس / الرعاية الصحية والبدنية بالطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية (٧ – ١٢ سنوات)

أولا / أمراض الأطفال وعلاجاتها

ثانيا / العلاج الطبيعي للأطفال

ثالثا / الرعاية البدنية للأطفال

استنتاجات البحث : إن الاهتمام برعاية الأطفال ضرورة لتحضر الشعوب والمجتمعات ورقيها ، فضلا عن كونها مطلبا إنسانيا أساسيا . وكلما تقدم المجتمع وازداد تحضرا ازداد اهتمامه بالأطفال وازدادت أوجه الرعاية التي يقدمها لأطفاله ، ولهذا ومن خلال البحث استنتج الباحثان ما يأتي :-

١/ يؤكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، الحقوق الإنسانية الملزمة للمسلمين في رعاية الطفل . ولا شك في أن هذه الآيات والأحاديث كانت مصدرا لكثير من الآراء العلمية والأبحاث الطبية والنفسية والتربوية قديما وحديثا . وقد اعتنى الدين الإسلامي بالأطفال وسن لهم الحقوق التي يجب توفيرها لتنشئتهم تنشئة سليمة .

٢/ إن دارس كتابات الأطباء العرب والمسلمين يخرج بنتيجة وهي انهم سلكوا الأسلوب العلمي الصحيح ، في تناول أمراض الأطفال . وان تراث عبقريات الأطباء العرب والمسلمين لا تزال تؤلف أجزاء أساسية من معارف طب الأطفال الحديث .

٣/ إن الرعاية البدنية أمر ضروري حث عليه الدين الإسلامي . وجعل من حقوق الطفل على والديه الاهتمام برعايته بدنيا وجسميا ، واهتم علماء العرب والمسلمين بالتربية الرياضية التي شرعها الإسلام ، والتي تنشط العضلات وتقوي الجسم وتنمي الإرادة والاعتماد على النفس .

المقدمة :

لقد أكد الكثير من البحوث والدراسات الحديثة أهمية الرعاية الصحية والبدنية للأطفال ، في السنوات الأولى من عمر الإنسان ، إذ تعد مرحلة الطفولة من المراحل المهمة جدا ، فهي الأساس لما بعدها من المراحل ، وتقوم بدور مهم في تشكيل شخصية الطفل وتكوين اتجاهاته وميوله ونظرته للحياة . وهي مجال إعداد وتدريب للطفل للقيام بالدور المطلوب منه في المستقبل . " ولما كانت وظيفة الإنسان هي اكبر وظيفة ودوره في الأرض هو اكبر وأضخم ، اقتضت طفولته مدة أطول ، لتحسين إعداده وتربيته في المستقبل ، ومن هذا كانت حاجة الطفل شديدة لملازمة أبويه في هذه المرحلة من مراحل تكوينه " [1].

وتتصدر مرحلة الطفولة الأولوية القصوى في برامج التنمية في معظم بلدان العالم ، وما نلمسه من تقدم وتطور علمي واقتصادي وتربوي ينعكس على أطفالنا اليوم . ولقد لاحظ العلماء أن الطفولة تطول كلما تقدم الكائن الحي في سلم الرقي ، فطفولة الحيوانات الثديية أطول من طفولة الطيور ، وطفولة الإنسان أطول من أي كائن حي آخر . ويكون عند الولادة اعجز من أي طفل لكائن حي آخر ، وتتطلب تربيته والعناية به جهدا كبيرا وخاصا يتناسب مع وضعه ونموه ، ولأنها مرحلة إعداد للمستقبل .

---

(١) سهام مهدي جبار ؛ الطفل في الشريعة ومنهج التربية النبوية ، ط١ (بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٧) ص٨٦ .

" والطفل وحدة واحدة ، مكونة من جسم وعقل وروح ، وهذه الوحدة تنمو بشكل مطرد ومترابط ، والعناية بأحد جوانب هذه الوحدة يؤثر تأثيرا مباشرا في جوانبها الأخرى "[٢] ." والواقع أن الطفولة البشرية تمتد سنوات لا تقل عن اثنتي عشرة سنة ، كما أن الطفولة البشرية تزداد بازدياد التقدم البشري "[٣] .

" والطفل في اللغة هو الولد الصغير من الإنسان حتى يميز فيسمى (صبيا) والعرب تستعمل اللفظين لمعنى واحد . والولد يطلق على الذكر والأنثى والفرد والجمع"[٤].

ويمكن تلخيص هدف الرعاية البدنية للأطفال بأنها تنمية الجسد وتوجيهه باتجاه الصحة والقوة ، وتساعد على رفع مستوى الوظائف الفكرية ، نظرا للعلاقة بين الجسد والنشاط الفكري ، وتحسين التكيف الاجتماعي ، إذ تنمو العادات الحسنة من خلال الألعاب الفردية والجماعية وتمرينات الجرأة التي تنمي الشجاعة والعزم .

ولقد شغلت رعاية الأطفال وتربيتهم تفكير العلماء العرب والمسلمين وجهدهم ، الذين جعلوا من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الكريم (ص) ، دليلا لأبحاثهم وعملهم ، فقدموا للبشرية حصيلة أفكارهم ومبادئهم مكتوبةً على صفحات مؤلفاتهم ومترجمة إلى لغات العالم المختلفة ، وهي تدرس في

---

(٢) عائشة عبد الرحمن جلال ؛ المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها (جدة ، دار المجتمع ، ١٩٩١) ص١٨٣ .

(٣) فاخر كامل ؛ معالم التربية – دراسات في التربية العامة والتربية العربية (بيروت ، دار العلم ، ١٩٨٣) ص١٦ .

(٤) مصطفى جواد ؛ الطفل عند العرب ، بحث منشور (بغداد ، المؤتمر القطري للطفولة ، ١٩٧٩) ص٤ .

أرقى الجامعات والمعاهد الدولية ، وأصبحت حجر الأساس للدراسات النظرية الحديثة . وعرف العلماء العرب والمسلمون أن العناية الصحية للإنسان تشمل العناية بالإنسان السليم والعناية للإنسان المريض ، وأطلقوا على الأولى حفظ الصحة ، وعلى الثانية إعادة الصحة ، وقدموا حفظ الصحة على إعادتها ، فقالوا : إن حفظ صحة الشيء الموجود اجل من طلب الشيء المفقود .

وتكمن أهمية البحث الذي نقدمه ، بأنه احد البحوث في سلسلة (**) نسعى من خلالها لنشر ما يتعلق بالحضارة الإسلامية ، ومدى إغفال مراجع تاريخ الطب للحضارة الإسلامية عامة . واعتماد النهضة الأوربية في علومها الفكرية والثقافية الطبية خاصةً على نتاج هذه الحضارة .

أهداف البحث :

١- الكشف عن فضل كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم) والسنة النبوية المطهرة ، على البشرية في إرساء القواعد السليمة في الرعاية الصحية والبدنية للأطفال .

(*) محمود الحاج قاسم و عامر عزيز جواد ؛ التمارين العلاجية (الرياضة الطبية) في التراث الإسلامي ، بحث منشور ، المجلد التاسع والخمسون ، الجزء الثاني (بغداد ، مجلة المجمع العلمي ، ٢٠١٢)

(*) محمود الحاج قاسم و عامر عزيز جواد ؛ التغذية العلاجية في التراث الطبي العربي والإسلامي ، بحث منشور ، المجلد الستون ، الجزء الثاني (بغداد ، مجلة المجمع العلمي ، ٢٥١٣) .

٢- الكشف عن أهم القواعد العلمية والطبية المبنية على التجربة والممارسة العلمية الدقيقة ، التي سطرها أشهر أطباء العرب والمسلمين في الرعاية الصحية للأطفال .

٣- الكشف عن إسهامات بعض علماء العرب والمسلمين في الرعاية البدنية للأطفال . وهي تمثل أمثلة للرعاية الإسلامية في مختلف العصور الإسلامية .

وفي محاولتنا المتواضعة هذه سعينا إلى وضع الماضي في خدمة الحاضر والمستقبل ، وبغية الاستفادة من تراث أجدادنا في رعاية أطفالنا ، وسيرا على خطى السلف الصالح في التمسك بالفكر الإسلامي ليقودنا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا . استخدم الباحثان المنهج التاريخي وفق عدة محاور واستعرضا من خلالها كل طور من أطوار الطفولة ، حسب التقسيم الحديث لها . إلا أن أيراد التقسيم على هذا الشكل لا يعني أن هناك فواصل ضرورة بين كل مرحلة ، ولكنه يشير بالدرجة الأولى إلى طبيعة كلا منها ، إذ تكون الرعاية الصحية والبدنية والتربوية مراعيةً لها .

المحور الأول / رعاية الطفل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة :

قال تعالى في محكم كتابه الكريم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ...) (الحج:٥) . وقال تعالى (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور:٥٩) . وقال تعلى (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ

ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (غافر:٦٧) .

واقسم سبحانه وتعالى بالولد في قوله (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) (البلد١ :٣) . وجعل الأطفال قرة أعين ، إذ قال تعالى (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان:٧٤) . وجعلهم زينة الحياة ، في قوله تعالى (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) (الكهف :٤٦) . وعدهم القوة ، في قوله تعالى (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) (الإسراء :٦) . ووصى سبحانه وتعالى المؤمنين بهم في قوله تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) (النساء :١١) . وجاء في كتاب الله العزيز ، وجوب الدعاء من الوالدين لأولادهم بكل خصال الخير ، تواردت به سنة المؤمنين على مختلف الرسالات النبوية ، فهذا نبي الله " إبراهيم " (عليه السلام) في قوله تعالى (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) (إبراهيم:٤٠) . وهذا نبي الله " زكريا" (عليه السلام) في قوله تعالى (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران:٣٨) . ودعاء المؤمن ، في قوله تعالى (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) (إبراهيم:٤٠) . وقال تعالى (... وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (الاحقاف:١٥) . ويجعل سبحانه وتعالى ولادة الأبناء بشرى إذ قال (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) (الصافات:١٠١) . وقال تعالى (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ

سَمِيًّا) (مريم:٧) . وقوله سبحانه وتعالى (فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) (آل عمران : ٣٩) .

وجعل سبحانه وتعالى الرزق مقرونا بالحفاظ على الأبناء ، كما في قوله تعالى (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) (الإسراء :٣١) ، وعن حق الطفل في الرضاعة والنفقة عليه ، قال تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ...) (البقرة :٢٣٣) وعن حق الطفل في الوراثة ، قال تعالى (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء :١١)

والأسرة في نظر الإسلام هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الأطفال ورعايتهم وتنمية أجسامهم وعقولهم وأرواحهم ، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل ، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة . وتأكيدا لهذا كله ، نجده قد وضع ضمانات وضوابط لإنشاء الأسرة المسلمة

فتنة في الأرض وفساد عريض][٧]. وأوصى أيضا بوجوب البحث عن المرآة التي مظنة الإنجاب . لتحقيق الغاية السامية ، إلا وهي النسل ، لضمان بقاء النوع البشري وكثرة المسلمين ، لان في كثرتهم نصرا على أعدائهم . قال(ﷺ) **[تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة]**[٨]. كما يشترط مع ذلك توفر السلامة البدنية والصحية لدى الزوجين ضمانا لسلامة الطفل المنتظر [٩].

وبما أن الدين الإسلامي اهتم بالطفولة وأولاها العناية العليا ، لذا فإن لابد في الأسرة المسلمة أن يستشعر كل من الأب والأم مسؤولياتهم المشتركة في رعاية الأبناء . لذلك كان الحفاظ عليهم ورعايتهم من الواجبات الأساسية ، على وفق قول الرسول (ﷺ) **[كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير راعٍ وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، والمرآة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول**

---

(٧) أخرجه الترمذي . ابن ماجه ، كتاب النكاح (برقم ١٩٦٧) – حدثنا قتيبة عن ابي هريرة ، الترمذي ، باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه (برقم ١٠٩٠) .

(٨) رواه احمد (برقم ٢٠٥٠) ، أخرجه ابن حبان وذكره الشافعي – فتح الباري ابن حجر ، كتاب النكاح – النسائي ، كتاب النكاح (برقم ١٣٢٥٢) – سنن البيهقي ، باب استحباب التزوج بالودود الولود (برقم ٤٠٢٨ ابن حبان) – مستدرك الحاكم (برقم ٢٦٨٥) .

(٩) محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ط٣(بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٩) ص ٤٠ – ٤١ .

عن رعيته] [10] . وعن أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) قال **(إن للولد على الوالد حقا وان للوالد على الولد حقا ، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه وتعالى ، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن)** [11].

ولقد أعطى النبي (ﷺ)المثل الأعلى للمؤمنين في حب الأطفال ، ومعاملتهم بالحسنى ، وتمثل ذلك بحبه للحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب (عليهم السلام جميعا) فقد قال النبي (ﷺ) [اللهم إني أحبهما فأحبهما ، ومن أحبهما فقد أحبني] [12]. وعن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال **(رأيت الحسن والحسين عليهما السلام على عاتقي النبي (ﷺ) فقلت ، نعم الفرس تحتكما)** فقال النبي (ص) [**ونعم الفارسان**] [13] . وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول [**الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا**] [14] .

---

(10) أخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن (برقم ٨٩٣) – صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الأمام العادل (برقم ١٨٢٩) .

(11) الموسوي ، أبو الحسن الرضا ؛ نهج البلاغة ، مركز الإشعاع الإسلامي ، ص ٥٤٦ . WWW. Islam ٤u .com

(12) صحيح البخاري ، ج٥ح٣٥٣٧ – الترمذي ، ج٥ح٣٧٨٢ ، وقال حسن صحيح .

(13) رواه أبو يعلى في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح – وانظر الزوائد للهيثمي ج٩ص١٨٢ .

(14) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام (رقم ٣٧٥٣) – كتاب المناقب ، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام (رقم ٣٧٧٠) .

وعن عبدا لله بن جعفر (ﷺ) قال (كان رسول الله (ﷺ)إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته وحمل (ص) الحسن والحسين (عليهما السلام) على عاتقيه (كتفيه) وقال (ص) [**نعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما**] [١٥]. ولقد كان النبي(ﷺ) قدوة المسلمين العليا في معاملة الأطفال ، وكان ارحم الناس بهم . فعن "يعلى بن مرة" (ﷺ) قال خرجنا مع النبي (ﷺ) ودعينا إلى طعام ، فإذا الحسين (ﷺ) يلعب في الطريق ، فأسرع النبي (ﷺ) أمام القوم ، ثم بسط يديه ، فجعل الغلام يفر هنا وهنا ، ويضاحكه النبي (ﷺ) حتى أخذه ، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم قال النبي (ﷺ) [**حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسينا ، الحسين سبط من الأسباط**][١٦] . وفي حديث " عبد الله بن شداد " عن أبيه (رضي الله عنهم) قال خرج علينا رسول الله (ﷺ) في إحدى صلاتي الظهر أو العصر ، وهو حامل الحسن والحسين (عليهما السلام) فتقدم النبي (ﷺ) فوضعهم ، ثم كبر للصلاة ، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها فقال : إني رفعت راسي فإذا الحسين (ﷺ)على ظهر رسول الله (ﷺ) وهو ساجد ، فرجعت في سجودي ، فلما قضى رسول الله (ﷺ) قال الناس ، يا رسول الله انك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة قد أطلتها ،

---

(١٥) أخرجه الطبراني ؛ المعجم الكبير ، ج٣ح٢٦٧٧ – وأخرجه الحاكم بلفظ (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما) وقال هذا حديث صحيح .

(١٦) صحيح البخاري ، الأدب المفرد ،؛ كتاب الأخلاق الفاضلة والآداب الحسنة ، باب معانقة الصبي ، ص ٤١٢ (برقم ٩٦٣) – السلسلة الصيحة (١٢٢٧) – الألباني (٢٧٩) (ومعنى سبط ، أي امة من الأمم في خير) .

فظننا انه قد حدث آمرا ، وانه قد يوحى إليك ، فقال النبي (ﷺ) [**فكل ذلك لم يكن ، ولكن ابني إرتحلني فكرهت أن أعجله ، حتى يقضي حاجته**][17] .

ولم يكن فعل النبي (ﷺ)مع ابني ابنته "فاطمة" (عليهما السلام) فقط ، بل كان ذلك فعله وديدنه (ﷺ) مع أبناء الصحابة (رضوان الله عليهم جميعا) ، فعن " انس " (ﷺ) (أن النبي (ﷺ) كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم)[18] .

كما اعتبرت الشريعة الإسلامية الأولاد من مصادر الخير والنفع للأبوين في الحياة وبعد الممات ، فقد قال رسول الله (ﷺ) [**إن العبد لترفع له الدرجة فيقول : أي ربي ، أنى لي هذا ؟ فيقول باستغفار ولدك لك من بعدك**][19] . وقال رسول الله (ﷺ) [**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوا له**][20].

---

(17) أخرجه النسائي في الكبرى (١/٢٤٣ برقم ٧٢٧) – وفي المجتبى (٢/٢٢٩برقم ١١٤١) – والبيهقي في الكبرى (٢/٢٦٣) – وابن عاصم ، في الآحاد والمثاني (٢/١٨٧– ١٨٨ رقم ٩٣٤) – واحمد (٣/٤٩٣) – والطبراني في الكبير (٧/٢٧٠ رقم ٧١٠٧)– وصححه الألباني في سنن النسائي (١/٣٧١ برقم ١١٤).

(18) صحيح ابن حيان ، ج١ ، باب الرحمة ، ذكر ما يستحب المرء استعمال التعطف على الصغار والأولاد ، (رقم الحديث ٤٥٩) ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٩) ، ص٢٤٢ .

(19) رواه حماد بن سلمه ، عن عاصم بن أبي صائح ، عن أبي هريرة (تحفة المودود بإحكام الوارد) ص ٦ .

(20) صحيح مسلم ؛ كتاب التوحيد ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (رقم ١٦٣١) ، حديث صحيح .

وعن الصحة والحفاظ عليها ورعايتها ، وهي من الحاجات الأساسية والواجبة على المسلم ، قال رسول الله (ﷺ) [**من أصبح منكم معافى في جسده ، أمنا في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا**][21].

والتفريط في رعاية الصحة الجسدية ، يؤدي إلى وقوع الضرر بالرعية ، فيؤثم ولي الأمر لقول النبي (ﷺ) [**من ضار اضر الله به**][22].

وحذر رسول الله (ﷺ) من الدعاء على الأولاد ، وذلك من رحمته بهم إذ قال (ص) [**لا تدعوا علا أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**][23].

ويقسَم (ﷺ) للمولود ميراثه بمجرد ولادته إذ قال [لا يرث الصبي حتى يستهل صارخا قال : واستهلاله ، أن يبكي ويصيح ، أو يعطس][24] .

ويجب إتباع سنن الدين الإسلامي في سنن الولادة ، من الآذان في أذن المولود اليمنى ، والإقامة في أذنه اليسرى ، والتحنيك ، وقص الشعر والتصدق بما يعادل وزن الشعر فضة ، ولإجتهاد في اختيار أحسن الأسماء لفلذات الأكباد ، وإطعام المساكين والفقراء من الصدقة والعقيقة ، تعبيرا عمليا عن الفرحة بنعمة الله عز وجل .

---

(٢١) رواه الترمذي وابن ماجه وسند حسنه الألباني .

(٢٢) رواه ابن ماجه بسند حسنه الألباني .

(٢٣) أخرجه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق (رقم ٥٣٢٨) .

(٢٤) صححه الألباني (برقم ٢٢٤٠) ـ بصحيح ابن ماجه – مجمع الزوائد للهيثمي ، ج٤ ، ص٢٢٥ .

المحور الثاني / رعاية الجنين (رعاية الأم الحامل) :

قال تعالى في كتابه العزيز (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (فاطر:١١) ، وقال تعالى (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ...) (فصلت:٤٧)

وعن خلق الإنسان وتكون الجنين قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاما فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْما ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون ١٤/١٣/١٢) . وقال تعالى (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ *يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الطارق٧/٦/٥) . وقال تعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعا بَصِيرا) (الانسان:٢) . وقال تعلى (... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (الزمر:٦)

ولقد نال الطفل في الشريعة الإسلامية كل الاهتمام ، وهو لم يزل في ضمير الغيب . قال تعالى (... وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) (النجم :٣٢) . ويقول الأطباء انه يطلق على الحَمل اسم الجنين ، بعد الشهر الرابع ، واتفق الأئمة العلماء المسلمين على أن اقل مدة يتكون فيها الحَمل ، ويولد حيا ستة أشهر ، وذلك نتيجة للجمع بين آيتين من (سورة الأحقاف ، وسورة البقرة) ، إذ قال تعالى (وَوَصَّيْنَا

الْأَنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْها وَوَضَعَتْهُ كُرْها وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرا ...) (الأحقاف :١٥) . وأخبر في سورة البقرة أن مدة تمام الرضاع ، حولين كاملين إذ قال تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ...) (البقرة :٢٣٣) . كما قال تعالى (وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (لقمان:١٤) . فإذا ذهب للفصال عاميين ، لم يتبقى للحمل إلا ستة أشهر . وقد اتفق الفقهاء كلهم على أن المرآة لا تلد لدون ستة أشهر ، إلا أن يكون سقطا .

ويقول " القرطبي" ((الجنين مادام في بطن أمه ، والجنين هو اسم للولد في بطن أمه . وهو مأخوذ من الأجنات وهو الستر ، لأنه أجنبه بطن أمه ، أي ستره))[٢٥] . ويقول "ابن النفيس"[٢٦] في فصل كامل عن تكون الجنين قوله((السّرة أول عضو يتم فيه تكونه ، وتجويف القلب أول عضو يحدث فيه المني ، لكن صلابة جرم القلب تمنع من سرعة تكوينه فلذلك تمام تكون السّرة يسبق تمام تكون القلب ، وتجويف القلب يسبق حدوث السّرة لأنها إنما تحث بعد احتياج الروح المحوية في تجويف القلب إلى نفوذ الهواء إليه)) وقوله ((الأطراف عند الضلوع وهيئة الجنين أن جالس على عقبه وعيناه على ظهر كفيه وهما على ركبيه ، وانفه بين ركبتيه فلذلك تكون يداه ورجلاه

---

(٢٥) القرطبي ، أبو عبدا لله محمد بن احمد ؛ الجامع لأحكام القرآن ، ج١٧ (لبنان ، دار الكتب) ص١١٠ .

(٢٦) ابن النفيس ، علاء الدين أبو الحسن ؛ شرح تشريح القانون (www. Kotobaraia.com) ص٩٠١-٩١٥ .

لاصقة بإضلاعه وبطنه ، وفي المدة المذكورة ينفصل عنها))وقوله ((والجنين تحيط به أغشية ثلاثة (المشيمة) وهذه المشيمة هي أول غشاء يحدث على المني . والثاني يسمى (بلاسي) وهو اللفايفي وينصب إليه بول الجنين ، وهذا الغشاء يحدث للجنين في الشهر الثاني وذلك لان الجنين يبول من سرته وملاقاة البول لبشرته يؤذيها فلذلك احتيج أن يخلق له هذا الغشاء ليحول بين البول وبين بشرته . والثالث يقال له (أنفس) وهو يمتص العرق ولما كانت الفضول تكثر في الجنين في الشهر الأول وجب أن يكون ما يندفع منها حينئذ أكثر والمندفع في البول أكثر لا محالة من المندفع من العرق)) وقوله في تصحيح مقولة " أبقراط" ((انه يحكى عن "أبقراط" انه قال : أول عضو يتكون هو الدماغ والعينان . وأقول أن الصواب أن يكون أول عضو ينخلق هو الكبد ، لا شك أن أول قوة تحدث في المني بعد القوة الحيوانية قوة الغذاء ، وهذا ما يلزمه أن يكون الكبد يتكون أولا ، ولأنها لا يتكون قبلها سوى القلب من الأعضاء ، وذلك لان القوى الطبيعية جميعها عندما تجذب الأعضاء بذواتها لا بإعطاء الكبد لها . والدم الذي يتغذى به الجنين ليس يلزم أن يكون متولدا في بدنه ، فضلا على أن يكون من الكبد ، بل ذلك الدم يأتي إليه من بدن الأم . فلذلك وجوب تقدم الكبد في التكوين لأجل إصلاح الدم الأتي إليه وان كانت متقدمة على الحاجة إلى الدماغ)) .

يؤكد "البلدي" في الباب السادس والسابع كون الرجل والمرأة (بمشيئة الله تعالى) مسؤولين عن صفات الطفل وجنسه ليس الرجل وحده لأنه يرث والديه وعن كيفية تكون الجنين وتصوره وتركيبه وخلقته يقول ((وتكون الجنين وخلقته يكون إذا اجتمع مني الرجل ومني المرأة في الرحم واختلطا

وامتزجا وصارا كالماء الواحد واستقرا واحتوى عليهما وانطبق فمه دونهما واختلطا واستحال بعضهما إلى بعض وصارا كالذات الواحدة والماء الفرد وأضاف كل شيء منهما إلى شبهه ومجانسه وصاحبه))[٢٧].

ويقول "المجوّسي" في ذلك ((إن الجنين إنما يتم بامتزاج مني الذكر بمني الأنثى ويتولد من المني في الغشاء عند المنافذ التي يجري فيها الدم إلى الجنين عروق وشرايين أفواهها متصلة بأفواه العروق والشرايين التي تصير إلى الرحم فيتصل العرق منها بفم العرق والشريان بفم الشريان))[٢٨].

ومرحلة تكون الجنين هي مرحلة ما قبل الولادة ، وتبدأ من الحَمل إلى الولادة ، ومدتها تسعة أشهر ، ولما كانت حياة كل فرد تبدأ منذ حمله في بطن أمه ، فإن مرحلة الحَمل تعد من الطفولة أيضا ، وتخضع هذه المرحلة للعناية والتربية ، كما تخضع لها حياة الطفل الحقيقية على وجه الأرض ، فقد ثبت أن الجنين يتأثر بالظروف التي تمر بها الأم من ناحية الضرر أو النفع ، وعل ضوء هذا التأثير تفسر الفروق بين الأخوة ، كما تشترك في تفسيرها عوامل الوراثة أيضا. وتقر التربية الحديثة ، أن رعاية الطفل تبدأ منذ أن يكون جنينا في بطن أمه عن طريق العناية بالأم ، وذلك من الناحية الجسمية والنفسية ، لان ما تتأثر بهِ الأم من أمراض أو إرهاق جسمي أو

---

(٢٧) البلدي ، احمد بن محمد : تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم ، تحقيق محمود الحاج قاسم (بغداد ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٠) ، ص ٣٤ .

(٢٨) المجوّسي : علي بن العباس : كامل الصناعة الطبية ، ج١ (القاهرة ، المطبعة الكبرى في الديار المصرية، ١٢٩٤هـ) ص ١١٧ .

انفعالات نفسية عنيفة واضطرابات شديدة ، تؤثر في الجنين تأثيرا جسميا ونفسيا [٢٩].

من الحقائق الثابتة علميا أن الاهتمام بالطفل والأم الحامل أمران متلازمان ، وذلك لأن الجنين خلال فترة الحَمل التي يتكامل فيها نموه يعتمد على جسم الأم اعتمادا كليا ، فهي تمده بعناصر النمو ومقومات التكوين ، فإن كانت سليمة متعافية كان جنينها صحيحا معافى ، وإن كانت سقيمة عليلة نما الجنين مريضا هزيلا ، إلاّ أن هذه ليست جديدة فقد عرفها الأطباء العرب والمسلمون ، حيث خصصوا جزءا لا بأس به من كتبهم للاهتمام بالأم الحامل ، ولأجل أن ينمو الجنين في بطن أمه بصورة طبيعية وحفاظا عليه من الإسقاط قدم الأطباء العرب والمسلمون للأم الحامل نصائح لا تزال في يومنا الحاضر أساسا متينا لحفظ صحة الحامل ويمكن إيجاز ما ذكروه بما يأتي :-

فعن العناية بالحامل حفظا للجنين يقول "القرطبي" [٣٠]عن الإسقاط ((... وذلك أن النطفة إنما يخشى عليها في أول علوقها إلى أربعين يوما ، فإذا جاوزت الأربعين الأولى خلصت بإذن الله من الآفات والإسقاط ...)) ((وإن عرض للمرأة وهي حامل ذبول ثديها بغتة فإنها تسقط لا محالة)) ((وأسباب الإسقاط كثيرة فربما كان من امتلاء أو من جزع ، أو من ضعف

---

(٢٩) حسن ملا عثمان : الطفولة في الإسلام – مكانتها وأسس تربية الطفل (الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٢) ص٨١ .

(٣٠) القرطبي ، عريب بن سعد الكاتب : خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين (الجزائر ، مكتبة فراريس ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) ص ٢٣ – ٤٥ .

الرحم ورباطها أو من كيموس لزج ثبت في الرحم فيعرض منه زلق النطفة)) . ((وقد يندفع الدم من بعض الحوامل من غير إسقاط .... والتي يعرض لها هذا العارض يضعف جنينها ويقل غذاؤه)) . إن ما سبق ذكره من أقوال "القرطبي" لا تختلف كثيرا عما يؤكده الطب الحديث ، وهو لا يكتفي بذكر ذلك بل يصف بعض الوصفات والعلاجات للوقاية من حدوث الإسقاط ومعالجته في حالة حدوثه .

ويقول "ابن هبل البغدادي" ((فإذا عرض الحامل مرض عولجت برفق وتوقت الفصد والإسهال))[٣١].

وفي باب العناية بغذاء الحامل من الناحية الكمية والنوعية والأوقات ، فإن نصائحهم في جملتها صحيحة على سبيل المثال يقول "البلدي"((فيجب أن نزيدها في غذائها الزيادة التي لا تثقلها وتنهض بها وبمقدار ما لا يثقل على معدتها ولا يفسد هضمه فيها ، بل يكون ذلك بالمقدار المعتدل الموافق الذي يجيد هضمه ويحسن استمرارها ويكون على دفعات لا في دفعة واحدة على تدريج وترتيب))[٣٢].

وعن التوقي في علاجهن عند تمرضهن ، يؤكد "ابن سينا" بشكل خاص وجوب مكافحة الإمساك بالملينات لا المسهلات ، أما "الرازي" فإنه يحذو حذو " أبقراط " في التحذير من إجراء الفصد في أثناء الحمل يقول

---

[٣١] ابن هبل البغدادي ؛ المختارات في الطب ، ط١ (دائر المعارف العثمانية ، ١٣٦٣ هـ) ص ٣٥.

[٣٢] البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص١٣٠ .

((إذا فصدت الأم فربما قل غذاؤه جدا ومات))[٣٣]. ويقول "ابن هبل البغدادي" ((فإذا عرض للحامل مرض عولجت برفق وتوقت الفصد والإسهال))[٣٤].

وفي تأكيد الرياضة على الرياضة والحركة المعتدلة ، يقول "البلدي "((... وبحسب الزيادة في الغذاء يجب أن تكون زيادتهن في الرياضة والحركة ... فإن الحركة والرياضة والتعب والأعمال مع إعانتها على الهضم وإثارة الحرارة الغريزية تقلل الفضول وتخففها من البدن ... ومن تتعب وتعمل الأعمال في أيام الحمل يكون بدنها أخف وأصح ، والحبل أسهل وكذلك الولادة ، ويلدن أولادا أقوياء كبارا سمانا ... وينبغي للحامل أن تتوقى الوثوب وحمل الشيء الثقيل والانكباب ومن الصوت الشديد ، كل ذلك حفاظا على الجنين من الإسقاط))[٣٥]. ويضيف "ابن سينا" ((أن يكلفن الرياضة المعتدلة والمشي الرفيق من غير إفراط ، فإن المفرط يسقط وذلك لأنهن يبتلين بما عرض لهن من احتباس الطمث بأن تكثر فيهن الفضول ، ويجب أن يتجنبن الحركة المفرطة والوثبة الشديدة والضربة والسقطة إلى الخلف فإنها كثيرا ما تنزل المني العالق بحاله ، ويتجنبن الامتلاء من الغذاء))[٣٦].

---

(٣٣) الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ الحاوي في الطب ، ط١، ج ٩ (حيدر آباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦) ص ٧٦ .

(٣٤) ابن هبل البغدادي ؛ مصدر سبق ذكره (١٣٦٢ هـ) ص ٦٠ .

(٣٥) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ١٣٠ .

(٣٦) ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛ القانون في الطب ، ج٢ (بيروت ، مطبعة بولاق ، ب . ت) ص٥٧٠ .

وفـي اسـتعمال الحَمَّـام للحامـل ، نصـائحهم فـي غايـة الصـحة ، يقـول "البلـدي"((فأمـا الحَّمـام فليسـت بضـارة بل نافعـة ... إلاّ أنـه يجـب أن يكـون استعمالهن لها باعتدال ولا يطلن فيها الجلوس ... وليكن دخولهن الحمامات المعتدلة الحرارة العذبة الماء الرفيعة البناء الطيبة الهواء ويكون ما يستعملن من الماء الفاتر ... ويكون فيه الطيب والبخور))[٣٧]. ويضيف "ابن سنا" ((ويجب أن لا يدمن الحُمام بل الحُمام كالحرام عليهن ؛ إلا عند الاقتراب . ويجب أن لا تدهن رؤوسهن فربما عرض ذلك نزلة فيعرض السعال فيزعزع الجنين ويعده للإسقاط))[٣٨]. وبصورة عامة ينبه "ابن سينا" إلى ضرورة حفظ الجنين والتحرز من الإسقاط ، كذلك فإنه عد الدواء (المسهل) من جملـة أسـباب الإسـقاط ، فيجـب أن يتـوقى جانبـه إلـى الشـهر الرابـع وبعد السابع . وإذا كانت المرآة يخاف عليها أن تسقط بسبب أمزجة وأورام وقروح أو شيء من الآلام النفسية مثل غضب شديد أو خوف أو حزن ومن برد الأهويـة وحرها المفرطين وغير ذلك ، وعولج كل ما في بابـه ، ويجب أن تعـالج بالأدويـة الحافظـة للجنين . ويـذكر جملـة أمـور يوصـي بهـا المـرآة الحامل ، والتي يجب أن تأخذ بها لسلامة الجنين ، يمكن أن نوجز أهمها :-

* ممارسـة الرياضـة المعتدلـة والمشـي الرقيق من غير إفراط ، فإن الإفراط في ذلك يسقط .
* أن يتجنـب الحركـة المفرطـة والوثبـة والضـربة والسـقطة ، والامـتلاء مـن الغذاء .

---

(٣٧) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ١٣٣ .

(٣٨) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٣١٠ .

* أن يتجنبن الانفعالات كالغضب والغم والحزن .
* ألا يكثرن من الاغتسال في الحُمام (لا يدمُن الحُمام ، بل الحُمام حرام عليهن) .
* الابتعاد عن الأدوية المسقطة المفردة منها والمركبة .
* زيادة العناية بالحامل في الشهر الأول من الحمل خاصة بالتدفئة والغذاء ، وأن تتجنب كل حريف ومر كالترمس والزيتون الفج ، وكل مدر للطمث كاللوبيا والحمص والسمسم .

ووضع "ابن سينا" فصلا كاملا في عسر الولادة وأسبابها وعلاجها والأدوية المسهلة للولادة ، وفصلا في التدابير اللازمة للولادة الطبيعية وتدبير الحوامل بعد الإسقاط .

وكان "الزهراوي" يعطي إرشادات للقابلات في تدبير حالات الولادة العسيرة ، وفي معرض حديثه عن التوليد يقول ((ينبغي للقابلة أن تعرف أولا شكل الولادة الطبيعية ... وما خلا هذه الولادة فهي غير طبيعية ، ويكون خروجه على رأسه والمشيمة معه أو معلقة من سرته ورجليه ويده الواحدة أو رجله الواحدة أو يخرج رأسه ويده ويخرج منطويا وربما انقلب على قفاه ونحو ذلك من الأشكال المذمومة . فينبغي للقابلة أن تكون حاذقة لطيفة بهذه الأشياء كلها . وتحذر الزلل والخطأ ، وأنا مبين كل شكل منها وكيف الحيلة فيه لتستدل بذلك وتقف عليه))[٣٩].

---

(٣٩) الزهراوي ، أبو القاسم خلف ؛ التصريف لمن عجز عن التأليف (لندن ، مطبعة لندن ، معهد ويلكم ، ١٩٧٣) ص٢٢ .

المحور الثالث/ الرعاية الصحية والبدنية بالطفل الوليد في مرحلة الرضاعة (السنتين الأولى في حياة الطفل)

وتعد السنتان الأولى والثانية ذات أهمية عظيمة في حياة الطفل ، نظرا لما يحدث فيها من نمو جسمي وعقلي ووجداني ، وتعد أساسا لكل ما يلي ذلك من نمو . إذ ينمو الطفل جسميا في هاتين السنتين إلى ثلاثة أمثال وزنه عند الولادة ، كما ينموا الدماغ نمو لا يعادله أي نموا في السنوات الأخرى ، والطفل عند ولادته يتصل بالعالم الخارجي عن طريق غرائزه وحواسه . ولكنها تكون ضعيفة وغير معقدة في بادئ الأمر ، ثم تقوى وتشتد بعد ذلك ، بتأثير التجارب والخبرات المختلفة ، وعليها تعتمد في نموه من جميع النواحي العقلية والاجتماعية والخلقية وغيرها من نواحي نموه [٤٠] .

١/ تغذية الطفل الوليد :

أ / حليب الأم :– وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال (**ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة من لبن أمه**)[٤١]. ولقد أجمع الأطباء العرب على أن حليب الأم هو أفضل أنواع الحليب تماما كما نؤكده اليوم . يقول "البلدي"[٤٢] ((فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو سبب يفسد اللبن فضلا عن للطفل ...)) ثم يقول

---

(٤٠) حسن ملا عثمان ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٢) ص ٨ .

(٤١) البرقي ، أبو جعفر احمد بن خالد ، المحاسن (النجف الأشرف ، ١٣٨٠هـ) ص٤٤٠ .

(٤٢) البلدي ، مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ١٨٦ .

((وقد نجد الطبيعة لم تقتصر على أن أعدت هذا الغذاء للطفل ولكنها غرست في الأطفال مع ذلك منذ أول الأمر قوى غريزية ففي استعماله)) إلى أن يقول ((وفي سلامة للبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ لصحتها وصحته)) . وفي ذلك يقول "المجوسي" ((لأنه أوفق الألبان لطبعه وإذا قل لبنها وانعدم لأسباب شتى ، فعليها أن تختر المرضعة))[٤٣]. وقد تحدث "ابن القيم الجوزية " ((عن أهمية رضاع المولود من أمه بعد وضعه بيومين أو ثلاثة وهو الأجود لما في لبنها ذلك الوقت من الخلط والأخلاط ، وينبغي أن يقتصر بهم على اللبن وحده إلى نبات أسنانهم ، لضعف معدتهم وقوتهم الهاضمة للطعام ، فإن الله سبحانه وتعالى آخر إنباتها إلى وقت حاجته إلى الطعام لحكمته ولطفه ورحمته بالأم وحلمة ثديها فلا يعضُه الولد بأسنانه))[٤٤]. ويقول "ابن سينا" ((يجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه ، فانه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم ويكتفي بإرضاعه في اليوم مرتين أو ثلاثا ، ولا يبدأ في أول الأمر في إرضاعه بإرضاع كثير على أنه يستحَب أن تكون من ترضعه في أول الأمر غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه والأجود أن يلعق عسلا ثم يرضع))[٤٥].

---

[٤٣] المجوسي ؛ مصدر سبق ذكره (١٢٩٤ هـ) ص٢/٥٦ .

[٤٤] ابن قيم الجوزية ؛ تحفة المودود في أحكام المولود (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩) ص ٩١ .

[٤٥] ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛ القانون في الطب ، ج ١ (بيروت ، مطبعة دار صادر ، ب.ت) ص ١٥١ .

ويقول "ابن الجزار"((وبعد أن يبتدئ في تدبيرهم .. فيتغذى باللبن، فإن غذاءه الذي أعد له اللبن)) ثم يقول ((وقال بعض الأطباء ، لا ينبغي أن ترضع الطفل أمه حتى تأتي له ثلاثة أيام أو أربعة ، ويرضع في اليوم مرتين أو ثلاثة لا يزاد عليها إلى أن تستمرئه معدته على الغذاء فإن كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافعة))[٤٦].

يقول "وهبة الزحيلي" ((ولم أجد أحدا من القدماء تنبه إلى أهمية اللباء سوى الشافعية حيث أوجبوا على الأم إرضاع المولود اللباء ، لأنه لا يعيش بدونه غالبا))[٤٧].

ونحن نقول بالنسبة لإرضاع الطفل من أمه خلال الثلاثة أيام الأولى هناك رأيان . رأي يؤكد ضرورة إرضاعه ليستفيد من إفرازات الثدي (اللباء Colostrum) الحاوية على بعض عناصر المناعة ضد الأمراض وبعض المواد الغذائية التي لا تخلو من فائدة للطفل . أما الرأي الآخر فينصح أصحابه وهم قلة بعدم إرضاعه وذلك لاحتواء اللباء على هورمونات أنثوية مكثفة ، والتي قد تزيد في احتمال انحلال كريات الدم الحمراء وتؤدي بالنتيجة إلى زيادة ترسب (البيليروبين) في الأنسجة وبالتالي تؤدي إلى زيادة (اليرقان الفسلجي) الذي يحدث لدى بعض الأطفال . إلاّ أننا على الرغم من ذلك نرجح الرأي القائل بضرورة إعطاء الطفل ثدي أمه منذ الأيام الأولى .

---

(٤٦) القيرواني ، ابن الجزار ؛ سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق محمد حبيب الهيلة (تونس ، مطبعة المنار ، ١٩٦٨) ص ٧٢ .

(٤٧) وهبة الزحيلي ؛ الفقه الإسلامي وأدلته (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٥) ص ٦٩٧/٧ .

أما تعليلاتهم لأسباب قلة الحليب فكانت صحيحة في أغلبها ، فمن جيد شرح " الرازي " لجفاف حليب الأم أن ينسبه إلى علة في الدم تجعله رقيقا يطرح الكَلى فلا يتكثف لبنا سويا فيقول ((متى كان اللبن ناقصا فابحث عن الدم فإنه لا يخلو في هذه الحال من أن يكون قليلا في كميته أو رديئا في كيفيته))[٤٨]. ويؤكد "ابن سينا" قول "الرازي" مع شيء من التفصيل العلمي الدقيق والصحيح بقوله ((اعلم أن اللبن يكثر مع كثرة الدم الجيد وإذا قل فبسببه بعض أسباب قلة الدم أما من جهة المادة وأما من جهة المزاج والذي يكون بسبب المادة فإن يكون الغذاء قليلا أو يكون مضادا لتولد الدم عنه ليبسه وبرده المفرط أو يكون قد انصرف إلى جهة أخرى من نزف أو ورم وأما من جهة المزاج فإن يكون البدن أو الثدي مجففا للرطوبة ....))[٤٩]. ثم يصف العلاجات لكل حالة . أما رأي "ابن الجزار" في ذلك فكان ((إنه قد يكون من النساء من يكن لبنها قليلا بالطبع وقد يقل لبعضهن من أسباب شتى ، إما من قلة الغذاء ، وإما من أن تستعمل المرضعة أغذية حريفية يابسة فينشف لبنها رطوبات ، وإما من قبل تغير مزاج حرارة أو برودة أو يبس أو من رطوبة محالة)) ثم يقول ((وقلة اللبن العارض من قلة الأغذية بين معروف وذلك بأن تخبرك المرأة بأنها قليلة الغذاء))[٥٠]. ثم يمضي هو الآخر في سرد العلاجات لكل سبب ، ويضيف "الزهراوي" على الأسباب السابقة فيقول ((وقد يقل اللبن بسبب الإفراط في الرياضة والتعب مع تقليل

---

(٤٨) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره ، ج ٧ (١٩٦٠) ص ٨ .

(٤٩) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ٢) ص ٢٧٩ .

(٥٠) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٧٩ – ٨٠ .

الغذاء ، أو من جراء عوارض النفس كالغم والهم أو على أثر مرض كالحمى والإسهال))[٥١].

وفي أوصاف الحليب الجيد وتركيبه يقول "ابن الجزار"((إنه ينبغي أن يكون لبن المرضع للصبي معتدلا لا ثخينا ولا رقيقا ولا كثيرا ولا قليلا والفرق بين اللبن المذموم واللبن المحمود أن اللبن المحمود لذيذ الطعم أبيض اللون طيب الرائحة مستوي بين الثخونة والرقة كما ذكرنا ، أما من كانت أحواله مضادة لهذه الأحوال فهو لبن رديء مذموم))[٥٢]. إن هذا القول أكده معظم الأطباء العرب علما بأننا اليوم نعتقد نتيجة التحليلات المختبرية بأن تكوين الحليب عند كل الأمهات تقريبا واحد والفرق الوحيد هو في الكمية أما التكوين فيكاد يكون ثابتا على الدوام . وبجانب هذا القول " لابن الجزار" الذي لم نقره عليه نجد قولا في تركيب اللبن يعتبر مفخرة له وخاصة إذا تذكرنا بأنه لم يكن في عهده مختبرات لتحليل الحليب بغية معرفة تركيبه ، فيقول ((وتركيب كل لبن من ثلاثة جواهر ، أحدهما الجوهر المائي اللطيف ، والثاني منها اللطيف الجبني ، والثالث الدهني الدم . وليس مقدار ما في ألبان الحيوان من هذه الجواهر وبمستوى ، فلذلك حمدنا من اللبن ما كان معتلا في جميع جهاته))[٥٣].

---

(٥١) الخطابي ، محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية – دار الغرب الإسلامي ط١ ، ج١(بيروت ، بالأصل نقلا عن التصريف ، ١٩٨٨) ص١٨٣ .

(٥٢) القيرواني ، مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٧٣ .

(٥٣) القيرواني : مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٧٤ .

وما جاء في كمية الرضاعة من الثدي وأوقاته وكيفيتها ، فقد تكلمنا على إرضاع الطفل في أيامه الأولى فلا نرى حاجة لتكرار ذلك ، وإنما سنذكر هنا ما لم نذكره مما له علاقة بهذا الباب . فيقول "ابن الجزار" في طريقة إرضاعه وأحسن الأوقات لذلك ، قولا علميا صحيحا نذكر هنا قوله ((وينبغي ألا يرضع الصبي بعقب الحسام إلاّ بعد أن تهدأ حركاته لئلا تعرض له تخمة فيتولد في بدنه (كيموس رديء) . فإذا أرادت إرضاعه فتغمز حلمتها غمزا رقيقا ثم تضعها في فيه وتعصرها بعض العصر لئلا يتعب الصبي من كثرة المص ولا ترضعه لبنا كثيرا في دفعة واحدة بل دفعات قليلا قليلا إذا علمت أنه يحتاج اللبن))[٥٤]. و"لابن سينا" هنا ملاحظة لابد من التنويه بها إذ يقول ((ويجب في كل إرضاعه وخاصة في الإرضاع الأول أن يحلب شيء من اللبن ويسيل بالغمز لئلا تضطره شدة المص إلى إيلام الحلق المريء .... ولا ينبغي أن يرضع اللبن الكثير دفعة واحدة بل الأصوب أن يرضع قليلا قليلا))[٥٥]. ويقول "القرطبي"((فيجب أن يكون إرضاع الطفل بقدر ما يكفيه وينعش بدنه ولا يسرف به عليه فيتمدد بطنه ويتقيأ ويصيبه من ذلك فتور وكسل ونوم وتقلب وبكاء))[٥٦]. أما "الأنطاكي" فتجده ولأول مرة قد احتسب مقدار حاجة الطفل للحليب في الأربع والعشرين ساعة إذ قال((قالوا وأقل ما يرضع الطفل في اليوم والليلة مائة وخمسين

---

(٥٤) القيرواني ؛ نفس المصدر السابق (١٩٦٨) ص ٦٤ – ٦٥ .

(٥٥) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ١) ص ١٥١ .

(٥٦) القرطبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ٥٤ .

درهما والأكثر فيما قالوا خمسمائة))[٥٧]. ولمّا كان الدرهم يساوي حوالي (٣ غم) فيكون مقدار ما يجب أن يرضعه حوالي (٤٥٠ – ١٥٠٠ غم) حليب في اليوم وهو قريب جدا لما نحدده في حساباتنا لحاجة الطفل اليومية من الحليب . ويضيف "الزهراوي" ((يرضع الطفل في اليوم مرتين أو ثلاثا ولا يزيد عليه إلى أن تستمريه معدته ، فان كثرة الرضاع في هذا الوقت غير نافع ، ويرضع بمقدار لا تمدد بموجبه بطنه ويقيئه ، فان اخذ من اللبن فوق ما يتحمله هضمه ، ولد في بطنه رياح كثيرة ، ويعتريه فتور وكسل وتعب وبكاء وقيء ، فان عرضت له هذه الأحوال والإعراض فليمنع من الرضاع حتى تجف معدته ويزداد في تنويمه ؛ ويرضع مقدارا اقل من العادة فيرد على عادته))[٥٨] .

وعن أسباب منع الرضاعة من الأم ، سبق أن قلنا بأن الرضاعة الطبيعية من الأم هي المفضلة دائما ، أما إذا وجدت عوارض تحول دون ذلك ، فإن اللجوء إلى مرضعة أخرى أو إلى الرضاعة الصناعية يصبح أمرا غير اختياري . والعوارض التي تحول دون الرضاعة الطبيعية ، قد يكون مبعثها أمراض تصيب الأم أو أمراض تصيب الطفل . هذه الحقيقة جاءت في كتابات الأطباء فأشاروا إلى أسباب منع الرضاعة من الأم بشكل جلي سواء الدائمة منها أو الوقتية نذكر فيما يأتي بعضا من أقوالهم :-

---

(٥٧) داود الأنطاكي ؛ تذكرة الألباب والجامع للعجب العجاب (القاهرة ، مطبعة محمد علي ، ١٣٥٦هـ) ص ١٣ .

(٥٨) الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٣) ص ٢٢ .

يقول "ابن سينا"[٥٩] ((فإن منع إرضاع لبن والدته مانع من ضعف أو فساد لبنها)) ثم يقول ((إذا عرض للمرضعة مزاج رديء أو علة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس مؤذ فالأولى أن يتولى إرضاعه غيرها إلى أن تستقل وكذلك إذا أحوجت الضرورة سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة)) . والعلم الحديث يؤيد "ابن سينا" فيما ذهب إليه من كون بعض العلاجات (كالمسهلات وغيرها) تعبر عن طريق الحليب ، الأمر الذي يستوجب عدم إرضاعه حليب الأم لحين تركها تناول العلاج . وأما "المجوّسي" فيقول ((فإذا دعت الضرورة إلى أن يتغذى المولود بلبن غير والدته بسبب قلة لبنها أو لسبب مرض لحقها أو غير ذلك من الأسباب المناعة فليؤتى له بمرضعة))[٦٠].

ب/ الحليب الإضافي للمولود (حليب الحيوانات) :-

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه لم يكتب الأطباء العرب في مجال إعطاء الطفل حليب الحيوانات شيئا كثيرا ، مما يدل على عدم انتشار استعماله في إرضاع الأطفال بصورة واسعة ، ولم نعثر في كتبهم سوى على فقرات قليلة ففي تبيان جودة أنواع حليب الحيوانات كتب " ثابت بن قرة " ((ومراتب الألبان ثلاثة ، لطيف جدا مثل لبن الأتن (والأتن أنثى الحمار) ، وغليظ جدا مثل لبن البقر ، ومتوسط مثل لبن المعز))[٦١]. والعلم الحديث يقر بأن

---

(٥٩) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ١) ص ١٥٢

(٦٠) المجوّسي ؛ مصدر سبق ذكره (١٢٩٤هـ) ص ٥٦ .

(٦١) ثابت ابن قرة ؛ الذخيرة في علم الطب (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٢٨) ص .

لبن الحمير أقرب أنواع الحليب للحليب الآدمي لولا صعوبة تعقيمه والحصول عليه .

ويقول " الأنطاكي " عند التحدث عن اللبن ((اللبن .... يختلف باختلاف أصوله وما تناول من المراعي ، وأما ما هو في نفسه فلا شك أنه مشتمل على سمنية حارة يابسة وجبنية باردة يابسة في الأولى ومائية باردة رطبة في الثانية)) ثم يقول ((وألذه لبن البقر وأحلاه لبن الأتن وأفتحه للسداد لبن اللقاح (الإبل) وأكثره نفعا في الحمل والإنتاج لبن الخيل ، وأكثره جبنية ما اغتذى بالغليظ ولا توجد في لبن ذي حافر ولا خف وكذا السمن .. واللبن يمكن تناسبه لسائر الأمزجة والفصول لقبوله التعديل وألطف ما استعمل حال حلبه لما فيه من الحرارة التي تفارقه إذا برد وإذا طال مكثه فلا يستعمل حتى يسخن))[٦٢].

إن ملاحظة "الأنطاكي" عن ضرورة تسخين الحليب الذي طال مكثه قبل استعماله ملاحظة جديرة بالإعجاب حيث أن غلي الحليب حتى اليوم يعتبر من وسائل التعقيم المهمة والمتعارف عليها . ونجيز لأنفسنا القول أن "للأنطاكي" كان فضل السبق في ذكر ذلك وإن لم يكن عارفا بعلم الجراثيم ووسائل التعقيم .

ج/ الغذاء الإضافي والفطام :- وإقتداءً بالرسول الكريم (ﷺ) يوصون بتحنيك الطفل بالتمر أو إعطائه العسل ، والتحنيك هو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ودلك حنكه به يصنع ذلك بالصبي ليتمرن على الأكل ويقوى

---

(٦٢) الأنطاكي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٢٨) ص ٢٥٥

عليه ، وفي ذلك أيضا تمرين على استعمال وسيلة غذائه الجديدة وهى المص بالفم ليألفها، وأخيرا هناك غاية أخرى من إعطاء ذلك هو تفريغ مادة ((الميكونيوم العقي)) من أمعاء الطفل .

ولقد أجمع الأطباء العرب على تغذية الطفل أغذية إضافية واشترطوا أن يكون ذلك بالتدريج . يقول "ابن الجزار"[٦٣] ((إن الطفل من بعد وقت اللبن يأخذ في استعمال المضغ فيستعمله من تلقاء نفسه كما يتعلم سائر الأعمال)) ويقول ((وتؤمر المرضعة أن تنقص من لبنه وتعوده الطعام وتمرنه عليه كي لا يضره الانتقال بغتة ويكون أول طعامه خبزا ممضوغا ويجعل في فيه)) ويضيف أيضا ((وبعد أن يطعم الخبز المطعم ، ويجوز أن يطعم خبزا نظيفا قد بلّ في ماء وعسل أو لبن ويسقى ففي بعض الأحايين بماء وفي بعضها شراب قد مزج بالماء حتى رق وصفا)).ويقول "ابن سينا" في هذا الباب((وإذا اشتهى الطفل غير اللبن أعطي بتدريج ولم يشدد عليه ثم إذا جعلت ثناياه تظهر أعطي شيئا صلب المضغ ثم خبزا بماء وعسل أو بشراب أو بلبن ، ويسقى عند ذلك قليل ماء وفي بعض الأحيان مع يسير شراب ممزوج به ولا تدعه يمتلئ ... وأجود تغذيته أن يؤخر إلى أن يمرخ ويحمم ثم أنه إذا فطم نقل إلى ما هو من جنس الأحساء واللحوم الخفيفة ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة ويشغل ببلاليط متخذة من خبز وسكر))[٦٤]. وهذا الكلام القيم في تعويد الطفل الأغذية بالتدريج لا ينقصه سوى تحديد الزمن الذي يبدأ به [illegible] طعام .

---

(٦٣) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٦٦ – ٦٧ .

(٦٤) ابن سينا مصدر سبق ذكره (ج١) ص ١٥٣ .

وفي فطام الطفل ننقل قول "عريب" ((وإذا بلغ الصبي مبلغ ما يقدر على قدر شيء من الطعام وقرب وقت الفطام عملت له بلاليط من دقيق السميد ولبن وسكر ، ودفعت إليه ليمصها ويلوكها ويتدرج بذلك إلى الابتلاع ويعطي أيضا من لحم صدر فروج رخو أو لحم فروج جملة ، فإذا استطاب ذلك ونال منه نزعته من الرضاع قليلا ثم درجته في ذلك حتى يفطم . وفطام الصبي يكون بعد سنتين من ولادته أو بعد ثلاثين شهرا إن طال إرضاعه كما قال عزّ وجلّ ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)) ثم ينقل عن الرضاع بتدريج لطيف . ولا يكون فطامه في زمان حار))[٦٥].

إن التأكيد من قبل الأطباء العرب جعل الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة حقيقة علمية صحيحة تسجل لهم بكل فخر ، لأن إلزام الطفل المفاجئ بطعام جديد وطريقة جديدة لتناوله يجعل الطفل يعزف عن الطعام متعرضا بذلك لخطر جسيم خاصة إذا كان المناخ حارا . كما أن الفطام المفاجئ يمثل عملية حرمان قاسية قد تسبب له مضاعفات انفعالية وصدمات نفسية .

٢/ الرعاية البدنية للطفل الوليد :-

ويمكننا هنا أن نبدأ بكيفية العناية بسُرته ، لقد أكد "المجوسي" و"ابن الجزار" وبقية الأطباء العرب تعليمات للعناية بسُرة الطفل صحيحة في أغلبها نقتطف هنا بعضا من أقوالهم ، يقول "ابن الجزار"((إنه ينبغي أن نبتدئ في تدبيره عند خروجه فيقطع من سرته أربع أصابع ... وتربط سرته وتفتل فتلا

---

(٦٥) القرطبي ، مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ٧٢ .

رقيقا وتوضع عليها خرقة قد غمست في زيت ... فإذا وقعت سرته بعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام فينبغي أن تذر عليه رمادة الودع المحرق ورماد عرقوب عجل محرق أو رصاص محرق قد سحق بالشراب ثم يطلى على الموضع))[٦٦] .

أما عن العناية بالمولود وشروط الغرفة التي يرقد فيها الطفل فقد تكلم الأطباء العرب في ذلك كلاما علميا صحيحا فمثلا يقول " ابن سينا " ((أن يبادر إلى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق لتصلب بشرته وتقوى جلدته ؛ ولا يملح انفه ولا فمه ، ثم يغسل بماء فاتر وينقى منخراه دائما بأصابع مقلمة الأظافر ويقطر في عينه شيا من الزيت ، ويدغدغ دبره بالخنصر ليتفتح ، ويتوقى أن يصيبه البرد . وإذا سقطت سرته فلأصوب أن يذر عليها رماد الصدف أو غيره ، وإذا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق فتعرض ما يستعرض وتدقق ما يستدق وتشكل كل عضو على أحسن شكل ، كل ذلك بغمز لطيف بإطراف الأصابع ، وتديم مسح عينيه بشيء كالحرير ، وغمز مثانته ليسهل انفصال البول عنها ، ثم تفرش يديه وتلصق ذراعيه بركبته وتقسمه أو تقلسنه بقلنسوة مهندمة على رأسه ، وتنومه في بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار ، ويجب أن يكون البيت إلى الظلمة والظل اقرب ، لا يسطع فيه شعاع غالبا))[٦٧]. ويضيف "ابن الجزار" على ذلك

---

(٦٦) القيرواني ؛ نفس مصدر السابق (١٩٦٨) ص ٦٠ – ٦١ .

(٦٧) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص ٥٧٠ .

((ويتخذ للطفل عند ابتداء الأمر داية وتؤمر ألا تزجره ولا تغمه بشيء وتعني بمضجعه))[٦٨].

وعن العناية بمداخل الطفل ومخارجه ، يقول "ابن الجزار" ((وينظف وينقي منخراه وفوه وأذناه برفق ، ويفتح دبره بالخنصر فيخرج جميع ما فيه ، ويقطر في عينيه شيء من زيت))[٦٩]. ويؤكد ذلك "البلدي" بقوله((وأما الطفل المولود فإن مداخلة مختلفة ، كالفم والمنخرين ومخارجه كثيرة كمخرج البول والبراز ... فيجب أن تكون هذه المداخل والمخارج سليمة متفتحة يعني بتفتيحها وتنظيفها لئلا يحتقن فيها فضل يسدها ... بسهل خروج ما يخرج منها ودخول ما يدخل فيها))[٧٠].

إن هذه الوصايا لاشك جاءت مطابقة لما يؤكده أطباء الأطفال اليوم لدى استقبال الطفل ساعة ولادته .

وعن كيفية استحمامه وتدليكه ، فما جاء في كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الباب مقبول أكثره اليوم ، على سبيل المثال نذكر قول " ابن الجزار" في ذلك ((وتؤمر الحاضنة أن تحممه بالماء الحار العذب ، لأن عامة تدبيرهم إنما يكون بماء يرطب أبدانهم لتبقى رطبة زمانا طويلا ويكون الماء معتدلا لا حارا جدا . ويفعل هذا في بيت معتدل الدفء مظلم قليلا ويحم أول الغداة ونصف النهار وعند العشاء وتبسط الحاضنة على ركبتها وفخذيها خرقة كتان ناعمة ثم تضجع الرضيع عليها ، وتحل عنه

---

(٦٨) القيرواني ، مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٥٠ .

(٦٩) القيرواني ؛ نفس المصدر السابق (١٩٦٨) ص ٦٠ .

(٧٠) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ١٨٥ .

الخرق وتبدي أعضاءه وتلوي مفاصله وكل ذلك برفق وإحكام ويجب أن يكون إمساكه للتحميم باليد اليسرى وتلزم الداية رأسه ورقبته . فإن الصبي لا يستطيع أن يلزم نفسه وتصب عليه الماء باليد اليمنى فتطليه به أولا دلكا قليلا ثم تصب قليلا على ذلك الممروخ ما كان رويدا رويدا لئلا يبرد ، وتغم على عانته برفق ليبول ولا تزال تفعل ذلك به كذلك حتى يحمر بدنه كله ، فإذا أرادت أن يحول الصبي على بطنه فتجعل الحاضنة إبهامها تحت لحي الصبي لئلا يميل رأسه إلى داخل الماء وتميل الحاضنة كل عضو من أعضائه إلى ما ينبغي ، مثل أن ترد الرجل إلى خلفها واليدين إلى قدامها ، لأنها إن فعلت ذلك صيرت المفاصل في مواضعها حسنة جيدة الحركة ، وأن تسوي رأسه ويديه ورجليه وغيرها من سائر أعضائه وترفع الصبي إذا فرغت من تحميمه وتجعله الحاضنة على فخذها بعد أن تبسط تحته خرقة ناعمة وتنشفه وتحمه أولا ثم تضعه على بطنه ، ثم على ظهره ، وهي في ذلك تدهنه بإحدى يديها من أسفل وبالأخرى من فوق ، وتمد ركبته وتمسح عينيه بإبهامها مسحا رقيقا وتعدله إلى كل ناحية لتعد عروقه واسعة ، وتعتاد مفاصله الالتواء ثم تشده بالخرق بعد أن تنشفه فهكذا ينبغي أن يحم الصبيان والأطفال))[٧١].

ويؤكد "ابن سينا" شروط استحمام الطفل ، ويقول ((ويجب أن يكون إحمامه بالماء المعتدل صيفا إلى الحرارة غير اللاذعة شتاءً ، واصح وقت يغسل ويستحم فيه هو بعد نومه الأطول ، وقد يجوز أن يغسل في اليوم مرتين أو ثلاثا وان ينتقل بالتدرج إلى ما هو اقرب إلى الفتور إن كان الوقت

---

(٧١) القيرواني ؛ نفس المصدر السابق (١٩٦٨) ص ٦٣ .

صيفا . وأما في الشتاء فلا يفارقه الماء المعتدل الحرارة ويحمم مقدار ما يسخن بدنه ثم يخرج ويصان سماخه عن سبوق الماء إليه . ويجب أن يكون وضع الغسل على هذه الصفة : وهو أن يؤخذ باليد اليمنى على الذراع الأيسر معتمدا على صدره دون بطنه ، ويجتهد في وقت الغسل أن تمس راحتاه ظهره وتنمه ورأسه بلطف وبرفق ثم تنشفه الأم بخرقة ناعمة وتمسحه برفق وتضجعه أولا على بطنه ثم على ظهره ، ولا يزل مع ذلك يمسح ويغمز ويشكل ثم يرفع فيعصب في خرقة ويقطر في انفه الزيت العذب فانه يغسل عينه وطبقاتهما))[٧٢]. وعن تدليك الطفل يقول "ابن هبة الله ابن الحسين" ((وتمرخ أعضاؤه غدوة وعشية بالدهن ، وتمدد أعضاؤه وتثنى على كل مفصل على قدر خلقته ، الرجلين إلى خلف واليدين إلى قدام))[٧٣].

ويؤكد "عريب" و"البلدي" وغيرهما نفس القواعد والشروط وطريقة استحمام الطفل التي ذكرناها ، والتي هي في جملتها تعتبر قمة المعرفة والدقة العلمية في هذا الموضوع .

٣/ أمراض الطفل الوليد (أسبابها وعلاجها) :-

ذكر الأطباء العرب صفات وعلامات يستدل منها على حال الطفل إن كان طبيعيا أو مريضا أو ناقصا (خديجا) وهي في الحقيقة لا تختلف عن ما يؤكده أطباء الأطفال اليوم مما يجعلنا نقف بإجلال لتلك العقول النيرة ، وهذه الدلائل عندهم .

---

(٧٢) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ٥٧٠ .

(٧٣) ابن هبة الله ، أبي الحسن سعيد ابن الحسين ؛ كتاب خلق الإنسان ، تحقيق كمال السامرائي (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠) ص ١٤٩.

ففي حال المرأة أثناء الحمل ، يقول "البلدي" ((فأما استدلالك على حال المولود إن كان صحيحا أو سقيما فإن ذلك يكون من تعرفك حال المرأة في حال حملها وذلك أن صحة الأم وخفة الأعراض الرديئة العارضة فيها وقلتها أو ضعفها في وقت حملها يدل على صحته))[٧٤]. ومدة زمان الحمل علامة أخرى عنده وعند "القرطبي" تشير إلى سلامة الطفل ، يقول " القرطبي" ((المولودون لسبعة أشهر يولدون قصافا مهازيل ، والمولودون لتسعة أشهر يولدون خصبي الأبدان سمانا))[٧٥] . وفي جودة حركات وحواس الطفل وبكاؤه ساعة ولادته ، يقول "البلدي" ((وقد يدل على صحته بكاؤه ساعة ولادته ... وقد يدل على ذلك من صحة أعضائه وقواه وجودة حواسه وحركاته فهذه كلها تدل على صحة المولود وسلامته فأما استدلالك على سقمه ومرضه وضعفه فيكون بخلاف ذلك))[٧٦]. وأضاف "الرازي" ((التبول والعطاس كعلامات من علامات الحياة في الطفل حديث الولادة))[٧٧].

وقد شخص الأطباء العرب أسباب مرض قسم من الأطفال انه ناتج عن سوء النفس ، فإذا حصل ذلك حينئذ يقول "ابن سينا" ((أن تدهن أصول أذنيه واصل لسانه بالزيت ويقيأ ، كذلك يكبس لسانه فهو نافع جدا ، ويقطر الماء الحار في أفواههم ويلعقون من بزر الكتان بالعسل . وقد يعرض في آذانهم سيلان الرطوبة وفي ابدأنهم وخصوصا أدمغتهم لأنها رطبة جدا ،

---

(٧٤) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ١٢٦ .

(٧٥) القرطبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ٣٤ .

(٧٦) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٥ .

(٧٧) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٠) ص ٢٠ .

فيجب أن تغمس لهم صوفه في عسل))[٧٨] ويقول عن الاهتمام بتنفس الطفل ((يجب أن يكون رأسه في مرقده أعلى من سائر جسده ويحذر أن يلوي مرقده شيئا من عنقه وأطرافه وصلبه))[٧٩]

كما شخص الأطباء العرب والمسلمون أمراض الأطفال حديثي الولادة مثل السعال والقيء والإسهال ، فعن أسباب السعال عند الأطفال ، يقول "ابن الجزار" ((هو البرد الذي يتعرضون له ، إنما يهيج ذلك فيهم لقرب عهدهم بالدفء في بطون أمهاتهم ، وخروجهم إلى برد الهواء ، ولأنه ليس لألسنتهم قوة على سد الحنجرة فيهيج السعال لبرد الهواء ووصوله إلى حلوقهم وصدورهم))[٨٠]. وعن علاج السعال يقول "الرازي" ((وان علاج الأمراض التي يصاب بها الأطفال مستخرجة من الأعشاب ، فللسعال يستعمل الصمغ العربي وحب السفرجل والعرقسوس))[٨١]. وعن الأقياء يقول " ابن الجزار" ((وقد يعرض للصبيان الاختلاف [الإسهال] والقيء في الدرجة الأولى من أسنانهم ، والسبب في ذلك أن الصبيان ربما رغبوا في كثرة الرضاعة لأنهم لا يعرفون ما ينفعهم منه ، فتكثر عليهم لعلة ذلك رطوبة اللبن ، فإن طفا ووحل ذلك اللبن في معدته هيج ذلك قيئا))[٨٢]. وأما "البلدي" فقد أضاف إلى ما قاله "ابن الجزار" ((أن الأقياء إما لرداءة البن وفساده في نفسه ، وإما

---

(٧٨) ابن سنا ؛ مصدر سبق ذكره (ج٢) ص ١/ ٢١٤ .

(٧٩) ابن سينا ؛ نفس المصدر السابق (ج٢) ص ٢٠٤/١ .

(٨٠) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ١١١ .

(٨١) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص٢٥ .

(٨٢) القيرواني ؛ نفس المصدر السابق (١٩٦٨) ص ١١٦ .

لضعف معدهم))[٨٣]. وفي معالجة الأقياء ينصح "ابن هبل البغدادي" بقوله ((يسقوا بشراب التفاح المُز وشراب الرمان المُز المنعنع أو يسقون ماء التفاح))[٨٤]. وعن (الإسهال) يشير الأطباء العرب والمسلمين إلى انه غالبا ما يترافق (الإسهال) مع نبات الأسنان عند الأطفال ، وهو ما ذكره "الرازي" في قوله ((يتكرر حدوث الإسهال في الأطفال من سبب ظهور الأسنان ، أو بسبب البرد أثناء لفه بالقماط ، أو بسبب تعفن الحليب من الصفراء والبلغم))[٨٥] . كما يرجح "ابن سينا" أسباب (الإسهال) إلى ((الأطعمة والأغذية والهواء المحيط أو من الأعضاء : ويوصي بقطع الطفل عن الرضاعة لليوم الذي يحصل فيه الإسهال ويحذر حينئذ من تجبن البن في معدته بان يغذى ذلك اليوم ما ينوب عن اللبن))[٨٦]. ويرى "ابن الجزار" أن (الإسهال) عند الأطفال الذي يسميه الاختلاف ((يعرض للصبيان عند نبات أسنانهم ، وإذ كان ذلك فان الغذاء لا ينهضم ولا يثبت في ذلك البدن))[٨٧]. ولذا فهم ينصحون بالحمية والتوقف عن إعطاء البن والاكتفاء بالماء .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأبحاث العلمية الحديثة أثبتت أن ظهور الأسنان لا علاقة له بإسهال الأطفال .

---

(٨٣) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص٢٩٣ .

(٨٤) ابن هبل البغدادي ؛ مصدر سبق ذكره (١٣٦٣ هـ) ص٢٣ .

(٨٥) الرازي ، ابو بكر محمد زكريا ؛ رسالة في أمراض الأطفال ومعالجتهم ، ترجمة محمود الحاج قاسم (بغداد ، طبع بالرونيو ، ١٩٧٩) ص ٣٧ .

(٨٦) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص٧٥ .

(٨٧) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ١١٦ .

٤/ بكاء الطفل والعناية به من الناحية النفسية (السيكولوجية) :-

وقد اجتهد المربون المسلمون في دراسة المجال العاطفي وأثره في سمات شخصية الطفل ، فبينوا دور العطف والحنان والحب والاحترام والحنو عليه وقدموا لنا صورة (سيكولوجية) واضحة لنموه فقالوا " إن الطفل إذا خرج من الرحم فانه في الوقت والساعة تدرك حواسه محسوساتها فيحس : بالقوة الامسة الخشونة واللين ، والقوة الباصرة النور والضياء ، والقوة الذائقة طعم اللبن ، والقوة الشامة الروائح ، والقوة السامعة الأصوات ، ولكنه لا يعلم معاني الكلمات والأصوات إلا بعد حين ، فأول شيء يحس باللمس فيتألم لأن حاسة اللمس اعم الحواس . ثم يحس بالطعم ويميز لبن أمه من غيره ثم يميز بين الروائح فيعرف الشم ثم يميز بين الصوت بالجهر "[٨٨].

فسر "ابن القيم الجوزية" فائدة بكاء الطفل تفسيرا علميا صحيحا ودقيقا فقال ((ولا ينبغي أن يشق على الأبوين بكاء الطفل وصراخه ، ولاسيما لشربه اللبن إذا جاع ، فإنه ينتفع بذلك البكاء انتفاعا عظيما ، فإنه يروض أعضاءه ... ويفسح صدره ويسخن دماغه ويحمي مزاجه ويثير حرارته الغريزية ، ويحرك الطبيعة لدفع ما فيها من الفضول وحذر من حمل الأطفال والتطوف بهم قبل ثلاثة أشهر لقرب عهدهم ببطون الأمهات ، وضعف

---

(٨٨) إخوان الصفا وخلاف الوفاء ؛ رسائل إخوان الصفا ، ج ٤ : (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٥) ص٤١٤ .

أبدانهم ، وينبغي أن لا يهمل أمر قماطه ورباطه ولو يشق عليه إلا أن يصلب بدنه وتقوى أعضائه ، ويجلس على الأرض))[٨٩].

وعن أسباب البكاء الأخرى وكيفية العناية بالطفل في حالة البكاء تكلم الأطباء العرب والمسلمون كلاما رائعا يعتبر الحجر الأساسي في تربية و(سيكولوجية) الطفل . على سبيل المثال أفرد "البلدي" لبكاء الأطفال فصولا مهمة تكلم فيها بإسهاب عن هذه العملية . فعلل البكاء تعليلا علميا دقيقا .، وشرح كيف أن عجز الأطفال عن التعبير الكلامي يدفعهم إلى البكاء دوما عند كل عارض أو حاجة . وهذا يحتم على القائمين بتربيتهم أن يفهموا تعبيراتهم ، سواءً بالبكاء أو بالحركة لتلبية حاجاتهم قبل استفحال ضررهم وألمهم .، يقول "البلدي" ((فإن هؤلاء _ أي الأطفال _ بعد لم يفهموا ولم يبلغوا إلى استعمال الكلام ، وإنما يدلون على ما ينالهم من الأذى بالبكاء والصياح والحركات المضطربة . فإنما يجب أن نكون نحن الذين نعرف الشئ الذي يحتاجون إليه ، فنقربه إليهم من قبل أن يشتد الألم بالأمر المؤذي ، فتصير نفوسهم إلى الاضطراب القوي في الحركة مع أبدانهم))[٩٠]. ويعزو "المجوسي" أسباب بكاء الطفل إلى أسباب خارجية وأسباب داخلية فيقول ((فان الطفل لا يبكي إلا لشيء يؤذيه إذ ليس به استطاعة للشكوى ، والأذى ينال الطفل إما من خارج أو من داخل ، أما من خارج فبسبب الحر والبرد أو الذباب والبق وما أشبه ذلك ، فينبغي أن يزال

---

(٨٩) ابن القيم الجوزية ؛ تحفة المودود بأحكام المولود (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩) ص ١٨٢ .

(٩٠) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢١٧ .

عنه ذلك السبب ، وأما من داخل فبسبب الجوع والعطش فينبغي أن يتعهد بالغذاء واللبن وبإسقائه الماء))[٩١]. ويختصر "الطبري" أسباب البكاء في كلمات قليلة ذات معنى علمي كبير حيث يقول ((إذا بكى الطفل دائما فهو لأحد أربعة أسباب ، أما لوجع في بعض أعضائه أو لاحتباس اللبن في معدته أو الشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلة الغذاء وجوعه))[٩٢] . ويقول "الزهراوي" ((فإذا بكى الطفل بكاءً دائما ، فينبغي أن يحمل ويمشى به في المنزل برفق ، وأفضل مكان يوضع فيه الطفل لحركة تنويمه هو أن يوضع في (مرجوحة) أو محفة قد علقت في أعلى البيت بإحكام))[٩٣].

ويؤكد "ابن الجزار" ذلك وينصح بحماية الطفل من كل أمر يفزعهم وكل صوت جهير وكل منظر فظيع ، يقول ((ولا يمكن البكاء الكثير . . . فيجب أن يسكت . . . بكل شيء يعلم أنه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء ، مثل أن يحمل على الأيدي حملا رقيقا لينا ، ويحرك كذلك ويرفع له ... أصوات لذيذة ويحرك بالغدوات بالحمل ويحسن له النغم بالتبيين ، وذلك أن الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الالتذاذ بها من غير تعب ومن أجل ذلك الأطفال أن نغم لهم نغمة حسنة يستلذونها سكنت طبائعهم وهدأت وناموا من قريب ، ويقرب إلى الصبي ما قد اعتاده من الأشياء التي تطربه وتفرحه ويجمع بينه وبين من نشاء من الصبيان ، ويحذر سماع كل

---

(٩١) المجوسي ؛ مصدر سبق ذكره (١٢٩٤هـ) ص٥٤ .

(٩٢) الطبري ، احمد بن محمد ؛ المعالجة البيروقراطية (مصر ، دار الكتب المصرية) ص ٢٣ .

(٩٣) الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٣) ص ٣٣ .

شيء له صوت ... وأن يتقى عليهم الجهم من الوجوه التي تفزع الصبيان شبه البراقع ، والأشياء البشعة ، فإن هذا وشبهه مما يدخل على الصبي النظرة الشديدة ، ويحذر من البكاء الشديد للطفل خشية إصابته بالصرع وينصح بتنغيم الأصوات له وتجنب الأصوات المزعجة))[٩٤]. ويقول " ابن قيم الجوزية " ((وينبغي أن يوقى الطفل كل أمر يفزعه من الأحداث الشديدة الشنيعة ، والمناظر الفظيعة والحركات المزعجة ، فإن ذلك ربما أدى إلى فساد قوته العاقلة لضعفها فلا ينتفع بها بعد كبره))[٩٥].

كذلك لاحظوا الأثر النفسي الجيد لاستعمال النغمات العذبة ، فيقول " ابن البلدي" ((وكذلك تمهيدهم بالحركة اللطيفة والصوت الملحن بعض التلحين ، فإن ذلك مما يلهيهم ويشغلهم ويجتلب النوم لهم فضلا عن تسكينه لما يؤنيهم ، وقد يستدل بذلك أيضا من طبائع الصبيان على أنها مستعدة لقبول الموسيقى والرياضة ، ومن كان قادرا على استمال هاتين الصناعتين على ما ينبغي فهو قادر على تهذيب النفوس على ما يجب))[٩٦]. ويقول "ابن سينا" ((ومن الواجب أن يلزم الطفل بشيئين نافعين أيضا لتقوية مزاجه ، احدهما التحريك الطيف والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت العادة به لتنويم الأطفال ، وبمقدار قبوله لذلك يوقف على تهيئته للرياضة والموسيقي باختبارين ، احدهما ببدنه والآخر بنفسه))[٩٧]. ويقول

---

(٩٤) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٦٨ ٦٩ .

(٩٥) ابن قيم الجوزية ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص ١٧٤ .

(٩٦) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢١٧ .

(٩٧) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص٥٧٠ .

"المجوسي"((وينوم ويستعمل معه التحريك بلطف ورفق ويلحن له لحون حسنة فإنه يستلذ النغم الحسن الذي يكون من إيقاع كما يستلذ المستكملون ، إن كان الإنسان مجبولا على حب الحركة وحب اللحون فإنه يسكن ما يجد من وجع ويجلب له النوم))[٩٨].

٥/ تطور حركات الطفل الوليد :-

في هذه المرحلة تبدأ قوى الطفل العقلية والعضلية في الانطلاق والبروز نتيجة النمو السريع ، قياسا مع المراحل الأخرى ، وبفعل التآزر الحسي والحركي الذي يمكن الطفل من السيطرة على حركاته كالجلوس والحبو والوقوف والمشي .

يقول "ابن الجزار"[٩٩] ((في هذا الجزء من السن يتحرك نمو الطفل وينهض في نشأته ويقوى على النظر إلى الأشياء وعلى سماع الأصوات ...)) ويضيف ((تنبت الأضراس للأطفال على الأمر العام في الشهر السابع من ولادتهم وربما عجل نباتها لبعضهم في الشهر الخامس من ولادتهم وربما تأخرت إلى عشرة أشهر)) ويؤكد "ابن الجزار" على تعويد الطفل على الجلوس في هذا الفصل فيقول ((وينبغي أن يجلس الصبي على الأرض ، إذا اشتد بدنه نعما وصلبت أعضاؤه وقوي على حركة الجلوس)). ويقول في إنبات الأسنان ((بعد إنبات أسنانهم إلى وقت إثغارهم ، فإن

---

(٩٨) المجوسي ؛ مصدر سبق ذكره (١٢٩٤هـ) ص ٥٣ .

(٩٩) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٦٨ .

حركاتهم في هذا الجزء تقوى وفهمهم يتزيد تزيدا ظاهرا وأذهانهم تميز الأشياء . وفي داخل هذا السن يكون الكلام والمشي والتنقل في الرضاع إلى غيره من الغذاء)). وفي كلام الطفل يقول ((ينبغي إذا قرب وقت كلام الطفل أن .... يتكلم بين يديه ويلقن لفظا خفيفا ويدرب عليه)).

ويقول "المجوسي" في ذلك ((فإذا كان وقت الفطام ابتدأ يتكلم وعلى الأمر الأكثر يكون بعد تمام سنتين))[١٠٠].

وفي مشيه يقول "عريب" ((إذا حان حبوهم بالاستقلال بالمشي أعين على ذلك وعملت له دراجة من خشب على قدر قامته تجري على فلك))[١٠١]. وقال "ابن سينا" في ذلك ((فإن أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن الحركات العنيفة ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه إليه بالطبع فيعيب ساقيه وصلبه آفة والواجب في أول ما يقعد ويزحف على الأرض أن يحمل مقعده على قطع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض وينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع أو يحمى عن التزلق من مكان عال))[١٠٢]. ويقول "البلدي" ((وليس ينبغي أن يحمل الصبيان على المشي قبل وقتهم لكيلا يعرض في أرجلهم ... اعوجاج فقد يدلك طلب الصبيان للحركة في هذه السن مبلغ ملائمة طبائعهم الرياضة فإنك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض برجليه ويطفر

---

(١٠٠) المجوسي ؛ مصدر سبق ذكره (١٢٩٤ هـ) ص ٥٢ .

(١٠١) القرطبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ٧٤ .

(١٠٢) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ١) ص ١٥٣ – ١٥٤ .

بيديه ... فإن الطبيعة * قد بلغت في القدرة على أن جعلت في جميع الحيوان الحركات الموافقة لهم في صحتهم وسلامتهم .....))[١٠٣].

نجد في هذه الأقوال المتسمة بالوضوح والبيان "لأبن سينا" و"البلدي" ، التفاتة لم ينتبه إليها إلاّ حديثا ، فقد كان الرضيع حسب العادات الموروثة يجبر على الجلوس والوقوف والمشي منذ الأشهر الأولى بعد ولادته للاعتقاد بأن في ذلك تمرينا لازما لتعويد الطفل على ذلك . وقد أثبتت الأبحاث النفسية والتربوية بأنه لكي تنمو خاصية أو مهارة في ناحية معينة لابد لعامل النضج الذي يمكن الطفل من القيام بتلك المهارة .وأن هناك ارتباطا وثيقا بين قيام الطفل بحركات الحبو والقيام والمشي وبين نمو جهازه العصبي ، فعند تكامل الأخير يستطيع الطفل تقليد من حوله سريعا إذا لم يكن مصابا بمرض يمنع ذلك كالكساح أو الشلل ، ولو لم يكن قد سبق له أن حبا أو انتصب . وعند ذلك يمكن تناول هذه المهارات بالتمرين والتعليم وإلاّ فإنه لن يتاح لها أن تصل إلى نهاية نموها الطبيعي ، بل على العكس قد يصيب رجليه بعض الأذى إذا أرغم على الوقوف والتحرك قبل أن يكون جسمه قد استعد إلى ذلك [١٠٤].

ويسمي "البلدي" الرياضة الملائمة للطفل في هذه المرحلة الحركة من النفس فيقول ((والذي يحتمله الأطفال من هذه الحركات ما كان منها حركة

(*) يتردد ذكر كلمة الطبيعة لدى البلدي وغيره من الأطباء العرب في عدة أماكن وهو خطأ متوارث من الأطباء اليونانيين . والأصح أن يقال بدلها إرادة الله .

(١٠٣) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢١٥ .

(١٠٤) محمود الحاج قاسم ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٩) ص ٧٥ .

المهود على الأسرة وعلى الأيدي وما جانس ذلك ما داموا أطفالا . وأما الحركة عن النفس فأول ما يقوى الصبيان على أن يتحركوا من قبل أنفسهم فمنذ يبتئون يجسرون ويزدادون قوة على ذلك آذان في المشي . . . فقد يدلك طلب الصبيان للحركة في هذه السن على مبلغ ملائمة طبائعهم الرياضة فإنك لن تقدر على منع الصبي من أن يركض برجليه ويطفر بيديه ولا إن منعته فإن الطبيعة قد بلغت في القدرة على أن جعلت في جميع الحيوان الحركات الموافقة لهم في صحتهم وسلامتهم))[١٠٥].

المحور الرابع/ الرعاية الصحية والبدنية بالطفل في مرحلة ما قبل المدرسة (٣ – ٦ سنوات) :

إن أهم السنوات من مرحلة الطفولة ، هي السنوات الخمس الأولى . وتكمن أهمية هذه السنوات في الدور الأساسي الذي تقوم به في تكوين شخصية الفرد بصورة تترك طابعها فيه طوال حياته ، وهذا يجعل رعاية الطفل والاهتمام به في هذه السنوات أمرا يستحق العناية البالغة . وتتميز هذه المرحلة بالنمو السريع ويكون فيها الميل إلى الحركة ، ومحاولة التعرف على البيئة المحيطة ، وتكوين المفاهيم الاجتماعية ، وبداية التميز بين الخير والشر وبين الخطأ والصواب ، وتكون بداية التحكم بأجهزة الجسم الوظيفية (الفسيولوجية) . ويسير النمو العضلي بسرعة كبيرة ، أكثر من مرحلة الرضاعة ، وهذا يزيد من وزن الطفل وتبقى العضلات الكبيرة أسرع في نموها من العضلات الصغيرة الدقيقة . ويبدأ عدد كبير من الغضاريف في

---

[١٠٥] البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢١٥ .

الهيكل العظمي بالتحول إلى عظام صلبة . لذلك فان الأطفال في هذه المرحلة يقدرون على المشي والجري والقفز .

أولا / الرعاية الصحية للطفل :

إن الصحة الجيدة في السنوات الأولى من حياة الطفل تدفع الطفل إلى الاهتمام بما يحيطه من الناس والأشياء ، والى الرغبة في التعبير عن ردود أفعال نحوهم . أما المرض فيؤدي بالطفل إلى قلة النشاط والحيوية والتفاعل مع الآخرين . ومما لاشك فيه أن تقدم الطب يحل جديدا محل القديم ولكن يجب ألاّ يغيب عن بالنا أن بعض من ذلك القديم يبقى على الأيام بما فيه من أصالة . فقد وجدنا فيما سبق في هذا البحث ، كما سنجد فيما سيأتي منه ، بأن قسما من تراث عبقريات الأطباء العرب والمسلمين في طب الأطفال وبعض النتائج والأفكار التي توصلوا إليها لا تزال تؤلف أجزاء أساسية من معارف طب الأطفال الحديث . والدارس لكتابات الأطباء العرب والمسلمين من أمثال "الرازي" و"البلدي" و"ابن الجزار" و"ابن سينا" وغيرهم يخرج بنتيجة حتمية ، بأنهم سلكوا الأسلوب العلمي الصحيح في تناولهم أمراض الأطفال . فهم يبدأون أولا بتعريف المرض ثم يذكرون أعراضه وينتهون إلى ذكر العلاج . ولكثرة مؤلفاتهم الخاصة بطب الأطفال مع تنوع الأمراض وتفاصيل علاجها ، والتي لا تسمح مساحة البحث بذكرها جميعا ، أرتئ الباحثان ذكر بعض من أشهر الأمراض التي تصيب الأطفال وطرق علاجها في هذا العمر والتي ذكرها العلماء العرب والمسلمون وبشكل مختصر وكما يأتي :-

١ / **الجدري والحصبة والحميقاء** :- إن أهم ما يسجله التاريخ بفخر "للرازي" في هذا الباب هو كونه لأول مرة في تاريخ الطب وفي كتابه (رسالة في الجدري والحصبة) فرق بين المرضين ووصف كلا على حدة بصورة تفصيلية خلافا لمن سبقه من الأطباء العرب واليونان إذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين مرضا واحدا ، وقد جاء ذكر ذلك في ثلاثة مواضع من رسالته .

ومن إضافاتهم الأخرى في هذا الباب تأكيد "ابن سينا" بأن الحصبة أكثر ما تكون عدواها في الربيع والخريف .

وكان "البلدي"[١٠٦] أول من وصف مرض الحميقاء (الجديري = الجدري الكاذب Chicken pox) حيث ميزه عن الجدري والحصبة .ويعتبر "البلدي" أول من كانت لديه فكرة الحصانة ضد الأمراض فقد أكد أن المصاب بالجدري أو الحصبة أو الحميقاء مرة لا يصاب بها مرة أخرى ، فنجده بعد ذكر علامات مرض الجدري وكيفية تفريقه عن مرض الحصبة يقول ((فأما ما يخص من ذلك فسخونة البدن كله واشتعال لونه .. وحمرته .. ووجع الظهر خاصة .. فاعلم أن الذي يظهر بالعليل جدري وبخاصة إن كان لا تجدر سيما إن كان قد حصب وظهرت به الحميقاء)) .وعند التحدث عن مرض الحصبة يؤكد نفس الفكرة فبعد ذكر العلامات الفارقة بينه وبين مرض الجدري يقول((فاعلم أنه يثور بالعليل حصبة ولا سيما إذا كان العليل لم يحصب وبخاصة إذا كان قد جدر وظهرت به الحميقاء)).

٢ / **شلل الأطفال** :- يقول "الرازي" في ذلك ((يحدث الشلل في الأطفال إما في طرف واحد أو في الجسم كله ويمنع الطفل من المشي أو أي

---

(١٠٦) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٣٢٣ .

نوع من الحركة ويحدث من سبب رطوبة لطيفة تشل العصب ، علاج ذلك إذا لم تكن من الولادة ... أن يوضع في حمام وأن تدهن مفاصل الطفل بالدهان واستعمل يوميا المعاجين التالية ...))[١٠٧]. ثم يمضي في ذكر المعاجين . و يصف "الرازي"[١٠٨] ضعف العضلات بالاسترخاء فيقول ((إذا وقع الاسترخاء بعقب مرض فاقصد أسخان تلك المواضع التي هي منابت الأعصاب فإن فيها أخلاطا باردة)). ويقول ((فإذا كان العضو عصب حسي وعصب حركي فربما حدثت الآفة بأحدهما)). وفي قسم آخر من الكتاب نفسه يتكلم على العلاج الطبيعي كالتدليك والتمارين العلاجية والحمامات المائية كلاما صائبا حيث أن ذلك معمول به الآن في علاج شلل الأطفال كما هو معلوم .

٣ / الكزاز :- يقول "الطبري"[١٠٩]عن هذا المرض ((يحدث في أفمام الصبيان علة تعرف بالاصطكاك ... وهو أن تصطك أسنانه وتبرز عيناه ، في سائر بدنه ، شبيه بالاختلاج ولم أر طفلا حدث به هذه العلة نجا منها ... ذلك هو الكزاز ولا يكاد يحدث هذا بالطفل إلاّ كانت به جراحة خفية أو ظاهرة)) كما يقول عنه أيضا ((علة في الطفل كثيرا وبالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة أطراف العضلات والأوتار ...)) إلى أن يقول ((وإذا ما استحكم واصطكت أسنانه سمي ذلك الوقت الكزاز الضاغط وقلما يتخلص منه الطفل ...)) . ويذكر من أعراض الكزاز أيضا ((العينان نانئتان وأن

---

(١٠٧) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص ٢٠ .

(١٠٨) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٠) ص ٧ .

(١٠٩) الطبري ؛ مصدر سبق ذكره ، ص ١٣ .

ترى العليل كأنه يبحث ويعرض له سهر وعسر بول وأعلم أن كل آفة يحصل في الوتر والنخاع والعضل ... وما يعرض له يعرض للدماغ)) . ومن الأعراض التي ذكرها "ابن سينا" لهذا المرض قوله ((أما علامات الكزاز ... فأن يكون كالمخنوق مختنق الوجه والعين وربما خيل أنه ... مع امتلاء العنق لا يستطيع الالتفات وربما لم يقدر أن يبول ... وربما بال بلا إرادة))[١١٠]. إن هذا الوصف الصحيح لأسباب هذا المرض وأعراضه وإنذاره ، لم يضف الطب الحديث إليها شيئا يذكر سوى مسألة الوقاية منه .

ويذكر "الرازي" ((كان صبي أصابه نخس في الجانب الأيسر من عضده في العضل فوضع الطبيب دواء قد امتحنه في جراحات أخرى فتشنج الغلام ومات لأن جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة)) نستنتج من ذلك بأن "الرازي" يعزي سبب إصابة الطفل بالكزاز إلى ضيق فم الجرح والتقيح الحادث في عمقه ويؤكد ضرورة توسيع فم الجرح وهذا ما ينصح به الأطباء اليوم في حالة مماثلة حتى اليوم[١١١].

٤/ **الديدان التي تصيب الأطفال** :- إن تعرض الأطباء العرب والمسلمين لموضوع الديدان اعتمد أساسا على شكل الديدان البالغة كما تبدو للعين المجردة ، وما كان لهم أن يذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أنهم لم تكن لديهم المجاهر التي تكشف عن دقائق تركيب هذه الديدان وأطوار نموها كالبويضات واليرقات . وللسبب نفسه لم يوفقوا في فهم مصدر هذه الديدان

---

(١١٠) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ٢) ص ١٠٢ .

(١١١) محمد كامل حسين و محمد عبد الحليم العقبي ؛ طب الرازي – دراسة تحليلية (لبنان ، دار الشروق ، ١٩٧٧) ص ٤١ .

وقالوا إنها تتوالد في الأمعاء من البلغم إذا كثر العفن مستندين بذلك على نظرية الأخلاط الأربعة [١١٢].

والمبدأ العام في علاج الديدان عندهم أن يمنعوا من المادة المولدة لها من المأكولات الرطبة اللزجة مثل الفواكه والبقول والألبان واللحم الخام . وأن تنقى البلاغم التي في الأمعاء التي منها تتولد ، وأن تقتل بأدوية هي سموم بالقياس لها .... ثم تسهل بعد القتل إن لم تدفعها الطبيعة بنفسها ولا يجب أن يطول مقامها في البطن بعد الموت ثم يصفون عشرات الأدوية (الشيح والترمس وبذر الكرفس والثوم وقشر الرمان وورق الخوخ) . أما (حب القرع) فإنها تحتاج إلى أقوى من (الإفسنتين كالسرخس) أما المحمولات فهي أولى بأن تخرج من أن تقتل إلاّ ما كان في المستقيم من صغار الديدان فهذه قد يقتلها احتمال الملح والاحتقان به ، وأقوى من ذلك احتمال النفط الأبيض أو القطران . والتعب والرياضة الشديدة قد تسهل خروج الديدان .

ويقول "ابن سينا" في كلامه على الديدان التي يصاب بها الأطفال ((وقد يتولد في بطن الصبيان دود صغار يؤذيهم ، وأكثره في نواحي المَقْعَدة ، ويتولد فيهم الطوال أيضا ، وأما العِراض فقلما تتولد))[١١٣] . ويقول "عريب" في إصابة الأطفال بالديدان الشعرية أو الدبوسية (الحرقص oxyrus وحيات البطن ascaris) ((فيولد الدود الرقيق في أسفل الأمعاء ، وتتولد الحيات

---

(١١٢) محمد كامل حسين وآخرون ؛ الموجز في تاريخ الصيدلة عند العرب ، ط١ (ليبيا) ص ٧١ – ٧٣ .

(١١٣) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره ، ص١٥٧ .

فـي أعلـى الأمعـاء))[١١٤] . ويـرى "ابـن الجـزار" ((أن الحيـات والديـدان لا تتوالد في الأطفال إلى بوجود سببين معا هما العفونـة والحـرارة الكثيرة . ويلاحظ أن الحيات (الإسكارس ascaris) تتولد في الأمعاء وقد تنتقل إلى المعدة))[١١٥].

ثانيا /الناحية العلاجية الخاصة بالأطفال :

لم يقتصر اهتمام الأطباء العرب على كيفية العناية بالطفل ونموه وتربيته فحسب وإنما اهتموا بالناحية العلاجية (الفارماكولوجية) على حد سواء ودليلنا على ذلك ما يأتي :-

تأكيدهم اختلاف الأطفال عن الكبار من الناحية الكمية للأدوية .يقول "الطبري" ((فأما الأدوية التي تستعمل في الكبار فلا تصلح للأطفال البتة ولا تحتملها معدهم ولا أمزجتهم))[١١٦]. إن تأكيد "الطبري" عن الدقة عند تقـدير العلاجـات (Dosages) لأجـل تجنـب الأخطـاء الخطـرة والتسـمم العرضي ملاحظة مهمة جدا في تاريخ الصيدلة والعلاجات .

ويقول "ابن هبل البغدادي" في نفس المعنى أيضا ((واعلم أن معالجات الأطفال والصبيان لأمراضهم الخاصة بهم متنوعة من جملة علاج الأمراض وإنما يقتصرون من الدواء ما تملكه قواهم وتراكيبهم الضعيفة))[١١٧]. وكان " الرازي " حذرا في استعمال علاج الديدان عن طريق الفم في الأطفال بل

---

(١١٤) القرطبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ١٥٩ .

(١١٥) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ١٢٤ .

(١١٦) الطبري ؛ مصدر سبق ذكره ص ٣٣ .

(١١٧) ابن هبل البغدادي ؛ مصدر سبق ذكره (١٣٦٣ هـ) ص ١٩٦ .

كان ميالا إلى استعمال المعاجين من الخارج بخلاف الكبار يقول في رسالته ((في ديدان الأطفال ليس من الصواب إعطاء علاجات قوية ليشربها ويتخلص من هذه الآفات ولكن يجب أن نختار من بينها تلك التي تستعمل خارجية))[١١٨]. و"للبلدي" ملاحظة ذكية عن اختلاف تأثير العلاجات المختلفة بالنسبة لشدة المرض وعمر المريض يقول ((وهذه وصية يجب أن تستعمل في الأطفال والصبيان في كل مرض فتقيس بين من ابتدأ بأكل الطعام وبين من لم يبتدئ بأكله بعد ، وبين من هو أقوى من المبتدئ بأكل الطعام كثيرا وقسما بين من سعيه أكثر وأقل ، وبين من هو أقوى وأضعف))[١١٩]. لقد انفرد "البلدي" في تأكيده اختلاف العلاجات باختلاف الأشخاص كما أكد ضعف تأثير العلاج على الشخص نفسه بمرور الأيام لتعوده عليه يقول ((وإن تغير الأدوية على العليل أصلح بأن تكون معالجته بها وهذا لأن الطبيعة إذا اعتادت الدواء الواحد وألفت قوته على نفعه لم يؤثر فيها أثرا حسنا كثيرا ، ولأن كل واحد من الناس ربما كان في طبعه يداوم لدواء من الأدوية دون غيره فينتفع ولا ينتفع بغيره وإن كانت قوة الدوائين واحدة في العلة الواحدة بعينها . وذلك أن الأدوية لا تسري قواها في نفسها لاختلاف ما بينها في طبائع أشخاصها وما يختص بشخص شخص منها ولا يسري فعلها في الناس كلهم في العلة الواحدة لاختلاف أشخاص الناس أيضا))[١٢٠].

---

(١١٨) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص٥٢ .

(١١٩) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢٧٢ .

(١٢٠) البلدي ؛ نفس المصدر السابق (١٩٨٠) ص ٢٩١ .

إن هاتين الملاحظتين مهمتان جدا في تاريخ الصيدلة والعلاجات وهما جديرتان بالإعجاب والعلم الحديث توصل مؤخرا إلى ذلك . يظهر جليا من استعراض الوصفات والعلاجات المركبة التي استعملوها في معالجة كثير من أمراض الأطفال على أنهم استعملوا الأوزان الصغيرة جدا ولاشك بأن استعمال مثل هذه الأوزان الصغيرة دليل على حرصهم ودقتهم في وصف العلاجات للأطفال .

ثالثا / الرعاية البدنية للأطفال :

وفي سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية نموذجا أعلى لما ينبغي مراعاته في العملية التربوية ، فلا شدة ولا غلظة ولكن رحمة ورأفة ولا كبت لغريزة فطرية وإنما توجيه لها وتهذيب[١٢١]. لذلك كان اللعب مع الأولاد وتفريحهم من عادة الرسول ، فقد جاء في حديث "جابر بم سمرة" ((إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صبية يتسابقون فجرى معهم . وكان يلقي الصبي في الطريق فيركبه ناقته ولا يزال يداعبه حتى يدخل السرور على قلبه))[١٢٢]. ولقد مر رسول الله (ﷺ)على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبي (ﷺ) فقال [**دعوهم فان التراب ربيع**

---

(١٢١) محمد عبد الستار نصار : الطفولة في ضوء معطيات الإسلام ، بحث منشور (البصرة ، الحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي ، ١٩٧٩) ص١٠ .

(١٢٢) عبد المجيد طعمة حلبي :التربية الإسلامية للأولاد منهجا وهدفا واسلوبا (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠١) ص٨٣ .

الصـــبيان] [١٢٣]. وكــان نبــي الله (ﷺ) يــدخل علــى أم المــؤمنين عائشــة (رضي الله عنها) وهي تلعب بالبنات – أي اللعب – فلا ينكر عليها[١٢٤].

وأثبتت الدراسات التربوية أن اللعب يعمل على تطوير مراكز الأعصاب الحركية والحسية وتحويلها من (لينة) تبدو غير منتجة ، إلى (صلبة) عاملة عند سن البلوغ ، وهذا ما تؤكده الأبحاث الأكثر حداثة ، إذ أن الأطفال الذين يلعبون حصلوا على نتائج أعلى في مقياس الإبداع ، إضافة إلى مهارات أكثر ومرونة أكثر في الاستعداد لحل المشاكل الاجتماعية[١٢٥]. ولعب الطفل هو نشاط حر يقوم به الطفل باختياره ، وقد يكون نشاطا فرديا أو اجتماعيا ، ويكون الهدف منه تحقيق المتعة والسعادة والاستمتاع بقدر الإمكان في وقت الفـراغ . ويعـد اللعـب وسـيلة هادفـة لاسـتغلال طاقـة الجسـم الحركيـة والذهنية[١٢٦].

---

(١٢٣) علي بن بكر الهيثمي ؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج٨ (بيروت ، مؤسسة المعارف ، ١٩٨٦) . ص١٦٢ . وقد ذكر هذا الحديث في ضعيف الجامع الصغير وزياداته للألباني (بيروت المكتب الإسلامي ، ١٣٩٩ هـ) ص ٤٦ .

(١٢٤) القرشـي ، ابـن الأخـوة ؛ معـالم القربـة فـي طلـب الحسبة (طبـع كـامبروج ، ١٩٣٧ م) ص ٣٦ .

(١٢٥) باسل عبد الجليل ؛ من كيمياء الدماغ إلى التعلم والإبداع (الدمام ، مكتبة المتنبي ، ٢٠٠٣) ص٢٣٤ .

(١٢٦) سوسن إبراهيم التركيت ؛ الأطفال واللعب (الكويت ، مكتبة الفلاح ، ٢٠٠٣) ص٢٦ .

كما اهتم علماء العرب والمسلمين بالرياضة واللعب لما لها من تأثير كبير في نموهم الجسمي والحركي ، وانعكاساته على نموهم العقلي والنفسي . فعن أهمية اللعب وتطلعا لتوفير مستوى لائق من الصحة النفسية للطفل يرى "الغزالي" (١٢٧) إفساح المجال له باللعب فيقول ((وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعلم دائما ، يميت قلبه ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا)) ويقول أيضا ((وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فانه يورث الكسل ، ولا يمنع منه ليلا ، ولا يمنع من الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضائه ولا يسمن ، ولا يعود التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم ... ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عيه الكسل)) . وطالب "ابن مسكويه" ((بتربية الطفل عقليا وخلقيا وجسميا واعتبر أن المشي والحركة والركوب والرياضة مهمة للطفل حتى لا يتعود أضدادها))(١٢٨).

ويرى " ابن سينا " (١٢٩) أن مطالب الصبي تنحصر في النوم والأكل والنظافة ويقول " ابن سينا " ((نوم ، راحة ، لعب ، غذاء ، استحمام .

---

(١٢٧) الغزالي ، أبو حامد بن محمد ؛ إحياء علوم الدين ، ج٣ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥) ص ١٦٣

(١٢٨) ابن مسكويه ، أبوعلي احمد بن محمد ؛ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق قسطنطين زويتي (بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٦٦) ص ٦٠ .

(١٢٩) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص١٥٩ .

ولا شيء سوى ذلك)) ويقول ((فإذا أنتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ، ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ، ثم يطعم شيئا يسيرا ، ثم يطلق إلى اللعب الأطول ، ثم يستحم ، ثم يغذى)). ويحدثنا عن أصناف الألعاب التي كانت متداولة بين الأطفال في زمانه فيقول ((ومن أصناف الرياضة اللطيفة اللينة ، التأرجح بين الأراجيح والمهود قائما وقاعدا ومضطجعا ، وركوب الزوارق والسماريات ، وأقوى من ذلك ركوب الخيل والجمال والعماريات وركوب العول ، ومن الرياضات القوية الميدانية (الشد) واللعب بالصولجان ، واللعب بالطبطاب ، والمصارعة ، وإشالة الحجر ، وركض الخيل واستعطافها والمباطشة بأنواعها)) ويزيد في ذلك "الجاحظ" الذي اعتبر الرياضات تدخل السرور على النفس والفرحة على القلب ، ويكتسب الإنسان من خلالها تعلمه ، وقد عدد أشهر الألعاب التي كانت سائدة في عصره ((البقيري ، عظيم وضاح ، الخطيرة ، الدارة ، الشحمة ، الحلق ، لعبة الضب))[١٣٠] وشرح الألعاب مفصلة كلا على حدة . وعن الحديث عن النشاط البدني للطفل يشير "البلدي" إلى أهمية الرياضة والحركة للأطفال ولجميع الناس كبارا وصغارا فيقول ((إن الرياضة والحركة يجب أن يكون استعمالها لكل احد لا للأطفال والصبيان فقط ، وتكون عند انهضام الأغذية المتقدمة في ابدأنهم ... وقبل استحمامهم وتمرخهم))[١٣١] .

---

(١٣٠) الجاحظ ، أبو عثمان بن بحر ؛ كتاب الحيوان ، ج١ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٦٥) ص١٣٦ .

(١٣١) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢١٤ .

ولقد كثرت ألعاب أطفال العرب حتى ليصعب على المستقصي إحصاؤها وليس للمتحقق من شك في أن أمة كالعرب اشتهرت بالشجاعة والبراعة والفروسية والسعي وبسطة الأجسام والصحة التامة . قد كثرت ألعاب أطفالها كثرة عظيمة لوثاقة الصلة بين الألعاب والقوة والفتوة والرياضة البدنية ولسنا بصدد أن نذكر هذه الألعاب هنا لضيق المجال ، ونكتفي بأن نضرب مثلا على اهتمامهم بلعب الأطفال ، وجود سوق خاص للعب الأطفال في بغداد أيام "المقتدر"[١٣٢].

المحور الخامس / الرعاية الصحية والبدنية بالطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية (٧ – ١٢ سنوات) :

وتمتد هذه المرحلة من السنة السابعة حتى الثانية عشرة ، وفيها ينمو الجسم ويزداد نشاطه ، ويكتسب قوة في العضلات ودقة في الإعمال التي تحتاج إلى تكيف حركي . وترجع قيمة هذه المرحلة إلى أنها مرحلة الدراسة الابتدائية التي يتفتح فيها العقل وتزدهر فيها العواطف ويشتد الميل الاجتماعي ، ولذلك فإنها تحتاج إلى عناية ورعاية خاصة من قبل المربين . ويشمل النمو الجسمي التطورات التي تطرأ على ملامح الجسم الظاهرة كنمو الطول والوزن والتغيرات التي تطرأ في أنسجة الجسم وأعضائه وصفاته والقدرات البدنية الخاصة .

---

(١٣٢) محمود الحاج قاسم ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٩) ص٢٢٠ .

أولا / أمراض الأطفال وعلاجاتها :

وعن أهم الأمراض التي تصيب الأطفال في هذه المرحلة العمرية ، وكيفية علاجها . يمكننا أن نوجز ما ذكره بعض علماء العرب والمسلمين ، كما يأتي :-

١/ تشنجات الأطفال والاسترخاء (مرض الصرع) :- أعطى الأطباء العرب والمسلمون لمرض الصرع أسماء مختلفة فمن ذلك (أبليمبسيا ، علة الصبيان ، ريح الصبيان ، أم الصبيان) وتكلم عنه غالبية من كتب عن أمراض الأطفال . ويقول "الطبري" عن (فسلجة الصرع) ((إن الطفل يحدث به الصرع من الدماغ ويسميه العامة ريح الصبيان ، وعلة ذلك أن لبن المرضعة يكون غليظا ثخينا فاسد الكيفية مائلا إلى البرد فتعجز طبيعة الطفل عن هضمه فيتولد منه بخارات غليظة فيملا بطون الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع))[١٣٣]. ويحدد "الرازي" فيقول ((الصرع يحدث في طريقتين ، إما أن يولد الطفل مصابا به بسبب رطوبة وعفونة باردة في المزاج الطبيعي للدماغ ، أو أن يكون عرضيا لهؤلاء الأطفال ، وعلامة كونه طبيعيا أن الطفل يولد مصابا به ، وعلامة كونه عرضيا حدوثه بعد الولادة . وشفاء النوع الأول الولادي هو ملاحظة الغذاء لأن الطفل حينما يتجاوز هذه المرحلة يشفى منه ولكن إذا لم يتحسن فإن هذا البلاء يؤدي بالطفل للوفاة))[١٣٤]. ومن جملة ما ذكره "ابن الجزار" عن هذا المرض قوله ((إذا كان ابتداءه مبدأ أول الولادة ، فالسبب فيه سوء مزاج غالب على

---

(١٣٣) الطبري ؛ مصدر سبق ذكره ، ص ٩ .

(١٣٤) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص٥٣ .

الدماغ ، إما بارد وإما رطب وأما بارد ورطب فإن لم يكن ابتداؤه مبدأ أول الولادة فحدوثه إما من سوء التدبير وإما بسبب آخر من خارج فإذا عرض فينبغي أن يعلم أن منهم من يحتاج إلى العلاج الطبي ومنهم من لا يحتاج إليه . فأما من لا يحتاجون إليه الذين حدث لهم هذا الداء في سنهم الأول ، وذلك أن برؤهم منه يكون بانتقالهم من سن الأطفال إلى سن المراهقين ... فأما الصبيان المحتاجون إلى العلاج الطبي فهم الذين يحدث لهم هذا الداء بعد ولادتهم))[١٣٥]. ربما يقصد "ابن الجزار" التشنجات الحرارية (Febrile Conveltion) والتي عادة تختفي في سن (٣ – ٥ سنة) . وبعد ذلك يؤكد "عريب" المعنى نفسه بقوله ((فإن كان التشنج من فساد اللبن أصلح ونتقل إلى لبن غيره ، وإن كان من غذاء رديء أو فزع اعترى الطفل عولج ذلك من وجهته بقطع الأسباب المولدة لها ونفيها عن المولود))[١٣٦]. أما "ابن سينا" [١٣٧] فيذكر بأن التشنج قد يحدث نتيجة البكاء ونتيجة الحمى والإسهال الشديد فيقول ((الصرع تشنج البدن كله ومنه ما يعرض للصبيان لرطوبتهم وكثرة بكائهم يتشنجون أيضا في حمياتهم وإن كانت حمياتهم خفيفة)) إلى أن يقول ((أما من جاوز سبع سنين فلا يتشنج إلاّ لحمى صعبة جدا ومن التشنج ما يعرض للخوف)) . ثم يقول ((وأما التشنج اليابس فمنه ما يكون عقب الدواء المسهل وهو رديء جدا وكذلك عقيب كل استفراغ ومنه ما يكون عقب الحميات المحرقة)). أما أهم فقرة

---

(١٣٥) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ٩٧ – ٩٨ .

(١٣٦) القرطبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ٦٨ .

(١٣٧) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ٢) ص ٩٥ – ٩٦ .

ذكرها ابن سينا فكانت تقسيمه الصرع إلى صرع كبير(Grand mal) وصرع صغير(Petit mal) حيث دعاهما بالصرع الصعب والصرع السهل فقال ((وعلامة الصرع السهل أن تكون الأعراض أسلم وأن يكون صاحبه يثوب إليه العقل بسرعة فينحدر كما يفيق ، وأن تسرع إلى إفاقته (بالعطوسات والشموعات وبما يحرك القيء مما يدخل الحلق قاء أو لم يقيء ، وعلامة الصعب منه عسر التنفس وطول الاضطراب ، ثم طول الخمود أو يطول الخمود فيه ويقل الاضطراب)) .

٢/ **أمراض الحنجرة والبلعوم** :- ويصف "البلدي"[١٣٨] الالتهاب الحاد والمزمن ضمن قوله ((قد يعرض للأطفال والصبيان كثرة الرطوبة المنحدرة إلى آذانهم وانصبابها إليها ولاسيما إذا كانت حادة أن تورم منها الآذان ، واستدلالك على ذلك بالانتفاخ والحمرة التي تظهر في آذانهم وما قرب منها وشدة الاضطراب وكثرة البكاء فيما يعرض لهم من ذلك ألم وصعوبة وخلط)) ((وإن كان كثيرا والقلق والبكاء شديدا فقطر ذلك وهو حار)) ثم يقول ((وليكن ما يقطر فاترا بمقدار ما يستلذه العليل ويسكن معه الألم وللشيء البارد خاصية في ضرر الأذن)) . إن وصفه السابق ينطبق على الالتهاب الحاد المصطحب (بارتكاس غشائي) ، وتأكيده استعمال المقطرات الساخنة قول صحيح . ويعلل "البلدي" أسباب الرعاف المتكرر والنزيف في أي مكان في الجسم تعليلا علميا قريبا لما نذكره اليوم فيقول ((إنه لكثرة الدم ، أو فساد في كيفيته)). كما وأن طريقته بوضع الفتائل في أنف الطفل ووضع الكمادات على الجبهة بين العينين لمعالجة الرعاف

---

(١٣٨) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢٦٢ – ٢٦٤ .

لا تزال مستعملة حتى اليوم . وعن سيلان الرطوبة من الأذن يقول " الرازي " [١٣٩] ((تحدث هذه العلة في الأدوار الأولى من الحياة من رطوبات الدماغ ، وعلاج ذلك يكون بوضع فتيلة من السلك القديم في أذن هؤلاء الأطفال وعندما تتشرب (ارمها وأبدلها بأخرى) لحسن الحظ ربما تشفى نهائيا بذلك ، وإذا لم تشف خذ الشب وذوبه في الخمر وشبع به الفتيلة وأدخلها في الأذن فإنها تشفى)). أما عن جريان السم من الأذن فيقول " الرازي " ((يحدث ذلك للأطفال من جراحة أو قرحة في الأذن لذلك يكتفي بتقطير عسل مغلي مع الماء وذلك لأنه ينظف السم)). ولمعالجة أمراض الأذن استعملوا أيضا القطرات الساخنة المستحضرة من النباتات مثل زيوت الأزهار والورد (من البنفسج) ودهن اللوز وزيوت أخرى مثل زيت البط .

أما عن التهاب اللوزتين فيقول "عريب" ((لأن الصبيان إذا نطقوا وقوي كلامهم وكثرت حركة ألسنتهم بالنطق سخنت اللوزتان في أصل اللسان ويصفيان الرطوبة من فضل الدم ...))[١٤٠]. وفي الجملة الأخيرة لا شك نجد إشارة من "عريب" إلى وظيفة اللوزتين . وهي ملاحظة مهمة يقره عليها العلم الحديث .

٣/ **الحصى المتولد في الأطفال** :- لقد تناول الأطباء العرب موضوع الحصى المتولد في الأطفال بطريقة علمية ، إذ تكلموا على أسباب حدوثه وكذلك عن أسباب إصابة الذكور به أكثر من الإناث ، كما ذكروا أعراض الإصابة به حسب مواضعه وكيفية تفريقه عن الأمراض الأخرى بصورة

---

(١٣٩) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص٥٥ .

(١٤٠) القرطبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٥٦) ص ٧٥ .

رائعة ، وكذلك طرق التخلص منه بالعلاج ومارسوا عملية استئصال حصاة المثانة جراحيا نذكر فيما يلي بعضا مما قالوه في هذا الباب :-

يقول "ابن الجزار" في الحصى المتولد في مثانات الصبيان[١٤١] ((وتولد الحصى مرض خاص للصبيان الذين في الدرجة الثانية ... فتجتمع في بدنه أخلاط كثيرة فينحدر من أعلاها شيء في البول إلى المثانة فتصبح مادة تولد الحصى في المثانة ... لأن عنق المثانة منه تكون ضيقة فيعوق المادة الغليظة من النفوذ)) ((وقد يتبع المتولد في مثانات الصبيان أعراض لازمة منها عسر البول ، وشدة الوجع ويجد الصبي حكة في احليله ، ويقوم من أدنى سبب وربما كان قائما أبدا)) ويضيف بقوله ((واعلم أنه لا يتولد الحصى في الجواري كما يتولد في الغلمان ، وإنما ذلك لأن المادة المولدة لا تحدث في الجواري ، وإنما صارت المادة التي يتولد منها الحصى لا تجتمع في الجواري لأربعة أسباب أحدها أن رقبة المثانة فيهن قصيرة ، والثاني أنها واسعة المجرى ، والرابع أنهن أقل شربا للماء من الغلمان)). إن تصور "ابن الجزار" لتكون الحصى من نواة يتراكم عليها أملاح مختلفة تصور صحيح وقد أجمع عليه معظم من كتبوا في هذا الموضوع من الأطباء العرب مثل "الرازي" و"عريب" و"ابن سينا" وغيرهم . أما تعليله لأسباب حدوث الحصى في الصبيان أكثر من البنات تعليل علمي في أغلبه وخاصة ذكره الفرق التشريحي بين مجرى البول في البنات عنه في الذكور مما يدل على معرفة عميقة بعلم التشريح .

---

(١٤١) القيرواني ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٦٨) ص ١٣٠ - ١٣١ .

ويضيف "ابن سينا" ملاحظة مهمة عن تكون الحصى في البلاد الباردة ((واعلم أن حصاة المثانة تكثر في البلاد الشمالية وخصوصا الصبيان))[١٤٢]. وتأكيد "الرازي" ((بأن المريض إذا ما أحس الرغبة في التبول وحبس البول فإن المثانة تتمدد ويكون الحصر ملاحظة جيدة ومقبولة وذكره تفاصيل دقيقة عن العلاج الجراحي للحصاة ومضاعفات هذه العملية يدل على علم جيد بهذا الموضوع))[١٤٣].

وعن علاج الحصى يقول "الرازي"((وعلاج ذلك في الحَمام ، حمم الطفل يوميا بماء حار وأعط العلاج التالي ، علاج مدرر ومفتت للحصى))[١٤٤]. واستعمال الأفيون بإذابته وتشريبه بخرقة وجعل الخرقة في الدبر في علاج آلام المثانة يشبه استعمال الأقماع المحتوية على الأفيون لنفس الغرض في الوقت الحاضر .

وفي الفصل الستين من المقالة الثلاثين من (كتاب التصريف) [١٤٥] يتكلم "الزهراوي" على إخراج الحصاة فيفرق بين حصاة الكلية والمثانة بشكل واضح ومن بين أقواله في هذا الباب ((ويسهل برء الصبيان منها إلى أن يبلغوا أربع عشرة سنة)) . ثم يصف العملية الجراحية لإخراج الحصاة مؤكدا بأن الشق فقط يكون على حصاة المثانة أو قناة مجرى البول ومن وصفه يتضح

---

(١٤٢) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج ٢) ص ٥٠٩ .

(١٤٣) محمد كامل حسين و محمد عبد الحليم العقبي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٧) ص ٩٦

(١٤٤) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص٥٢ .

(١٤٥) الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٣) ص ٤١١ .

لنا أنه كان يستخرج حصاة المثانة عن طريق الشق على العجان أو ما نسميه نحن(Perineal Urethrotomy) ونجده يحذر من أن يكون القطع كبيرا وإلاّ أدى إلى سلس البول(Incontinence) ونصح في حالة ما إذا كانت الحصوة كبيرة بتكسيرها بالكلاليب وإخراجها قطعا ، وهذا أول وصف في الجراحة لعملية تفتيت الحصوة التي نعرفها باسم (Litholopaxy) وكذلك ففي علاج حصاة قناة البول ، ذكر وصفا آخر لتفتيتها لم يسبقه إلى ذلك أحد . أما في الفصل الثامن والخمسين[١٤٦] ، فقد تكلم "الزهراوي" على علاج البول المحتبس في المثانة ومن جملة ما ذكره ((إذا اشتد الأمر على العليل فينبغي أن يستعمل إخراجه بالآلة التي تسمى قساطير (Catheter) وهي تصنع من فضة وتكون رقيقة ملساء مجوفة)). ثم يصف طريقة إدخال هذه (القساطير) وصفا ممتازا مازالت طريقته هي المتبعة حتى الآن في إدخال (القساطير) والممدات ومنظار المثانة . ونجد للزهراوي في كتابه أيضا وصفا لآلة هي أشبه ما تكون بالآلة التي تستعمل اليوم لحقن المثانة حيث يقول في الفصل الخاص بـ (كيف تحقن بالزراقة وصورة الآلات التي تصلح لذلك) ((إذ عرض في المثانة قرحة أو جمد فيها دم ، أو احتقن فيها قيح وأردت أن تقطر فيها المياه والأدوية يكون ذلك بآلة تسمى الزراقة)) .

---

(١٤٦) الزهراوي ؛ نفس المصدر السابق (١٩٧٣) ص ٤٠٣ .

ثانيا/ العلاج الطبيعي للأطفال :

يخصص "ابن سينا"[١٤٧] في كتابه (القانون في الطب) فصلا عن الرياضة تحت عنوان (جملة القول في الرياضة) يبين أن معظم تدبير حفظ الصحة يرجع إلى ثلاث أصول هي (الرياضة ، وتدبير الغذاء ، وتدبير النوم) . ويفصل في موضوع الرياضة الحديث بشكل رئيسي في العلاج الطبيعي وهو (الدلك) ويقسمه إلى قسمين :-

١- الدلك الخشن :- أي بخرقة خشنة فيجذب الدم إلى الظاهر سريعا .

٢- الدلك الأملس :- ويكون بالكف أو بخرقة لينة ، فيجمع الدم ويحبسه في العضو .

ثم يذكر أقساما أخرى (للدلك) من حيث علاقتها بالرياضة وهي :-

١- دلك الاستعداد :- وهو قبل الرياضة ، ويبدأ لينا ثم يشتد إذا قرب وقت الرياضة .

٢- دلك الاسترداد :- ويكون بعد الرياضة ، ويسمى (الدلك المسكن) والغرض منه تحويل الفضول المحتبسة في العضل ما لم يستفرغ بالرياضة لينتعش ، فلا يحدث الإعياء ، وهذا (الدلك) يجب أن يكون رقيقا معتدلا وأحسن ما يكون بالدهن .

---

(١٤٧) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ص ١٦١.

ويقول " ابن هبل" [148] ((وقد يحدث بسبب الإفراط في الرياضة .. آلام تسمى الإعياء .. فيجب أن يبادر الإنسان فيه إلى تقليل الرياضة ، ويستعمل الدلك اللين ، ليرطب به العضل ويمرخ بالإدهان .. ويكثر من صب الماء الفاتر العذب على الجسد ، ويقعد صاحبه في الأبزن (الحوض المليء بالماء) ويطيل القعود)) . ويضيف على ذلك ((وقد يعرض من الإعياء الورمي ، وهو الذي يحس الإنسان فيه بأعضائه كأنها وارمة ، تؤلم عند اللمس . وأكثر ما يعرض هذا الإعياء عند الابتداء بالرياضات لمن لم يعتدها .. ويجب في هذه الحال لزوم الدعة والسكون والدلك اللين من الادهان)) . ويقول "المجوسي" ((فإن من الاستحمام ما يستعمل مع الدلك ، والدلك منه ما يكون مع تمريخ بالدهن ، ومنه بغير تمريخ بالدهن))[149]. ثم يذكر "ابن خلصون" ((وللدلك منفعة عظيمة في الأبدان ، وقد كان الأوائل يستعملونه كما يستعملون الرياضة لحفظ الصحة ، وإستعماله أما بالدهن ، وأما في الحَمام أو في غير الحَمام))[150]. ويؤكد ذلك " الرازي" ((إذا استرخت الأعضاء : فأدلكها بشدة .. وإذا انقضت : فاستعمل الدلك اللين بالأشياء التي ترخي))[151] ، ويضيف على ذلك ((ومن أصابه جمود من برد ولم يبلغ حد الإياس (اليأس) منه ، فينبغي أن

---

(148) ابن هبل ؛ مصدر سبق ذكره (1956) ص 1/208 .

(149) المجوسي ؛ مصدر سبق ذكره (1294 هـ) ص 210 .

(150) ابن خلصون ؛ أبو عبد الله محمد بن يوسف ؛ كتاب الأغذية وحفظ الصحة ، تحقيق محمد العربي الخطابي (الأندلس ، دار الغرب الإسلامي ، 1988) ص134 .

(151) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (1960) ص 23 .

يسخن له الموضع .. ثم يدلك فيه بأيد كثيرة حارة جدا دلكا مسرعا لينا جميع بدنه خلا الرأس ، فانه ينبغي أن يكمد بخرقة مسخنة))[١٥٢].

ونحن نؤكد صحة هذه المبادئ والوصايا وهي أساسية ومعمول بها في وقتنا الحاضر من دون تغير ، وهذا ما يؤكده الكثير من العلماء والخبراء في مجال التربية الرياضية والعلاج الطبيعي .

ثالثا/ الرعاية البدنية للأطفال :

" وتسبب الحركة والتمارين البدنية تأثيرا عظيما في نمو الإنسان ، فقلة الحركة وتحديد النشاط الحركي يؤثر سلبا في تكوين الجسم . إذ يتواجد نشاط الأجهزة المختلفة للجسم في علاقة مباشرة مع نشاط الجهاز العضلي في مرحلة الطفولة . ويساعد النشاط الحركي في استيعاب المعلومات التي ترد في الوسط الخارجي عبر منظومة حسية ، وتتخذ هذه المعلومات أهمية معينة ليس فقط لمضاعفة كفاءة الأداء البدني والفكري ، وإنما لتكوين ذاتية الفرد أيضا[١٥٣] . أما العناية بالطفل في هذه المرحلة من الناحية البدنية والصحية فإنه يكاد يكون كالمرحلة السابقة سوى الزيادة في حركاته وتدريبه على رياضة أكثر قوة لتهيئته على ركوب الخيل وتعلم الرماية ، ولقد أدرك الأطباء والمربون العرب أهمية الصلة ما بين الجسم والعقل لذا اهتموا بالجسم

---

(١٥٢) الرازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٧٩) ص ٢٨٧ .

(١٥٣) عامر عزيز جواد ؛ تأثير التدريب الفتري مرتفع الشدة بالأسلوبين (البليومترك والدائري) في بعض المتغيرات (البايوكيميائية وديناميكية الدم) والقدرات البدنية الخاصة بلاعبي كرة السلة بعمر (١٢-١٣ سنة) ، أطروحة دكتوراه (بغداد ، جامعة بغداد ، كلية التربية الرياضية ، ٢٠٠٦) ص ٢٢ .

والتربية البدنية لاكتساب اللياقة البدنية الضرورية سواء كان ذلك للغرض العسكري أو الصحي والترويحي والنفسي والاجتماعي .

ففي الحديث قال رسول الله (ﷺ) **((حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي))**[١٥٤] . وكتب خليفة المسلمين "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه)إلى "أبي عبيدة" **(أن علموا صبيانكم العوم ، ومقاتلتكم الرمي)**[١٥٥] قال : فكانوا يختلفون بين الأغراض. وقال (رضي الله عنه) **(علموا أولادكم السباحة وأمروهم يثبوا على الخيل وثبا)**[١٥٦].

ويقول "المجوسي"[١٥٧]((وإذا جاوز الصبي هذه السنين وبلغ سبع سنين فينبغي أن يستعمل الرياضة التي لا سرف فيها ويحم بالماء المعتدل الحرارة ... ولا نطلق له الرياضة بعد الغداء ، فإذا أتى على الصبي اثنتا عشرة سنة فينبغي أن يراض الصبي فيما يحتاج إليه من التعليم والتصرف ، فان كان يراد أن يكون شجاعا بطلا ، فينبغي أن تراض أعضاءه بالحركة القوية والدلك القوي الذي يفيد الأعضاء صلابة وقوة ، ويجرأ على الأشياء التي تهاب وتخاف ليكون مقداما ، لذلك يعود الرياضة القوية والدلك القوي الشديد ويغذوا بالأغذية الكثيرة لتزيد قوة أعضائهم ، ولا يزال يفعل لهم ذلك

---

(١٥٤) انظر الجامع الصغير للسيوطي .

(١٥٥) صحيح ابن حبان (برقم ٣٠٢/١٣) . والأغراض جمع غرض ، والغرض : هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه .

(١٥٦) عبد الله ناصح علوان ؛ تربية الأولاد في الإسلام (القاهرة ، دار السلام ، ١٩٨٣) ص ٨٧٢/٢ .

(١٥٧) المجوسي ؛ مصدر سبق ذكره (١٢٩٤ هـ) ص ٥٨ .

على أن يبلغوا سن الفتوة وسن الشباب)) ويضيف أيضا ((فأما الرياضة فأنها من أفضل ما يستعمله الإنسان في حفظ الصحة وأعظمها منعة .. وذلك أنها تقوي الأعضاء وتصلبها ، وتحلل الفضول التي تبقى في الأعضاء من الغذاء ، وتقوي الحرارة الغريزية)) . ويقول "البلدي" ((فإذا تجاوز الصبي ذلك حتى تأتي له ست أو سبع سنين فقد يحمل من الحركات ما هو أقوى من ذلك حتى أنه يصير قويا على أن يألف ركوب الخيل))[١٥٨]. ويذكر "الرازي"[١٥٩] رأيه بالرياضة فيقول ((الحركة تسخن البدن .. والسكون بالضد ، وكل حركة لا تبلغ سرعتها إلى تغير النفس إلى السرعة ، فليست داخلة في حدود الرياضة)) ويقول ((ينبغي أن يرتاض كل إنسان بمقدار قوته ، ويقطع الرياضة كلما ثقل عليه ويبدأ به الإعياء)) .

وعن فوائد الرياضة للطفل يقول "الجرجاني"[١٦٠]((الأبدان المعتادة للرياضة اصبر على التعب ، وابعد عن الأمراض ، وأطول عمرا ، وأبقى شبابا وقوة ، وأكثر شهوة للطعام ، وأطيب نوما وأقوى عقلا وذهنا ، وأنجب في النسل ، وبخاصةً إن ارتاضت المرأة أيضا)) وعن أنواع الرياضة المناسبة فيقول ((والأعضاء ذوات المفاصل والعضلات والأوتار ، فأفضل رياضتها أن تحرك حركة مكانية (مثل المشي) فانه رياضة الرجلين إلى

---

(١٥٨) البلدي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص ٢١٦.

(١٥٩) الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا : المرشد أو الفصول (القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٦٠) ص٣٦ .

(١٦٠) الجرجاني ، أبو سهل عيسى بن يحيى ؛ المائة في الطب ، مخطوط رقم ٦/٢٣ (الموصل ، مكتبة الأوقاف) ص١٥٩ .

الوركين ، والعمل باليدين رياضتهما إلى الكفين ، والانثناء والانتصاب والالتواء هي رياضة الظهر والبطن . والمصارعة تجمع هذه الرياضات كلها)) . ويقول "ابن هبل" ((الرياضة ركن من أركان حفظ الصحة ، إذا أصيب منها المقدار المعتدل ومغنية عن كثير من الأدوية الاستفراغية . والرياضة المعتدلة تحلل فضول كل طعام يتقدم وتسليه وتهيؤه للخروج من مسالكه))(١٦١). ويقول "ابن سينا" ((الرياضة هي حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر ، والموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض المادية والأمراض المزاجية . ويبين كيف أن ترك الرياضة يؤدي إلى تراكم الفضلات في الجسم ويؤدي ذلك إلى الأمراض المختلفة))(١٦٢).

ويضيف " ابن خلصون" ((أما الرياضة المعتدلة فتكثر الروح الطبيعي ، وتنقي البدن من الفضول وتنميه ، وتصلب الأعضاء ، وتحفظ الصحة ، وتقوي الهضم))(١٦٣). وينصح "البلخي"(١٦٤) بقوله ((فيجب على المعني بمصلحة بدنه أن يعطيه من الحركة القدر الذي يملك فضوله ويخفف ثقله ، ويصلب لحمه وعصبه ، فيمنعها من الاسترخاء ، ويحرك أخلاط الجسد ويسخنها ويطيبها من غير أن يقع في الحركة إفراط يؤدي على التعب

---

(١٦١) ابن هبل ؛ مصدر سبق ذكره (١٣٦٣ هـ) ١٩٠ .

(١٦٢) ابن سينا ؛ مصدر سبق ذكره (ج١) ، ص١٥٩ .

(١٦٣) ابن خلصون ، مصدر سبق ذكره (١٩٨٨) ص ١٩/٢ .

(١٦٤) البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل ؛ مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيق محمود المصري (القاهرة ، منظمة الصحة العالمية ، ٢٠٠٥) ص ٤٦٧ .

والملال والنصب واللغوب ، فإن ضرر الحركة إذا أفرطت كضرر السكون إذا أفرط)) ويضيف ((وأفضل الحركات التي يستعان بها في حفظ الصحة : حركة المشي ، لان كلا من أجزاء البدن يتحرك لحركة المشي فيصيبه حظ منها ، ولذلك يسخن البدن عنها سريعا ، ويسع بها تحلل الفضول بالعرق منها)) .

استنتاجات البحث

إن الاهتمام برعاية الأطفال ضرورة لتحضر الشعوب والمجتمعات ورقيها ، فضلا عن كونها مطلبا إنسانيا أساسيا . وكلما تقدم المجتمع وازداد تحضرا ازداد اهتمامه بالأطفال وازدادت أوجه الرعاية التي يقدمها لأطفاله . ولهذا من خلال البحث استنتج الباحثان ما يأتي :-

١/ يؤكد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، الحقوق الإنسانية الملزمة للمسلمين في رعاية الطفل . ولا شك في أن هذه الآيات والأحاديث كانت مصدرا لكثير من الآراء العلمية والأبحاث الطبية والنفسية والتربوية قديما وحديثا . وقد اعتنى الدين الإسلامي بالأطفال وسن لهم الحقوق التي يجب توفيرها لتنشئتهم تنشئة سليمة .

٢/ إن دارس كتابات الأطباء العرب والمسلمين يخرج بنتيجة هي أنهم سلكوا الأسلوب العلمي الصحيح ، في تناول أمراض الأطفال . وان تراث عبقريات الأطباء العرب والمسلمين لا تزال تؤلف أجزاء أساسية من معارف طب الأطفال الحديث .

٣/ إن الرعاية البدنية أمر ضروري حث عليه الدين الإسلامي . وجعل من حقوق الطفل على والديه الاهتمام برعايته بدنيا وجسميا . واهتم علماء العرب والمسلمين بالتربية الرياضية التي شرعها الإسلام ، والتي تنشط العضلات وتقوي الجسم وتنمي الإرادة والاعتماد على النفس .

مصـــادر :

* القرآن الكريم

* الحديث النبوي الشريف / الصحاح والسنن والمساند

١/ ابن القيم الجوزية ؛ تحفة المودود في أحكام المولود (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٩)

٢/ ابن النفيس ، علاء الدين ابو الحسن ؛ شرح تشريح القانون () www.kotobaraia.com

٣/ ابن خلصون ، أبو عبد الله محمد بن يوسف ؛ كتاب الأغذية وحفظ الصحة ، تحقيق محمد العربي الخطابي (الأندلس ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨)

٤/ ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛ القانون في الطب ، ج١ (بيوت ، مطبعة دار صادر ، ب.ت)

٥/ ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛ القانون في الطب ، ج٢ (بيروت ، مطبعة بولاق ، ب.ت)

٦/ ابن مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد ؛ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق قسطنطين زويتي (بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٦٦)
٧/ ابن هبة الله ، أبي الحسن سعيد ابن الحسين ؛ كتاب خلق الإنسان ، تحقيق كمال السامرائي (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠)
٨/ ابن هبل البغدادي ؛ المختارات في الطب ، ط١ (حيدر آباد ، دار المعارف العثمانية ، ١٣٦٣ هـ)
٩/ إخوان الصفا وخلاف ألوفا ؛ رسائل إخوان الصفا ، ج١: ٤ (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٥)
١٠/البلخي ، أبي زيد احمد بن سهل ؛ مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيق محمود المصري (القاهرة ،منظمة الصحة العالمية ،٢٠٠٥)
١١/البلدي ، احمد بن محمد ؛ تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم ، تحقيق محمود الحاج قاسم (بغداد ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٠)
١٢/الجاحظ ، أبو عثمان بن بحر ؛ كتاب الحيوان ، ج١ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٦٥)
١٣/الجرجاني ، أبو سهل عيسى بن يحيى ؛ المائة في الطب ، مخطوط رقم ٦/٢٣ (الموصل ، مكتبة الأوقاف)
١٤/الخطابي محمد العربي ؛ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ،ج١ (بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،١٩٨٨)

١٥/الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، رسالة في أمراض الأطفال ومعالجتهم ، ترجمة محمود الحاج قاسم ، بغداد ، طبع بالرونيو ، ١٩٧٩)
١٦/الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ الحاوي في الطب ، ط١، ج٩ (حيدر اباد ، دار المعارف العثمانية ، ١٩٦٠)
١٧/الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المرشد أو الفصول (القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٦٠)
١٨/الزهراوي ، أبو القاسم خلف ؛ التصريف لمن عجز عن التأليف (لندن ، مطبعة لندن ، معهد ويلكم ، ١٩٧٣)
١٩/الطبري ، احمد بن محمد ؛ المعالجة البقراطية (مصر ، دار الكتب المصرية)
٢٠/الغزالي ، أبو حامد بن محمد ؛ إحياء علوم الدين ، ج٣ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥)
٢١/القرشي ، ابن الأخوة ؛ معالم القربة في طلب الحسبة (لندن ، طبع كامبردج ، ١٩٧٣)
٢٢/القرطبي ، عريب بن سعد الكاتب ؛ خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين (الجزائر ، مكتبة فراريس ، ١٩٥٦)
٢٣/القرطبي ؛ أبو عبد الله محمد بن احمد ؛ الجامع لإحكام القرآن ، ج١٧ (دار الكتب ، لبنان)
٢٤/القيرواني ،ابن الجزار ؛ سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق حبيب الهيلة (تونس ، مطبعة المنار ، ١٩٦٨)

٢٥/المجوسي ، علي بن العباس ؛ كامل الصناعة الطبية ، ج١ (القاهرة ، المطبعة الكبرى بالديار المصرية ، ١٢٩٤ هـ)
٢٦/ المسوي ، أبو الحسن الرضا ؛ نهج البلاغة ، مركز الإشعاع الإسلامي www.Islam٤u.com
٢٧/باسل عبد الجليل ؛ من كيمياء الدماغ إلى التعلم والإبداع (الدمام ، مكتبة المثنى ، ٢٠٠٣)
٢٨/ثابت بن قرة ؛ الذخيرة في علم الطب (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٢٨)
٢٩/حسن ملا عثمان ، الطفولة في الإسلام ومكانتها وأسس تربية الطفل (الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٢)
٣٠/حسين محفوظ ؛ نظرة إلى الطفل في التراث العربي ، بحث منشور (بغداد ، المؤتمر القطري للطفولة ، ١٩٧٩)
٣١/داؤد الأنطاكي ؛ تذكرة الألباب والجامع للعجب العجاب (القاهرة ، مطبعة محمد علي ، ١٣٥٦ هـ)
٣٢/سهام مهدي جبار ؛ الطفل في الشريعة ومنهج التربية النبوية ، ط١ (بيروت ، المكتبة العصرية ،١٩٩٧)
٣٣/سوسن إبراهيم التركيت ؛ الأطفال واللعب (الكويت ، مكتبة الفلاح ، ٢٠٠٣)
٣٤/عائشة عبد الرحمن جلال ؛ المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها (جدة ، دار المجتمع ، ١٩٩١)

٣٥/عامر عزيز جواد ؛ تأثير التدريب الفتري مرتفع الشدة بالأسلوبين (البليومترك والدائري) في بعض المتغيرات (البايوكيميائية وديناميكية الدم) والقدرات البدنية الخاصة بلاعبي كرة السلة بعمر (١٢-١٣ سنة) أطروحة دكتوراه (بغداد ، جامعة بغداد ، كلية التربية الرياضية ، ٢٠٠٦)
٣٦/عبد الله ناصح علوان ؛ تربية الأولاد في الإسلام (القاهرة ، دار السلام ، ١٩٨٣)
٣٧/عبد المجيد طعمة حلبي ؛ التربية للأولاد منهجا وهدفا وإسلوبا ، ط١ (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠١)
٣٨/علي بن حسام الدين ؛ كنز العمال (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩)
٣٩/فاخر كامل ؛ معالم التربية – دراسات في التربية العامة والتربية العربية ، ط٥ (بيروت ، دار العلم ، ٩٨٣)
٤٠/محمد عبد الستار نصار ؛ الطفولة في ضوء معطيات الإسلام ، بحث منشور (البصرة ، الحلقة الدراسية حول الطفل في الخليج العربي ، ١٩٧٩)
٤١/محمد كامل حسين وآخرون ؛ الموجز في تأريخ الصيدلة عند العرب ، ط١ (ليبيا)
٤٢/محمد كامل حسين ومحمد عبد الحليم العقبي؛ طب الرازي – دراسة تحليلية (لبنان ، دار الشروق ، ١٩٧٧)

٤٣/محمود الحاج قاسم ؛ تأريخ طب الأطفال عند العرب ، ط٣ (بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٩)

٤٤/محمود الحاج قاسم وعامر عزيز ؛ التغذية العلاجية في التراث الطبي العربي والإسلامي ، بحث منشور ، المجلد الستون ، الجزء الثاني (بغداد ، مجلة المجمع العلمي ، ٢٠١٣)

٤٥/محمود الحاج قاسم وعامر عزيز جواد ؛ التمارين العلاجية (الرياضة الطبية) في التراث الإسلامي ، بحث منشور ، المجلد التاسع والخمسون ، الجزء الثاني (بغداد ، مجلة المجمع العلمي ، ٢٠١٢)

٤٦/مصطفى جواد ؛ الطفل عند العرب ، بحث منشور (بغداد ، المؤتمر القطري للطفولة ، ١٩٧٩)

٤٧/مصطفى جواد ؛ الطفل عند العرب ، بحث منشور (بغداد ، المؤتمر القطري للطفولة ، ١٩٧٩)

٤٨/وهبة الزحيلي ؛ الفقه الإسلامي وأدلته (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٥)

التورية في عصر بنـي الاحمر

الدكتورة بان كاظم مكي
الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

الملخص :

يأتي هذا البحث الموسوم بـِ (التوريـة في عصر بنـي الاحمر) فـي مجال الدراسات الأدبية التي تُعنى بأدب الأندلسيين .

وتسعى الباحثة من هذه الدراسة إلى استجلاء صورة هذه الظاهرة في بيئتها الأدبية ، وإماطة اللثام عنها ؛ مما يشكّل إضافة علمية جديدة في الدراسات الأدبية ، تستحق البحث .

وللوصـول إلـى غايـة البحـث فقد تـمّ تقسيمه الـى مـذهب الصـنعة البديعيـة و مـذهب الصـنعة البديعية فـي عصر بنـي الاحمر و التوريـة فـي عصر بني الاحمر وتم تقسيمه الى اولا : التورية بآيات من القران الكريم و ثانيـا : عنـاوين الكتـب و ثالثـا : التوريـة بـبعض المصـطلحات العلميـة والادبيـة و رابعـا : التوريــة بذكـر الأعـلام مـن الفقهـاء والقـراء والأدبـاء و التورية في الموشحات .

مذهب الصنعة البديعية :

طغى علم البديع على كل المذاهب الفنية المعاصرة ، ومن فنون البديع التورية التي غدت هدف كل شاعر و كثر التأليف عنها و دعاها البلاغيون بأسماء شتى منها (الإيهام) ، و(التوجيه)[1] ، و(التخيير) ، و(المغالطة) ، و(الإشارة)[2].

والتورية اهم مظهر من مظاهر الرمزية ، والقدماء لم يأبهوا بها ويدأ الاهتمام بها في العصر العباسي فكثرت وشاعت بين الشعراء وعقدوا صورها بيد أنهم لم يتخذوها مذهبا خاصا ، اما في القرنين السادس والسابع الهجريين فقد تطورت التورية واصبحت مذهبا شعريا خاصا سماه النقاد الاقدمون

---

[1] التوجيه : هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء كهجاء ، ومديح ، ودعاء للمخاطب ، أم دعاء عليه ، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه والتورية تكون في لفظ واحد . والتوجيه يكون في تركيب ، أو جملة أسماء متلائمة ، والتورية يقصد المتكلم بها معنى واحدا ، هو البعيد . والنوع الأول من التوجيه لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر. ولفظ التورية : له معنيان بأصل الوضع ، ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تح : عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، دار البحار، ٢٠٠٤م ، ج١ / ص٣٠٤.

[2] ينظر : البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقذ ، تح : الدكتور أحمد أحمد بدوي ، مطبعة الحلبي للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٦٠، ص١٨٨ ، ودراسات فنية في الادب العربي ، عبد الكريم اليافي ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص١٧٣، ١٧٤ .

مذهب السحر الحلال الذي يجب أن يتحلى به كل شاعر و ناثر وإلا عد مقصرا عن أقرانه في حلية هذا الفن البديعي[٣].

ويمكننا أن نتبين في هذا المذهب اتجاهين : ظهر اولهما في مصر على يد القاضي الفاضل (ت٥٩٦) في القرن السادس ، و ظهر ثانيهما في بلاد الشام على يد شرف الأنصاري (ت ٦٦٢) في القرن السابع ، وقد تتابع هذان الاتجاهان في مصر و الشام في القرن الثامن ليقوم عليهما مذهب عربي واحد . وهكذا اصبحت التورية غرضا في ذاتها يعمل الشاعر من أجله شعوره و فكره ، إذ تعتمد على الجهد العقلي ، لكنها تبرز و قد اكتست بثوبها الرمزي الجميل الذي طبعها بطابع الانسجام و السهولة وهذه الصفة ميزت بين الاتجاه الشامي و الاتجاه المصري الذي طبع بطابع التكلف و التصنع في هذا الفن ، حتى إذا قامت الوحدة السياسية رأينا وحدة فكرية ناضجة في القرن الثامن الهجري على يد ابن نباتة المصري[٤].

مذهب الصنعة البديعية في عصر بني الاحمر :

عاش الاندلسيون في بيئة مترفة لاهيه وحضارة مزدهرة دفعت الشعراء الاندلسيين الى تجويد اشعارهم والعناية بها وتزيينها بأنواع الصنعة البديعية لتتناسب مع روح العصر السائدة آنذاك ، وكان للتأثيرات المشرقية دور كبير في توجيه شعراء الاندلس نحو الصنعة والتكلف في بعض اشعارهم ، ولفت انظارهم الى المحسنات البديعية التي سبق أن ظهرت في المشرق وتوسع

---

[٣] ينظر : الادب في بلاد الشام ، عمر موسى باشا ، المكتبة العباسية ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ج١ /٤٦٠_٤٦١.

[٤] ينظر : الادب في بلاد الشام ، ج١ /٤٦٠-٤٦١ .

فيها المشارقة فشغلت فنونهم المختلفة الجزء الاكبر من نتاجهم الشعري خاصة والادبي عامة ولكن الاندلسيين لم يسرفوا في استعمالها اسراف المشرقيين[٥].

ازدهر علم البديع في الاندلس في القرن الخامس الهجري ازدهارا ملحوظا ، حاول شعراء هذا العصر مجاراة نظرائهم في المشرق من شعراء العصر المملوكي الذين اسرفوا في البديع اسرافا بالغا ، ولكن شعراء الاندلس في القرن الخامس لم يسرفوا اسراف المشرقيين فضلا عن تعبيرهم باستعمال البديع عن اذواقهم وميلهم الى التأنق والزينة ، كما الفوا العديد من الكتب في البديع منها كتاب (تسهيل السبيل الى تعلم الترسيل) لأبي عبد الله الحميدي ، وكتاب (احكام صنعة الكلام) للكلاعي ، وكتاب (المرقصات والمطربات) لابن سعيد ، وغيرها من الكتب التي تناولت تجويد الشعر والعناية به[٦].

اما في عصر غرناطة فقد شاع البديع شيوعا كبيرا ولقي اقبالا ملحوظا في التأليف والدراسة من نقاد الشعر والبلاغيين في الاندلس في عصر بني الاحمر، ولعل الحياة الاجتماعية من اسباب شيوع هذه الظاهرة في عصر غرناطة ، فقد كان الناس متأثرين بمظاهر عصرهم التي تتجه نحو الترف والزخرف المبالغ فيه كما ساعدت الحياة الثقافية على الميل نحو هذه الظاهرة

---

[٥] ينظر : اتجاهات نقد الشعر في الاندلس ، مقداد رحيم ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٣ ، ط١ ، ص٢٢٤.

[٦] تاريخ النقد الادبي عند العرب ، احسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٨، ص١٢٠.

فقد بدأت غرناطة حياتها الادبية في عصر اشتد فيه إقبال الناس على البديع وتجويد الشعر فاظهر شعراؤها عناية فائقة به في الاساليب التعبيرية[٧].

ويبدو أن اهتمام الشعراء في عصر غرناطة بمذهب الصنعة راجع الى عوامل عدة ، منها اعتبار التفنن بأصناف البديع المختلفة نوعا من انواع الابتكار والتجديد ، وان مقدار جمال الشعر لا يقاس الا بمقدار ما فيه من تحسين معنوي ولفظي ، فضلا عن كون الشعراء يجيدون الكتابة النثرية ايضا ، اذ اجادوا كتابة الرسائل على وفق اساليب العصر القائمة على السجع والتقسيم والترصيع والجناس والطباق[٨].

وجود بعض المؤلفات التي يحض اصحابها على تمثل الصنعة اللفظية على الرغم من ((اننا نفتقر في هذا العصر الى شخصية متخصصة عنيت بالنقد مبحثا قائما))[٩] ، ومن هذه المؤلفات : كتاب (الوافي في النظم والقوافي) لابي البقاء الرندي وقد جعله في اربعة اجزاء افرد الجزء الثاني للحديث عن محاسن الشعر وبديعه ومعانيه ، اذ جعله في اربعين بابا ذكر فيها المؤلف طائفة من الفنون البديعية والبلاغية ، وكتاب (التسهيل لعلوم التنزيل) الذي الفه محمد بن احمد بن جزي الكلبي وافاض الحديث فيه

---

[٧] ينظر : اتجاهات نقد الشعر في الاندلس ، ص٢٢٤.

[٨] البديع في نقد الشعر ، ص١٨٨.

[٩] نثير فرائد الجمان ، اسماعيل بن الاحمر . المقدمة ، تح : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ١٩٦٧ ، ص١٩٣ .

عن علم البديع وصناعته ، اذ يعتبر هذان الكتابان وغيرهما معينا لا ينضب لمن اراد السير على مذهب الصنعة بمحسناتها البديعية المختلفة[١٠].

ونظام البديعيات ونشاطه على يد بعض الشعراء الاندلسيين والمشارقة يمثل مذهب الصنعة والتكلف خير تمثيل ، فالبديعيات قصائد طوال تقال في مدح الرسول(ﷺ) وتنظم على البحر البسيط ويتضمن كل بيت من ابياتها فنا من فنون البديع التي اطلق عليها المحسنات البديعية في عرف اهل البلاغة التي تضم الوجوه اللفظية والمعنوية لتحسين الكلام كالجناس والموازنة والطباق والتورية[١١] ، اذ شهدت هذه الفنون عناية وابداعا على يد النقاد والادباء ولعل من اشهر القصائد التي عنيت بالبديع في عصر غرناطة بديعية ابن جابر الهواري الضرير المعروفة بـ (بديعية العميان) ويرى الدكتور زكي مبارك ان ابن جابر كان اول من ابتكر هذا الفن الجديد[١٢].

استعمل شعراء الاندلس في عصر سيادة غرناطة الصنعة في بعض اشعارهم مما جعلهم يتجهون اتجاها خاطئا في فهم الشعر وادراك مهمة الشاعر، ذلك ان مذهب الصنعة كثيرا ما يؤدي الى انعدام الاحساس بالتجربة الشعرية ، فلم يكن اهتمامهم منصبا على الاغراض الجادة ذات المضامين العميقة التي كان يأتي البديع فيها عفو الخاطر ، من خلال استعمالهم للبديع بلا تكلف وانما تكلفوا البديع في الاغراض الفكاهية ، لقد

---

(١٠) ينظر : تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، محمد رضوان الداية ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٣، ص ٥٤٩ – ص ٥٥٠ .

(١١) ينظر : البديع في نقد الشعر ، ص ١٨٨.

(١٢) المدائح النبوية ، زكي مبارك ، مطبعة بابي الحلبي ، مصر ، د. ت ، ص١٦٩.

شغف الغرناطيون بمختلف اساليب التحسين المعنوي واللفظي ، واهم ما كان في التورية والجناس والطباق والتضمين والاقتباس واستحضار الفاظ العلوم ومصطلحاتها لخدمة معانيهم بحيث خصت هذه المحسنات بالدراسة وجمع الشواهد من قبل معظم اعلام هذا العصر وقد عدوا التورية من اعلى فنون البديع وتنافسوا في الاتيان بكل بديع منها ، وعبروا بها عما يختلج في نفوسهم من شوق وحنين وحزن والم وساعدهم على ذلك طبيعة بلادهم الخلابة [١٣].

التورية في عصر بني الاحمر :

التورية لغة : مصدر ورَّيت الخبر تورية : إذا سترته ، وأظهرت غيره[١٤].

وتعني في الاصطلاح : أن يطلق لفظ له معنيان قريب غير مراد وبعيد هو المراد ، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب ، وهو يريد المعنى البعيد[١٥] ، مثال قول الله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ))[١٦] ، أراد بقوله

---

[١٣] اتجاهات نقد الشعر في الاندلس ، ص٢٢٤.

[١٤] ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج١٥ / ص ٣٨٩.

[١٥] ينظر : البديع في نقد الشعر ، ص٦٠ ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها الدكتور احمد مطلوب ،مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ٢٠٠٧ ، ص٤٣٣ ، ٤٣٤ . والادب في بلاد الشام ، ج١ /٦٥٥-٦٧٦ . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ،مكتبة لبنان ، ص ٧١ .

[١٦] سورة الانعام ، الآية ٦٠ .

(جرحتم) معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب ، ولأجل هذا سميت التورية ، والتورية لون من الوان علم البديع ، وقد اعتنى الأندلسيون بهذا النوع من البديع في عهد بني الأحمر لأهميتها اذ يتداولونها حفظا ويطرقونها ابداعا ونتاجا وتأليفا [١٧].

وقد حرص المتأخرون على تحصيل التورية ، وتدنت ابنيتها عند بعضهم ، قال : ((وقد رأيت كثيرا من المتأخرين كثرت رغبتهم في التورية ، واشتد حرصهم على تحصيلها حتى أتوا بها واهية الأبنية ، واستعملوا فيها الألفاظ المبتذلة))[١٨] ، ثم وضعوا شروطا للتورية : ((وإنما ينبغي أن تكون بالألفاظ المصونة والمنزلة منزلة الجواهر المكنونة))[١٩] ، وهذا دليل العناية بها في ذلك العصر ، وعلى الرغم من شهرتها ووضوحها وتميزها عن سائر الأنواع البديعية لم يذكرها إسماعيل بن الأحمر ضمن كتابه (نثير الجمان)[٢٠] ، ولكنه اورد لها أمثلة تفوق أمثلة بقية المحسنات[٢١].

---

[١٧] ينظر : الحركة الشعرية زمن المماليك ، محمد مصطفى هدارة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٨٦، ص٢٦٩. وخزانة الأدب وغاية الأرب ، ج٢/٢٤٣.

[١٨] طراز الحلة وشفاء الغلة في شرح الحله السيراء في مدح خير الورى ، ابو جعفر الرعيني ، تح : الدكتور رجاء السيد الجوهري ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٤٧٥ .

[١٩] طراز الحلة وشفاء الغلة ، ص ٤٧٥ .

[٢٠] ينظر : نثير الجمان ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي ، تح : الدكتور محمد رضوان الداية ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٨٧، ص ٥٤ – ٥٥ .

[٢١] المصدر نفسه ، ص ٣٠٠-٣٠٣ .

كما اهتم بها لسان الدين بن الخطيب وأتى لها بالأمثلة ، واعتبرها عمدةً في باب (السحر) لما تحركه من قوة التعجب[(٢٢)] ، ويورد ابن عزيم في مختاراته أمثلة يرى أنها جديرة بالانتقاء بين ما اختاره من المقطوعات التي ((تُسفر عن بيانها المُغرب ، وتأتي من أنواع البديع بكل مرقص ومطرب)) [(٢٣)].

كما افرد بعض الشعراء للتورية مجموعات شعرية خاصة منهم ابن خاتمة في مجموعته الشعرية (رائق التحلية في فائق التورية) [(٢٤)] ، وهو عبارة كما ذكر المقري عن مجموعة أبيات شعرية تتعلق بالتورية من نظم أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ، وهو صاحب كتاب (مزية المرية) واختيار أحد تلامذته المعجبين به . وهو الوزير أبو

[(٢٢)] ينظر : السحر والشعر ، لابن الخطيب ، تح : الدكتور خالد الجبر و الدكتور عاطف كنعان ، دار جرير للنشر ، عمان ، ص٢٥.

[(٢٣)] مختارات علي بن عزيم الغرناطي ، تح : وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٣ م ، ص٢٤ ، وأمثلتها من صفحة ٢٦ وما بعدها .

[(٢٤)] ينظر : نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني ، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت – لبنان ، ج٨/ ص ١١٤، وينظر : الإحاطة في اخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٤ هـ ، ج ١/ ص ١١٤، وينظر : الكتيبة الكامنة ، ابن الخطيب ، تح: إحسان عباس . دار الثقافة بيروت ،١٩٨٣ ،ص ٢٣٥، وينظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ص ٥١.

جعفر أحمد بن زرقالة[٢٥] ، وتمتاز هذه الاختيارات أو المنتخبات بذكر بعض بواعثها ، مما يكون نظرة تاريخية تتعلق بحياة بعض الأدباء الأندلسيين الذين اشتهروا في القرن الثامن الهجري بحسن أساليبهم وجمال تعابيرهم ، وقوة بيانهم ، وسعة معرفتهم ، ونذكر منهم على سبيل المثال، لسان الدين بن الخطيب ، وأبا البركات ابن الحاج البلفيقي ، وأبا عبد الله بن جزي ، وأبا القاسم بن رضوان ، والشريف الغرناطي المعروف بأبي القاسم السبتي ، وغيرهم من الأدباء ، الذين كانت لهم علاقات طيبة بابن خاتمة ، فدون أسماءهم، وسجل بعض أخبارهم ، وجعلهم ضمن إنتاجه الأدبي ، الذي اختار منه جامع هذا الكتاب نبذة تتعلق بأسلوب التورية، وما يتناسب معها ويظهر من مقدمته ان جامع هذه المنتخبات كان معجباً بشعر ابن خاتمة، فهو يعتبره نموذجا مثاليا لجمال الأداء ، وصورة حية لموهبة خلاقة حافظت على سنن العرب الأقدمين، وورثت عنهم ما يحلو من الأنغام ، وما يعذب من المعاني[٢٦].

وبعد ذكر هذه المقدمة شرع في ذكر الأبيات التي اختارها ، وهي متعددة الإحالات ، لا تقتصر على التورية التي ذكر وإنما تتعداها إلى غيرها

---

[٢٥] ابن زُرقالة (٦٨٣ – ٦٠١) أحمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن أحمد بن علي ، أبو جعفر وأبو العباس ، القيسي المعروف بابن زرقالة : أديب ، له شعر. من أهل المريّة بالأندلس ، مولدا ووفاة ناب عن قاضيها ، وكان حسن الخط المشرقي . جمع ما أنشده أحمد بن علي ابن خاتمة من نظمه في التورية ، وسماه (رائق التحلية في فائق التورية) ، ينظر : فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، تح : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ط١، ١٩٧٣ ، ج١/ ص٧٢.

[٢٦] ينظر : تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، ص٢٦٩.

من ألوان البديع كالجناس ، والتخيير والتضمين ، والاقتباس ، إلا أن اللون الغالب عليها هو المتعلق بالتورية التي استعمل فيها كثيرا من المصطلحات العلمية ، واستغل فيها كثيرا من أسماء بعض الكتب ، أو بعض أسماء أعلام مشهورين في الفقه ، والأدب ، واللغة ، والتفسير ، والقراءات ، وغيرها ، ومع ذلك فإن التورية إذا تجاوزت حد البداهة صارت تكلفا ، ولم تبق لها تلك الجمالية التي تحيط بها ، ولعل الشعراء المبدعين كانوا يعرفون ذلك ، فلم يستعملوها إلا إذا اهتزت نفوسهم لمحاسنها، وطاوعتهم أقلامهم لرسم بدائعها ودقائقها ، ونحن إذا وازنا بين الشعر الذي استعمل فيه ابن خاتمة التورية وبين شعره المطلق فإننا سنرى أن شعره المطلق كان أكثر تأثيرا ، وأقوى مفعولا في نفوس سامعيه ، وعلى كل حال فإن ابن خاتمة كان من أشعر أدباء الأندلس في القرن الثامن الهجري شعرا ونثرا، أعجب به جل الذين ترجموا لحياته وادبه [٢٧].

ومن الادباء الذين تميزوا على مستوى الإبداع الشعري ، ابن جابر الهواري ، الذي خصص قصيدةً مطولة للتورية بأسماء السور القرآنية وهي في مدح الرسول(ﷺ) ، وسماها : ((الحلة السِيَرا في مدح خير الورى)) التي عرفت فيما بعد ببديعية العميان ، لأنه كان أعمى ، قال عنها المقري بأنها من غرر القصائد ، وان جماعة عارضوها فمت شقوا غبارها[٢٨]، وقال عنه الرعيني انه ((طرز بالتورية برودها ، وحسن في ذلك صدورها

---

[٢٧] ينظر : نفح الطيب ، ج ٦ / ص ٧٩.

[٢٨] ينظر : المصدر نفسه ، ج٧ / ص ٣٢٣ - ٣٢٦ وبعدها أورد المقري بعض معارضاتها .

وورودها ، ورى فيها بسور القرآن كلها على الترتيب ، فجاء بالحسن النادر ، والمعنى الغريب))[٢٩] ، و أبو جعفر الرعيني صديق ابن جابر الهواري وهو شارح بديعيته بكتاب اسمه ((طراز الحلة وشفاء الغلة)) [٣٠]. وأول البديعية :

بِطَيبَةَ انزِل وَيَمِّم سَيِّدَ الأُمَمِ وَانشُر لَهُ المَدحَ وَانثُر أَطيَبَ الكَلِمِ [٣١]

وقد وصل إليها ابن جابر بتطويره للمدحة النبوية ، ويتأثره ببردة البوصيري الشهيرة من جهة ، وبالنظم العلمي الذي برع فيه من جهة ثانية ، وابتكر بها فنا كبيرا من فنون الأدب العربي فكان رائدا له ، وهو فن البديعيات ، وهي قصائد ميمية من البحر البسيط في المديح النبوي يحتوي كل بيت منها نوعا من أنواع البديع ، ولكنه يحتاج إلى شرح واف حتى يفهم[٣٢]. ومن الباحثين من جعل مبتكرها صفي الدين الحلي ، وهو معاصر له، ولقد رجحت سبق ابن جابر لأنهما متعاصران، ولأن شارحها أبا جعفر قد صرح بسبقها، وهو معاصر لابن جابر وللحلي معا . ولأن بديعية الحلي تفوّقت على بديعية ابن جابر ، الأمر الذي يشير إلى أنه قد أفاد من قصيدة ابن جابر وتلافى ما رآه فيها من مواضع ضعف . ومهما يكن من أمر فإن

---

[٢٩] طراز الحلة وشفاء الغلة ، ص ٤٧٥ ، ص ٤٥٠ ، ص ٤٨٠ .

[٣٠] ينظر : المدائح النبوية ، ص ٢١٣.

[٣١] شعر ابن جابر الاندلسي ، الدكتور احمد فوزي الهيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ،٢٠٠٧، ص١٣٤.

[٣٢] ينظر : المدائح النبوية ، ص ٢١٣.

ابن جابر في صنيعه هذا قد غدا مَعْلما من معالم الأدب والبلاغة في تاريخ اللغة العربية ، ولقد أثنى عليها السيوطي ووصفها بعلو نظمها[٣٣].

وعلى الرغم من أن جل اهتمام ابن جابر قد انصب على الجانب البلاغي فيها ، إلا أنه سار في معانيها سيره من معاني غيرها من مدائحه النبوية تقريبا ، لذلك لا نجد في معانيها جدة أو جهدا يوازي الجهد المبذول في الجانب البلاغي منها . إنه بدأها بذكر طيبة والدعوة لزيارة الرسول (ﷺ)، وضمنها تغزلا نبويا ، ثم مدح الرسول ، وتحدث عن بعض معجزاته وختمها بالاعتذار منه ، لأنه لم يستطع أن يوفيها حقه في المديح مهما أطال[٣٤].

ويمكن تتبع استعمالات التورية في مجالات مختلفة يتجلى بعضها فيما يأتي :

اولا : التورية بآيات من القران الكريم :

كان الفن يغالب الصنعة في المدائح النبوية، في حين غلبته الصنعة في هذه البديعية ، واتضح ذلك وقوي فيما جاء بعدها من بديعيات ، لا نستطيع أن نجد فيها للفن إلا رسوما دارسة وظلالا باهتة ، اذ عمد فيها ابن جابر الهواري إلى التورية بسور القران الكريم بأسلوب يميل إلى التكلف والتصنع ، يقول :

---

[٣٣] ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ط٦ و دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣٦١ .

[٣٤] ينظر : الحركة الشعرية زمن المماليك ، محمد مصطفى هدارة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦، ص١٢٢ وما بعدها .

في كلّ فاتحـة للقـول معتبـره   حق الثناء علـى المبعوث بالبقـره

في آل عمران قدما شـاع مبعثه   رجالهم والنسـاء استوضحوا خبـره

بكهف رحماه قد لاذ الورى ، وبه   بشرى ابن مريم في الإنجيل مشتهره

سماه طه ، وخصّ الأنبياء على   حجّ المكان الذي من أجله عمره [٣٥]

استعمل ابن جابر التورية بسور القران الكريم منها سورة (الفاتحة ، والبقرة ، وال عمران ، والنساء ، والكهف ، وطه ، والأنبياء ، والحج) ، فبدا من خلال هذه التورية متكلفا .

ومن التوريات في عصر بني الاحمر تورية عند ابن خاتمة ، يقول :

قالوا الم تر كيف صورته   فاذا به في صورة الشمس [٣٦]

التورية هنا سورة من سور القران الكريم (سورة الشمس) وهذه تقرا بالسين ، والمورى عنه (صورة) بالصاد فقد أراد الشاعر بهذه التورية ابنه الذي خلفه وراءه في وطنه ، فأراد أن يعبر عن ألمه وما يداخله نتيجة لفراقه .

ومن تورية عند ابن خاتمه ايضا قوله :

سألتُهُ يا حَبيبي ما بِلَوْحِكَ قُلْ   فَقال لي إنَّني في سُورَةِ القَمَرِ [٣٧]

التورية هنا باسم سورة (سورة القمر) وهي ظاهرة أيضا وهي تورية للدلالة على الجمال المعنى القريب هي سورة من سور القران الكريم والمعنى البعيد هو للدلاله على الجمال .

---

[٣٥] نفح الطيب ، ج ٧ / ص ٣٢٤.

[٣٦] نفح الطيب ، ج ٧ / ص٣٣ .

[٣٧] المصدر نفسه ، ج ٧ / ص ٣٣.

ومن التوريات بقصص القران الكريم يقول ابن فركون :

إذا فاض نيلُ الجودِ من كفّ يوسُفٍ كفَى نيْلُهُ العافين أن يهْبِطوا مصْرا[٣٨]

وهنا تورية بسورة القران الكريم ((**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**))[٣٩] ، للدلالة عن الكرم والجود لدى الممدوح .

ثانيا : عناوين الكتب :

دفع الاهتمام العلمي المثقفين إلى تتبع ما أنتجه السابقون ، وإلى التأمل فيما كتبوه ، والاستفادة مما ألفوه ، ودفعتهم الضرورة العلمية إلى قراءة الكتب المشهورة ومطالعتها والاستفادة منها ، وإلى ذكرها كلما احتاجوا إلى ذلك ، وبمقدار ما كان المثقف يستدل بالمصادر المتداولة ، وكانت قيمته ، تزداد رسوخا عند ذوي العلم وأهل الأدب، بل ان المثقف كان أحيانا يذكر أسماء تلك الكتب إيهاما للسامع بأنها مقصودة، في حين نجده يقصد بذكرها معنى آخر يدل عليه سياق الكلام ، ومن ذلك مثلا ما نجده في هذه المنتخبات من أشعار استعمل فيها ابن خاتمة بعض هذه الأسماء من دون أن تكون مقصودة بالذات ، فهو القائل :

ومُعَطَّرِ الأنفاس يَبسِمُ دائِمـا عن دُرِّ ثَغرٍ زانَـــهُ ترتيبُ

مَنْ لم يشاهِدْ منهُ عِقْد جواهرٍ لم يَدْرِ ما التَّنقيحُ والتهذيبُ [٤٠]

---

[٣٨] ديوان ابن فركون ، تح : محمد بن شريفة ، ط١، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧. ص١٠٦.

[٣٩] سورة يوسف ، الآية ٩٩.

[٤٠] نفح الطيب ، ج ٥/ ص ٥٣٧ .

فالمراد بذكر التنقيح والتهذيب نظافة الأسنان ، وبياضها ، وحسن ترتيبها ، وجمال منظرها ، وجلب الأنظار إليها ، فهي تجمع بين طيب الرائحة وحسن التنضيد ، لكن المتبادر عند سماع التنقيح والتهذيب إنما هو كتاب (التنقيح) وهو (تنقيح الفصول في اختصار المحصول) القرافي ، وأما كتاب (التهذيب) فالمراد به (تهذيب مسائل المدونة) للإمام خلف بن أبي القاسم البرادعي القيرواني ، ويعتبر هذا الكتاب من أشهر الكتب التي ألفها البرادعي ، فهذان الكتابان تدل عليهما الكلمتان دلالة قريبة ، ولكنها غير مقصودة ، ودلالة بعيدة ، وهي المتعلقة بجمال الأسنان ، وهي المرادة هنا.

وقد كان الشعراء والكتاب يتبارون في التورية بالكتب ، ويبرزون من خلال ذلك قدرتهم وكفاءتهم ، ومدى اطلاعهم على ما أنتجته الأقلام في شتى مجالات المعرفة . ونظرة عابرة في الإنتاج الأدبي العربي كافية في التحقيق من ذلك.

ومن الذين برعوا في هذا اللون لسان الدين بن الخطيب ومن ذلك قوله :

وَلَمَّا رَأَتْ عَزْمِي حَثِيثا عَلَى السُّرَى وَقَدْ رَابَهَا صَبْرِي عَلَى مَوْقِفِ الْبَيْنِ
أَتَتْ بِصِحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ دُمُوعُهَـــا فَعَارَضْتُ مِنْ دَمْعِي بِمُخْتَصَرِ الْعَيْنِ[٤١]

فالبيتان في معرض الغزل اذ البكاء على فراق المحبوبة وبكاؤها أيضا ، والتورية هنا في صحاح الجوهري ، فالمعنى القريب تتلألأ كالجواهر ، والمعنى البعيد المقصود هو مختار الصحاح للجوهري ، وفي

---

[٤١] الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٤/ ص٤٢٥.

ذات البيت تورية أخرى في كلمة مختصر العين) ، والمعنى القريب (دموعه) ، ويقصد كتاب (مختصر العين) يقول لسان الدين بن الخطيب :

تَبَثُّ بِدَمْعِ عيني صَفْحَ خَدِّي وَقَدْ مَنَعَ الْكَرَى هَجْرُ الْخَلِيلِ
وَرَابَ الْحَاضِرِينَ فَقُلْتُ هَـذَا كِتَابُ الْعَيْنِ يُنْسَبُ لِلْخَلِيلِ [٤٢]

فالشاعر هنا يوري عن معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وهو أول معجم عربي ، وإن كان البيتان في ظاهرهما الغزل ، فالمعنى القريب لكلمة (الخليل) هو الحبيب ، و (العين) عين الشاعر نفسه التي يفيض منها الدمع بعد هجر المحبوب لها . وأما البعيد المقصود فهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

ويقول ابن فركون مستعمل التورية بكتاب (العين) يقول :

وما ضُمِّنَتْ إلا أحاديثَ خلّةٍ أُتيحَ لها منْ صاحِبِ العَيْنِ شارِحُ[٤٣]

وقال لسان الدين بن الخطيب كذلك في التورية بأسماء كتب فقهية :

لك الله من خل حباني برقعة حبتني من آياته بالنوادر
رسالة رمز في الجمال نهاية ذخيرة نظم أتحفت بالجواهر [٤٤]

حيث يبدأ متعجبا من خلال أسلوب التعجب (لك الله) ، والتعجب هنا ليس تحسرا ، وإنما إعجابا وتقديرا من الشاعر لهذا الصديق الذي وصفه بالخِلّ الذي أعطاه كتابا تميز بكثرة الأخبار والنوادر والعقلانية وهو كتاب له

---

[٤٢] المصدر نفسه ، ج٤/ ص٤٢٥.

[٤٣] ديوان ابن فركون ، ص١١٠.

[٤٤] الاحاطة في اخبار غرناطة، ج٣/ص٣٠٤.

أهمية عظيمة ، فهو احتوى وانتظم بين صفحاته الجواهر واللآلئ ، والتورية في هذين البيتين في كلمة (ذخيرة) ، والمعنى القريب الشيء الزاخر الممتلئ ، والمعنى البعيد كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنتريني.

ثالثا : التورية ببعض المصطلحات العلمية والادبية :

التورية في العلوم عند شعراء الأندلس يشير إلى أمرين غاية في الأهمية ، ولابد من الوقوف عليهما الاول سعة ثقافة شعراء الأندلس وأخذهم بالعلوم فمعظمهم ليس شاعرا فحسب ، وإنما جلهم يجمعون بين الشعر والعلوم ، ويظهر ذلك من خلال استقرائنا نتاجهم الشعري ، اذ نجدهم يضمنون أشعارهم إشارات وحقائق علمية في شتى فروع العلم والمعرفة ، اما الاخر : فيتعلق بالمتلقين لهذا الشعر من أهل الأندلس، فكون الشاعر يُضمّن شعره إشارات وحقائق علمية ، لابد أن يكون المتلقي على درجة من الثقافة والفهم للعلوم ، مما يجعله يفطن إلى ما يقوله الشاعر ويفهمه ويتجاوب معه ، فمعظم المجتمع كان على درجة عالية من الثقافة والعلم . لذا لم يكن غريبا أن نجد الكثير من علماء الأندلس في شتى فروع العلم والمعرفة ، ولا شك في أن هؤلاء العلماء كان لهم الدور الأكبر في نشر العلوم بين أهل الأندلس ، وبالتالي تكونت الروح الثقافية والعلمية الأندلسية التي سادت أهل الأندلس جميعا، ومن أكثر العلوم التي لجأ شعراء الأندلس إلى التورية به علم النحو فهذا لسان الدين بن الخطيب يقول :

لقد كنت موصولا فأبدل وصلكم   بهجر وما مثلي على الهجر يصبر
فما بالكم غيرتم حال عبدكـم   وعهدي بالمحبوب ليس يغيـر[٤٥]

فالشاعر هنا يتناول بعض قواعد النحو موريا عنها مثل الاسم الموصول والبدل والحال ، فالمعنى القريب أنه موصول بالحبيب ثابت على حبه وحاله كان في رضى وقناعة بهذا الوصال الذي لم يبدّل . أما المعنى البعيد فهو أبواب النحو الموصول والحال والبدل.

ومن بديع التورية ماوردت في معرض الحكمة بعلم النحو للشاعر ابن جُبير الكناني الاندلسي :

أخلاءُ هذا الزمان الخؤونِ   توالت عليهم حروف العلل
قضيتُ التّعجبَ من أمرهم   فصرتُ أطالعُ بابَ البدَل[٤٦]

فهو يقرر أن أصحاب هذا الزمان الخائن الغادر قد توالت عليهم العلل والبلايا ، وتعجب الشاعر من فعلهم ، فصار يبحث عن بديل لأخلاء زمانه الغادر . ونلحظ هنا عدم الافتعال في التورية وعدم التكلف أو الصنعة ، فقد جاءت طبيعية تتلاءم تماما ، وتتوافق مع المعنى الذي يقصده الشاعر ، ولم نلحظ بينها كلمة قلقة في موضعها أو مجلوبة للقافية . والتورية في البيتين في الكلمات (حروف العلل، والتعجب ، والبدل) ، فالمعاني القريبة هي البلايا والخطوب ، والدهشة والاستغراب من موقف الأخلاء ، والبدل هو البحث عن بديل لهؤلاء الأخلاء . أما المعنى البعيد المقصود ، فهي أبواب النحو المعروف (أحرف العلة ، أسلوب التعجب . باب البدل) .

---

(٤٥) الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٣/ ص٣٠٣.

(٤٦) نفح الطيب ، ج٢/ ص٣٨٤

ومن أنواع التورية بالعلوم استعماله بعض مصطلحات علم النحو ، يقول ابن فركون :

وأرسَلْتَ فوقَ البحرِ أجفانَكَ التي		بها حَركاتُ الرّفعِ تُبْنى على الفَتْحِ[٤٧]

الشاعر من خلال التورية يبين حركة السفن بالبحر مثل حركات الاعراب وهي ما تبنى على الرفع بالفتحة للدلالة والتورية على الرفعة والانتصار للممدوح وهي التورية البعيدة التي ارادها الشاعر.

وعلامة النصب ، يقول عبد الكريم البسطي :

ولقد جَزَمْتُ محبّةً بحُصولها		ما النَّصْبُ عنها كونُه لا يدفعُ[٤٨]

وهنا الشاعر البسطي اراد ان يبين حالة مع محبوبة الذي يتمنع عليه بحركة الجزم وهو المعنى القريب والمراد به البعيد.

ويربط الشاعر بين علامات الاعراب ومصطلحات أخرى ، يقول ابن فركون :

لقد أعرَبوا اسْمَ المَكْرُماتِ وبدّلوا		فلا فاعِلٌ يُجْزَى ولا فِعْلَ يُجْزَمُ[٤٩]

تورية المعنى القريب الحبيب الذي هجره وقطع وصاله ، ومعناها البعيد وهو المطلوب .

ومن التوريات في العلوم استعمل الشاعر لفظة(الاعجام) ، يقول يوسف الثالث :

---

(٤٧) ديوان ابن فركون ، ص١٨١.

(٤٨) ديوان عبد الكريم البسطي القيسي، تح : جمعة شيخة،عبد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة ، بيت الحكمة ، تونس ، ١٩٨٨م ، ص٤٧١.

(٤٩) ديوان ابن فركون ، ص٣٢٦.

لقد صحبتها عادة الفتك في العدا   كما صَحبَ الإعجامُ لفظة حرف الظا[٥٠]

ان الروح الثقافية والعلمية الأندلسية التي سادت أهل الأندلس جميعا جعلت التورية في العلوم ومنها العروض ما استخدمه ابن جزي الكلبي موريا ، يقول :

لقد قطعت قلبي يا خليلي   بهجر طال منك علي العليل

ولكن ما عجيب منك هذا   إذ التقطيع من شان الخليل[٥١]

فالشاعر يوري بعلم العروض في معرض الغزل اذ يعاتب المحبوب أن قطّع قلبه بالهجر والفراق ، فالتورية في كلمتي (التقطيع والخليل) ، فالمعنى القريب تمزيق قلبه نتيجة فراق المحبوب الذي هو الخليل ، والقرينة (قطعت قلبي يا خليلي بهجر) ، أما المعنى البعيد المقصود فهو تقطيع الأبيات حسب تفاعيل البحور وأوزانها ، وهو علم العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي .

أن القوافي مصطلح من مصطلحات علم العروض ، فقد شغف بها الأندلسيون ، من دون تكلف ولا تعقيد . فمن ذلك مثلا ، ما ورى يوسف الثالث ، به من مصطلحات علم العروض وهو قوله : يقول يوسف الثالث :

تِسع القوافي في يد قد أوحشت   هب أنها نغم الغريض ومعبد

....

---

[٥٠] ديوان ملك غرناطة ، يوسف الثالث ، تح : عبدالله كنون ، ط٢ ، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٨٩ .

[٥١] الكتيبة الكامنة ، ص٩٦

لكن موازَنَةُ الطـويل بكامــل	لا عُذْرَ فيه لناظـم أو منشـد
أما القصيدة فهي رائعة الحلـى	حَسناء محرزةٌ لأشرف مقصـد
أما النثار فتحفة تهـدى إلــى	من يشتكي ظمأ عُذوبة مـورد
نسختة بل مسخته يمنى ناسخ	فقضى على سعد بما لم يُسعد [٥٢]

الإشـارة إلـى بحـر(الطويـل ، والكامـل) ، وانـه لاعذر لشـاعر أو منشـد إلا ان يقـول عليهمـا لأنهمـا أكثـر البحـور شـيوعا ، فهـو هنـا ورى بأسـماء الأبحـر ، وأخضـعها لحـالات ذاتيـة لا يحسـن بهـا إلا ذوو الهـوى ، ولا يعرف أسبابها وبواعثها إلا من أسرهم العشق ، وملكهم سلطان الغرام . ولقد وفق الشاعر في الربط بين هذه الأوزان وبين المعاني التي يقصدها ، فكان شعره هذا مبينا لهيامه ، ومبرزا لآلامه ، فهـو عاشق محروم ، لا يجد سبيلا إلى إطفـاء لوعـة حبه إلا بالخضوع الطويل ، والبكـاء السريع ، والخد البسيط ، والشجو المديد ، ولولا جمعه لهذه الصفات في نسق واحد لما كانت التورية واضحة .

ومن ذلك ما ورى بـه لسان الدين ابن الخطيب كذلك من مصطلحات علم القوافي وهو قوله :

سرى يسر إلي أنك تاركـي	نفسي الفدا للطفك المتــدارك
يا مالكي ولي الفخار بأنني	لك في الهوى ملك وأنك مالك[٥٣]

---

[٥٢] ديوان يوسف الثالث ، ص٤٢ ، ص٨٧ . وديوان عبد الكريم البسطي ، ص٣٦٠.

[٥٣] الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٣ / ص١٩٠.

فالتورية هنا بالمتدارك ، وهو ضرب من القافية يجتمع منها متحركان بعدهما ساكن ، ولم يقصدها الشاعر، وإنما قصد معناهما اللغوي .
وقال ابن جبير في التورية العروضية :

لقد كمل الود بيننا ودمنا على فرح شامل
فإن دخل القطع في وصلنا فقد يدخل القطع في الكامل(٥٤)

يوضح هنا أن الود قد كمُل بينه وبين محبوبه حتى صارا في فرح دائم ، ثم يستدرج قائلا : إذا دخلت القطيعة بينهما ، فإن القطع قد يدخل بحر الكامل . فالتورية هنا في كلمة (القطع) ، والمقصود بالمعنى القريب هو قطع الوصال . أما البعيد هو علة القطع المختصة بعلم العروض فهو أيضا يوري بالبحور الشعرية .

وفي معرض الغزل يصف ابن صفوان محبوبه بالكمال ، ويصف شوقه وصلته بالمحبوب بالأسباب ، وهجر المحبوب بالقطع ، وواضح أن المعاني البعيدة هي بحر الكامل وبحر الوافر والبسيط ، ومن العلل القطع ، ومن مكونات البحور الأسباب وذلك في قوله :

يا كاملا شوقي إليه وافر وبسيط خدي في هواه عزيز
عاملت أسبابي لديك فقطعتها والقطع في الأسباب ليس يجوز(٥٥)

وطبيعي أن تكون العلوم الشرعية حاضرة لما كان لها من شهرة واسعة في بلاد الأندلس .

---

(٥٤) المصدر نفسه ، ج٣/ ص٣٠٣.

(٥٥) الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج١ / ص١٠٠.

ومن ذلك علم الفقه اذ يقول ابن الحاج البلفيقي :

يلومونني بعدَ العِذار على الهوى ومثلِيَ في وجدي لهُ لا يُفنَّد

يقولون أمسِكْ عنهُ قد ذَهَب الصبا وكيفَ أرى الإمساكَ والخيطُ أسودُ[٥٦]

فهو يخبرنا عن عذّاله الذين وجهوا إليه اللوم على هواه وعشقه ، ويرد بأنه عاشق ومثله لا ينفك عن هوى المحبوب موصولا ومستمسكا ، ولكن اللائمين ينصحونه بالإمساك والتوقف عن هذا الحب الذي أذهب شبابه ، فيرد عليهم بأن الوقت لم يحن بعد ، فالتورية هنا بجملة (كيف يرى الإمساك والخيط أسود) ، فالمعنى قريب بأنه يستنكر البعد عن المحبوب اذ ما زال متعلقا به ، والمعنى البعيد المقصود الإمساك عن الطعام بعد أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

ومن العلوم ايضا علم الحديث كقول لسان الدين بن الخطيب :

مَضْجَعي فيكَ عنْ قُتادَةٍ يرْوي ورَوى عنْ أبي الزِّنادِ فؤادي وكَذا النوْمُ

شاعِرٌ فيكَ أمْستى منْ دُموعي يَهيمُ في كلِّ وادي[٥٧]

فالتورية في كلمة (قتادة) ، والمعنى القريب هو الشوك ، والقرينة (مضجعه) الذي أقضّه ولم يستطع النوم ، والمعنى البعيد هو (أبو قتادة) عالم الحديث المشهور[٥٨] ، وفي الشطر الثاني كلمة (الزناد) اذ المعنى

---

[٥٦] المصدر نفسه ، ج٢ / ص٩٣.

[٥٧] المصدر نفسه ، ج٤/ ص٤٢٥.

[٥٨] أبو قَتَادَة الأنصاري السلمي (ع) فارس رسول الله(ﷺ) شهد أحدا ، والحديبية . وله عدة أحاديث . اسمه الحارث بن ربعي ، على الصحيح ، وقيل : اسمه : النعمان ، وقيل : عمرو ، ينظر : فوات الوفيات ، ج٣/ص٢٣٣.

القريب النار واللهيب ، والقرينة كلمة (فؤاده) ، أي أن فؤاده قد احترق من لهيب الأشواق ونيرانها ،

أما المعنى البعيد المقصود فهو عالم الحديث المشهور (أبو الزناد)[٥٩].

ومن ذلك ما ورى به عبد الكريم البسطي من مصطلحات علوم الحديث والفقه وهو قوله :

ومذهبي أنني بالجهل أعذرُه والعذرُ بالجهل مطروحٌ ومجتنَبُ[٦٠]

فهو قد استعمل لفظة (مطروح) ولفظة (مجتنب) استعمالا يؤدي معنى واضحا يتعلق بوصف هيامه، وبتحديد أسباب تعلقه بمحبوبه، لكن اجتماعهما معا دل على أنه يريد التورية بهذين اللفظين .

ومن العلوم التي لجأ شعراء الأندلس اليها أيضا علم الهندسة فالشاعر يوري بعلم الهندسة في معرض الغزل ، كقول أبي الوليد بن أحمد الوقشي :

قد بيّنت فيه الطبيعة أنّها بدقيق أعمال المهندس ماهره

عنيت بمبسمه فخطّت فوقه بالمسك خطّا من محيط الدائره[٦١]

---

[٥٩] أَبُو الزِّناد عبد الله بن ذكْوَان أَبُو الزِّنَاد الْفَقِيه الْمدنِي مولى قُرَيْش يُقَال إِنَّه ابْن أخي أبي لؤلؤة قَاتل عمر بن الْخطاب سمع أنسا وَأَبا أُمَامَة ابْن سهل وَعبد الله بن جَعْفَر بن أبي طَالب وَسَعِيد بن الْمسيب والأعرج فَأكْثر عَنهُ وروى عَنهُ مَالك وَكَانَ أحد الأئِمَّة الأعْلَام ، ينظر : الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (المتوفى : ٧٦٤هـ) ، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، ٢٠٠٠ ، ج١٧/ ص٨٦

[٦٠] ديوان عبد الكريم البسطي، ص١١٢.

[٦١] نفح الطيب ، ج٢/٣٨٤.

فالشاعر يقرر أن الطبيعة قد جملّت وزينّت محبوبه ببدائع النقش والهندسة حتى أنها قد عنيت بمبسم محبوبه ، فخطت فوقه بالمسك قوسا ، وواضح أنه غزل بالمذكر ، وفهمنا ذلك من خط المسك ، ويقصد به الشارب الخفيف فوق مبسمه . أما التورية فهي قوس من محيط الدائرة ، فالمعنى القريب الشارب الخفيف ، والمعنى البعيد الهندسية.

ومن التورية بعلم الحساب قول لسان الدين بن الخطيب مداعبا بعض المقرئين للعدد وهو بديع :

يا ناصبا علم الحساب حبالــه	لقناص ظبي ساحر الألباب
إن كنت ترجو بالحساب وصاله	فالبدر يرزقنا بغير حساب[٦٢]

فهو ينادي صياد ماهر ينصب شراكه بدقة ونظام ، وعلى قوانين الحساب والأعداد ليقنص ظبيا ساحر الألباب ، وهو استعارة تصريحية عن المحبوبة بروعة جمالها الذي يأخذ بالألباب ، والصياد هنا هو العاشق الذي يريد الإيقاع بالمحبوبة في شرك الهوى ، ثم يتوجه إليه الشاعر قائلا إن كنت تستطيع وصال المحبوبة والتواصل معها بحساباتك ، فالله يرزقنا بغير حساب ، وكلمة (حساب) هنا فيها تورية اذ المعنى القريب علم الحساب وقوانينه ونواتجه ، والمعنى البعيد أفضال الله ونعمه الوفيرة التي لا يحصيها عدٌ ولا حساب .

ويقول عبد الكريم البسطي موريا بعلوم الحساب :

ففي الجمع دهرا لم أزل من حقوقهم	وهم دون ذنبٍ من حقوقيَ في الطرحِ[٦٣]

---

[٦٢] الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج٣ / ص٣٠٣.

[٦٣] ديوان عبد الكريم البسطي ، ص٢٨٠.

رابعا : التورية بذكر الأعلام من الفقهاء والقراء والأدباء :

من أمثلة هذا القسم قول ابن خاتمة :

فَلَوَ انَّني ذُو مَذْهبٍ لِشَفاعةٍ ناديْتُه يا مالكي يا شافعي[٦٤]

التورية واضحة ، ولا يفرق مستعملو التورية في آخر كل مصراعٍ بين ياء النسبة وياء المتكلم ما دام النطق بهما شعرا لا يتغير.

وقول ابي حيان الاندلسي :

يَروقــــك لَفظـا أَو يَروعُـك مَنظَــــرا فَأَعجِـب بِـهِ مِـن رائِـقٍ وَهـوَ رائِـعُ
غَدا مالِكي في الحُبِّ مَن هُوَ شافِعي فللّهِ مِنهُ مالكٌ ليَ شـــافِعُ[٦٥]

إن البيتين حسب ما يظهر من سياق وضعهما يعبران عن لوعة الشاعر وعن حرمانه ، وهجران حبيبه، فهو يتمنى لو زالت الحواجز بينه وبين من يحب ، ويرجو أن تصفو علاقته به ، وأن يجد شفيعا لديه يزيل عنه أسباب الصدود ، ويمحو عنه شقاء الفراق ، ولكن لا شفيع له إلا حبه ، وهذا الحبيب لا يقبل شفيعا كيفما كانت حجته ، ولا يستجيب لتضرع راغب مهما حصل ، فهو مالك لمهجته ، ومن المحقق أن مذهب مالك لا تستقيم لديه حجة شافعي ، إن المعنى واضح بين ، ولكن الشاعر أراد أن يستعمل

---

[٦٤] ديوان ابن خاتمة ، ديوان ابن خاتمة الأنصاري ، محمد رضوان الداية ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢، ص١٩٨. وينظر : الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج١/ ص١٠٩.

[٦٥] ديوان ابو حيان الاندلسي ، تح : الدكتور : احمد مطلوب و الدكتورة : خديجة الحديثي ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٩. ص٢٧٦.

أسلوب التورية ، وذلك باستعمال عناصر أصولية بنيت عليها بعض الأحكام عند مالك والشافعي رضي الله عنهما، فلكل منهما منحى اجتهاد تقرر القواعد على أساسه ، وتتخذ الأحكام على وفق منهجه .

وقد استغل الأدباء هذه المعارضات وأخضعوها لخيالهم ، وجعلوها ميدانا لأدبهم ، ومحسنا لأسلوبهم ، وقد اتضح ذلك في البيتين السابقين اللذين أظهر فيهما ابو حيان الاندلسي براعته في باب التورية ، وقد استعمل الاسلوب نفسه في أبيات أخرى يقول :

أَعَرتُكَ تَسهيلَ* الفَوائِدِ بُرهَــةً وَأَصبَحت في التَرشيحِ ظُلما مُنازِعي

إذا شافِعي فيهِ غَدا لي مانِعي فَأَنى بِإدراكي لما عِند شافِــعِ [٦٦]

فهو هنا يبحث عن بعض الحلول التي يعجز بعض الناس عن الوصول إليها وفق مذهبهم، فيلتجئون إلى مذهب آخر عساهم أن يجدوا وجها يبرر لهم ما يريدون الوصول إليه .

ولم يقتصر في هذه الأبيات على التورية بالنسبة لمالك والشافعي، وإنما أضاف إلى ذلك تورية أخرى بعاصم ونافع، وهما من أئمة القراءات السبع.ابن الحاج النميري يقول :

عَنْ نَافِعٍ أَسْنِدْ حَدِيثَ أَحِبَّتِي يَا مَالِكا رِقِّي بِحُسْنِ صَنَائِعِ

فَأَجَلُّ إِسْنَادٍ وَخَيْرُ رِوَايَــةٍ عِنْدِي رِوَايَةُ مَالِكٍ عَنْ نَافِعِ[٦٧]

---

(٦٦) ديوان ابو حيان الاندلسي ، ص٢٧١، * التسهيل : هو تسهيل ابن مالك .

(٦٧) نفح الطيب ، ج٧ / ص١١٦.

استعمل الشاعر التورية للدلالة على صدق مشاعره فأشار بالمعنى القريب عن رواية مالك عن نافع للدلالة على الصدق اما المعنى البعيد هو من اجل بيان صدق اقواله ومشاعره .

ومن التوريات على لسان الشعراء باستعمال اسماء الرواة ، يقول لسان الدين بن الخطيب :

قَالَ لِي وَالدُّمُوعُ تَنْهَلُّ سُحْبًا فِي عِرَاصٍ مِنَ الْخُدُودِ مُحُولِ
بِكَ مَا بِي فَقُلْتُ مَوْلاَيَ عَافَـ ـاكَ الْمُعَافِي مِنْ عَبْرَتِي وَنُحُولِي
أَنَا جَفْنِي الْقَرِيحُ يَرْوِي عَنِ الأَعْمَشِ وَالْجَفْنُ مِنْكَ عَنْ مَكْحُولِ[68]

وهنا قصيدة قالها والدموع تنهال سحبا من عينيه وقد ورى بها عن القريح الذي يروي عن الاعمش والجفن منه مكحول وهو ماراد به الشاعر بالمعنى البعيد .

ولم يكتف الشعراء في التورية بهؤلاء الأعلام ذلك أنه كان كثير التنويع على حسب الاختصاصات المختلفة.

ويقول لسان الدين ابن الخطيب :

فَلَوْ زَمَنُ ابْنِ الْجَهْمِ أَشْرَقَ بِشْرُهُ لَمَا سُرَّ بِـ ابْنِ الْجَهْمِ وَالِدُهُ الْجَهْمُ

---

[68] الاحاطة في اخبار غرناطة ،ج٤/ ص٤٩٨ . (الأَعْمَش) سُلَيْمَان بن مهْرَان الأَعْمَش الإِمَام أَبُو محمّد الأَسدي الْكَاهِلِي ، الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين ، مولاهم الكوفي الحافظ . أصله من نواحي الري. فقيل ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين وقدموا به إلى الكوفة طفلا، وقيل : حملا .ينظر : الوافي بالوفيات ، ج١٥/ ص٢٦١.

وَلَوْ نُشِرَ الطَّائِي يَوْمَ اجْتِلاَئِهَـا   لَجَلَّلَهُ مِنْ أَجْـلِ إِيثَارِهَا غَـمُّ[٦٩]

فهو هنا يستحسن لثغة في نطق من يهواه ويستلذها، كما يستحسن منه إمالة الراء ، وهاتان الصفتان تتعلق بالأصوات ، لكن الشاعر استغلهما استغلالا أدبيا ، اذ استحضر أبا تمام ، وهو حبيب الطائي المنسوب إلى قبيلة طيء على غير قياس إيهاما بأنه عند ذكر حبيبه غير الطائي ينصرف المعنى إلى القبيلة ، في حين أنه يقصد كونه لا يحسن النطق بالطاء ، وكذلك الأمر يتعلق بإمالة الراء ، فإن الإمالة تتصرف إلى هذا الحرف الذي يميله حبيبه ، لكنه لا يقصد ذلك ، وإنما يقصد إمالة الناظرين إليه ، نظرا لما فيه من جاذبية الحسن والجمال[٧٠].

التورية في الموشحات :

هذا في مجال الشعر أما التوشيح فقد نال حظه من التورية في عهد بني الأحمر ، فمن ذلك قول ابن خاتمة :

أما تَرى اللَّيْلَ حائِرْ   قد تاهَ خوفَ افْتِضاحِ

وطالِعُ الشُّهبِ غائِرْ   والنَّسْرُ خَفْقُ الجَناحِ

وعَنْبَرُ الدُّجْنِ عاطِرْ   تُذْكِيهِ نارُ الصَّباحِ[٧١]

---

(٦٩) ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تح : محمد مفتاح ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، م٢/ ص٥٤٦ . وديوان ابن فركون، ص١٢٥.

(٧٠) ينظر : رائق التحلية في فائق التورية ، ابو جعفر ابن احمد زرقاله ، تح : محمد رضوان الداية، ط١، دار الحكمة للطباعة والنشر ، دمشق ، (د.ت). ص٣٧ .

(٧١) ديوان الموشحات الاندلسية ، سيد غازي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،١٩٧٩، ج٢/٤٥٠ . ذكر ان ابن زرقالة احد تلاميذ ابن خاتمة جمع توريات ابن خاتمة الشعرية في كتاب (رائق التحلية وفائق التورية).

جاءت التورية في لفظة (النسر) ومعناها القريب الطائر المعروف ، ومعناها البعيد مجموعة من النجوم ، فورى وأراد النجوم ، وأنها قاربت المغيب ، وخفق الجناح ترشيح لها .

ومن التوريات الجميلة قول لسان الدين بن الخطيب :

وَرَوَى النّعْمانُ عنْ ماءِ السّما كيْفَ يزوي مالِكٌ عنْ أنسِ

فكَساهُ الحُسْنُ ثوْبـا مُعْلَما يزْدَهي منْهُ بأبْهَى ملْبَسِ[٧٢]

فالتورية جاءت في لفظة (روى) ولها معنيان أحدهما من الرواية والثاني من السقي ، و(النعمان) نبات يعرف (بشقائق النعمان) أي انه ارتوى من الندى ، والناظر الى النص من أول وهله يظن ان الرواية من (النعمان بن المنذر) عن أمه (ماء السماء) ، وهي في الحقيقة تورية .

ويوري ابن زمرك بلفظة (المشتري) التي لها معنيان الأول الذي يريد (الشراء) ، والثاني الكوكب المشهور من كواكب السجموعة ، يقول ابن زمرك :

فَأَيْقِظِ النُّدْمَـانْ يُبْصِرْنَ مَا لَمْ يُبْصَرِ

جَوَاهِرُ الشُّهبانُ قد عرضَتْ للمشتري[٧٣]

---

[٧٢] المصدر نفسه ، ٢ /٤٨٥ .

[٧٣] ديوان الموشحات الاندلسية ، ٥١١/٢ . وهناك توريات أخرى لم أوردها رغبةً في الاختصار ، كما ان هناك بعض المحسنات البديعة في العصر كالمدح بما يشبه الذم وغيرها ، ينظر : ديوان الموشحات الأندلسية ٤٦١/٢ .

فالشاعر قد ورى في نصه ، فالمعنى الأول السطحي أن الجواهر قد عرضت (للمشتري) ليشتريها ، والذي أراده الوشاح أن الشهب اللامعة في الليل قد اقتربت من المشتري الكوكب وعرضت له .

ويصف ابن زمرك غرناطة حتى وصل إلى وصف نزول المطر ، متخذًا من الصورة الهندسية أداة لبيان معانيه ، قائلا :

والبرقُ والجَوُّ مستطيلُ يَلْعَبُ بالصارم الصَّقيلْ[٧٤]

وأشار ابن زمرك إلى ظاهرة تنقل الظل من مكان إلى آخر ، مستدلا بها على الانتباه من الغفلة ، يقول :

واللهِ ما الكونُ بما قَدْ حَوَى إلاَّ ظِلالٌ تُوهِمُ الغافلا

وعادَةُ الظلِّ إذا ما استوى تُبصِرُهُ مِنتقلا زائلا [٧٥]

فالشاعر يريد أن يشير إلى الإنسان إذا استوى عمره فلابد له من القرب من النهاية فهو في تناقص مستمر منذ ولادته ؛ كذلك الظل إذا استوى فانه يتغير بالنقص حتى يزول ، ليس غريبًا على ابن الخطيب وتلميذه ابن زمرك، أن يذكرا في شعرهما مصطلحات العلوم لمعرفتهما بها ، وطول باعهما فيها ، ووجود المصطلحات العلمية دليل على ثقافة الشاعر وحضارة المجتمع ، فوجودها في شعره وموشحاته دليل معرفته بها .

---

[٧٤] المصدر نفسه ، ٢/٥٠٤.

[٧٥] المصدر نفسه ، ج ٢/٥٤٨.

من المصطلحات العلمية المصطلحات الفلكية [٧٦] ، يقول ابن خاتمة :

وطالِعُ الشُّهبِ غائِرْ والنَّسْرُ خَفْقُ الجَنــاحِ

وعَنْبَرُ الدَّجْنِ عاطِرْ تُذْكِيهِ نــارُ الصَّبــاحِ

ومالَ سِرْبُ الثُّرَيــا إذْ أنارَ للنَّهارْ طَليعَةَ الفَجْــرِ

والأرضُ تعبَقُ رَيّــا والسَّحابُ في انسِكابْ عَلى رُبا الزَّهرِ [٧٧]

تحدث ابن خاتمة عن (الشهب ، والثريا) ، ويتحدث مرة أخرى عن الأبراج حينما جعل (الشمس) تحل (بالحمل) قائلا :

هذه الشَّمسُ حَلَّتْ بالحَمَلْ ومُحَيّا الزَّمانِ الحالي [٧٨]

وهذا ما نجده كذلك عند ابن الخطيب مشابها لابن خاتمة عندما كان يتحدث عن الخمر ، قائلا :

يا مُرادِي ومُنْتَهى أمَلي

هاتِها عسْجَدِيّةَ الحُلَلِ

حلّتِ الشّمْسُ منْزِلَ الحَمَلِ [٧٩]

من كثر جمال المحبوب ورى الشاعر بالشمس مكان الحمل ليعكس لنا صورة المحبوب التي احس بها الشاعر اتجاه محبوبته .

---

(٧٦) لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، جمال نجم العبيدي ، عمان ، ٢٠٠٣، ص١٣٥.

(٧٧) ديوان الموشحات الاندلسية ، ج ٢/٤٥٠ .

(٧٨) المصدر نفسه ،ج ٢/٤٥٩، ٤٧٩ .

(٧٩) المصدر نفسه ،ج ٢/٤٩٠. ج ٢/٤٢٧.

الخاتمــــة :

الملاحظ ان شعراء عهد بني الأحمر قد أولوا المحسنات البديعية منها التورية أهمية كبيرة في نتاجهم الشعري وليس غريبا عليهم ، فقد طرقوها في قصــائدهم ، وقــد كــان هــذا الاهتمــام بعيــدا عــن التكلــف والتصــنع ، مما جعلها في اشعارهم رائعة مستحسنة غير مبتذلة ولا طاغية على حساب المعنى .

ونلحظ أن معظم التورية بالعلوم كان في معرض الغزل ، ولعله كان أوسع أغراض الشعر في البيئة الأندلسية ذات الطبيعة الجميلة ، وعلى كل حال، فإن هذه المنتخبات الشعرية يعد أكثرها من روائع الشعر العربي، إلا أن إيحاءاتها تتوقف على الإلمام بالثقافة الأدبية والعلمية ، وإلا فقدت تأثيرها المراد منها، وهذا هو السبب في كون التورية ، إذا تكلفها الشعراء أو استعملوها في غير إطارها المناسب لها، فإنها لا تبقى داخلة في مجال المحسنات ، وإنما تصير عنصرا ينبغي تجنبه من عناصر الإبهام والإيهام.

المصادر :

- القران الكريم
- اتجاهات نقد الشعر في الاندلس ، مقداد رحيم ،دار الثقافة بيروت ط١ ، ١٩٧٣.
- الإحاطة في اخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٤ هـ .
- الادب في بلاد الشام ، عمر موسى باشا ، المكتبة العباسية ، دمشق ، ٢٠٠٨.
- البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقذ ، تح : الدكتور أحمد أحمد بدوي ، مطبعة الحلبي للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٦٠.
- البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ط٦ ، دار المعارف ، القاهرة .
- تاريخ النقد الادبي عند العرب ، احسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٨.
- تاريخ النقد الادبي في الاندلس ، محمد رضوان الداية ، منشورات مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٣.
- الحركة الشعرية زمن المماليك ، محمد مصطفى هدارة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٩٨٦.
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تح : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ، دار البحار، ٢٠٠٤م .

- ❖ ديوان ابن خاتمة ، ديوان ابن خاتمة الأنصاري ، محمد رضوان الداية ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢.
- ❖ ديوان ابن فركون ، تح : محمد بن شريفة ، ط١، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧.
- ❖ ديوان أبي حيان ، تح : الدكتور : احمد مطلوب و الدكتورة : خديجة الحديثي ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٩.
- ❖ ديوان الموشحات الاندلسية ، سيد غازي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،١٩٧٩.
- ❖ ديوان عبد الكريم البسطي القيسي ، تح : جمعة شيخة،عبد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة ، بيت الحكمة ، تونس ، ١٩٨٨م .
- ❖ ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تح : محمد مفتاح ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء .
- ❖ ديوان ملك غرناطة ، يوسف الثالث ، تح : عبدالله كنون ، ط٢، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ❖ رائق التحلية في فائق التورية ، ابو جعفر ابن احمد زرقاله ، تح : محمد رضوان الداية ، ط١ ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، دمشق ،(د.ت).
- ❖ السحر والشعر ، لابن الخطيب ، تح : الدكتور خالد الجبر والدكتور عاطف كنعان ، دار جرير للنشر ،عمان .

❖ شعر ابن جابر الاندلسي ، الدكتور احمد فوزي الهيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٧.

❖ طراز الحلة وشفاء الغلة في شرح الحله السيراء في مدح خير الورى، ابو جعفر الرعيني، تح : الدكتور رجاء السيد الجوهري ،مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية .

❖ فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، تح : إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ط١، ١٩٧٣ .

❖ الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ،ابن الخطيب ، تح : إحسان عباس . دار الثقافة بيروت ،١٩٨٣.

❖ لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣ ، ١٤١٤هـ.

❖ لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ،جمال نجم العبيدي ،عمان ، ٢٠٠٣.

❖ مختارات علي بن عزيم الغرناطي ، تح : وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٣ م .

❖ المدائح النبوية ، زكي مبارك ، مطبعة بابي الحلبي ، مصر ،د.ت .

❖ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان .

❖ نثير الجمان ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي ، تح : الدكتور محمد رضوان الداية ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٨٧.

- نثير فرائد الجمان ، اسماعيل بن الاحمر . المقدمة : تح : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان، ١٩٦٧ .
- نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب ، المقري التلمساني ، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت – لبنان.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس .
- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي (المتوفى : ٧٦٤هـ) ، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، ٢٠٠٠ .
- ودراسات فنية في الادب العربي ، عبد الكريم اليافي ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان _ بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦.
- ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها الدكتور احمد مطلوب ،مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ٢٠٠٧ .

مصادر دراسة الاطعمة والاشربة وانواعها
في التراث العربي الاسلامي

الاستاذة المتمرسة نبيلة عبد المنعم داود
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

الملخص :

البحث يتناول دراسة مصادر الاطعمة وانواعها في التراث العربي الاسلامي ، حيث اعتبر فن الطبخ ، مظهر من مظاهر الحضارة العربية الاسلامية ، وان هذه المظاهر متعددة ومتنوعة تتغير وتتطور حسب الازمنة والامكنة ، وتتميز تبعا لعوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية ... وقد اهتم العرب والمسلمون بهذا الفن وكانت حصيلة هذا الاهتمام ، تلك العناية ، ان ألف الكثير من فن الطبخ ، فاغزا المكتبة العربية بمجموعة جيدة من الكتب في هذا المجال .. حيث ادرك العرب ما الفن الطبخ من الأثر الحميد في تعديل الامزجة واصلاح الاجسام .

مقدمـــــة :

الطعـام والشـراب حاجتـان اساسـيتان لكـل البشـر منحهمـا الله سـبحانه وتعالى للبشر منذ انزل على سطح الارض فقال في محكم كتابه : (ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى[١]

اما علم الاطعمة فقد عرفه العلماء بأنه (علم الباحث عن كيفية تركيب الاطعمة اللذيذة والنافعة بحسب الامزجة المختلفة)[٢] وقد ادرجه طاشكبري زاده في الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي وقسمها الى عدة عناقيد ، العنقـود الاول منهـا فـي فـروع علـم الطـب وهـي التشـريح وعلـم الاطعمـة والمزورات[٣] بدأت الاطعمة بسيطة ومحدودة ولم يظهر التنوع في الطعام والشراب عند العرب قبل الاسلام ولاسيما البوادي اذ تميزت موائدهم بأنواع محددة من الاطعمة والاشربة وهي بسيطة الصنع بعيدة عن التفنن الا ان الامر يختلف الى حد ما في وصف موائد الحواضر العربية حيث كان الاختلاط بالامم المجاورة وقد أسهم في ادخال بعض انواع الاطعمة فضلا عن التعرف على طرق طهيها حتى ان تلك الاطعمة ظلت محافظة على تسميتها الاعجمية [٤]

---

[١] سورة طه ١١٨:٢٠

[٢] احمد بن مصطفى طاشكبري زاده (ت٩٦٨هـ-١٥٦٠هـ) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر اباد الدكن ١٩٧٧، ج١ص٢٣٠ .

[٣] المصدر نفسه ج١ص٣٢٠ .

[٤] الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، ١٩٧٠، ج٤ ص٦٥ .

واتسمت موائد الملوك والاثرياء العرب انها كانت حافلة بأنواع مختلفة من الاطعمة والاشربة وقد قال الجاحظ " (ان من ينظر الى اشعار العرب يعلم انهم قد اكلوا الطيب وعرفوه ، الا ان الناعم من الطعام لا يكون الا عند اهل الثراء) .[٥]

وقد كانت الاطعمة والاشربة امتدادا لما كانت عليه قبل الاسلام، اذ اتسمت بالبساطة وقلة التنوع[٦] ويعود ذلك الى بساطة الحياة وغلبة جانب الزهد والخشونة فيها .

اما بدايات التنوع في الإطعمة والاشربة فأن ذلك كان في العصر الراشدي ثم بدأ التنوع في الاطعمة والاشربة ايام معاوية بن ابي سفيان حيث اشارت المصادر الى انه اول من اتخذ الوان الاطعمة[٧].

ان ما حصل من التنوع في الوان الطعام والتفنن في طهيها في العصر الاموي يعود الى ما اتسمت به حياة العرب بصورة عامة بالتغيير ، كما ان الامويين ادخلوا الكثير من مظاهر الترف في حياتهم الاجتماعية ولا سيما في موائد طعامهم .

---

[٥] ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٩ م) البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، دار الكتب المصرية ، مصر ١٩٤٨، ص٢١٠ .

[٦] نجله قاسم الصباغ : جوانب الحياة الاجتماعية في عصر الرسالة الاسلامية ، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، العدد١٣ ، ١٩٨١ ص١٤٥

[٧] ابو القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ- ١٠٦٠م) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ ، ج١ص٦٢٦ .

تعددت انواع الاطعمة في العصر الاموي واشتهرت منها انواع بسيطة عند كل الطبقات العامة والخاصة ومنها الثريد وهي اكلة شائعة . لسهولة طهيها اذ يطبخ اللحم بالماء والملح وكان الثريد يقدم في الجفان للفقراء والمساكين من باب المساعدات الاجتماعية [8] زاد التفنن في الطعام والشراب ايام الامويين ولا سيما في موائد الخلفاء والامراء واشراف القوم واثريائهم فأنها اتسمت باللين والتنوع بدءً بمائدة الخليفة معاوية بن ابي سفيان ثم من تلاه من الخلفاء حتى روي ان معاوية كان يقول : (اما الطعام فقد اكلت من لينه وطيبه حتى ما ادري ايها الذ واطيب)[9]

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يفضل من الطعام لحم عمروس ، والعمروس الخروف او الجدي اذ بلغ العدو[10] واذا اجيد سمطه واحكم شيه[11] وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يفضل لحم

---

[8] الحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري (ت٣٥٩هـ-١٠٠٤م) الاوائل ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، مطبعة دار امل ، طنجة ، المغرب ١٩٦٦ ص٢٥٦ ، وابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت٣٢٨هـ-٩٣٩م) العقد الفريد ، طبعة احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٦٥ ج٢ ص١٦٩ .

[9] ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ /٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر طبعه شارل بلا ، الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٧٣، ج٣ ص٢١٢ .

[10] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ-١٣١١م) لسان العرب ، دار صادر بيروت ١٩٦٨ ، ج٦ص١٤٨ .

[11] احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ-٨٩٣م) انساب الاشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد ج٥ ص٣٥٢ .

الخروف المشوي مع خبز الرقاق [١٢] كما كان يأكل الدجاج المشوي والبيض والمخ [١٣] ومن اصناف الاطعمة المقدمة على موائد بني امية الخاصة الشهدة وهو طعام يتخذ من العسل .

كما تعد المضيرة وهي ان يطبخ اللحم باللبن من الاكلات المفضلة في موائد الامراء الامويين[١٤].

اما السكباج فهو من الاطعمة التي تقدم على موائد الخاصة وكانت من الاكلات المفضلة عند الحجاج بن يوسف الثقفي . حيث ذكر ان الحجاج طلب من طباخه ان يطهي له صفصاف فلم يعلم الطباخ ما عناه الحجاج فقيل له انه يقصد بذلك السكباج بلغة ثقيف [١٥]

والسكباج مرق يعمل من اللحم والخل[١٦] ومن الاطعمة في العصر الاموي القرنية وهي خبزة مستديرة تشوى ثم تروى سمنا ولبنا وسكرا[١٧] ومثل

---

[١٢] المسعودي : مروج الذهب ج٤ ص٨

[١٣] المصدر نفسه ج٤ ص٧-٨ .

[١٤] الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء ج١ ص٦٦٤ .

[١٥] المصدر نفسه : ج١ ص٦١٠ .

[١٦] ادي شير : الالفاظ الفارسية المعربة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٨ ص٩٢ ، وانظر على لازم مزبان : الفاظ الحضارة في كتاب نشوار المحاضرة (رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة البصرة - كلية الاداب- قسم اللغة العربية ١٠٧٧، ص٢٦٤)

[١٧] القاضي ابو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٣٤م) الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٨ ،ج٤ ص١٢٤ .

ما تعددت الاطعمة تعددت مناسباتها واصبح لكل مناسبة لون خاص من الطعام ففي ولائم الزواج يقدم الخبز والثريد . اما الطعام الذي يقدم عند الولادة فانه يعد من لحم العقيقة التي تنحر سابع يوم الولادة فيعمل منه ثريد .

كما يقدم للنساء طعام خاص يسمى الغريقة وهي حلبة تضم اللبن والتمر[١٨] وهناك اطعمة خاصة بالمرضى ومنها التلبينة والغريقة وقد حرص الخلفاء الامويين على وجود الاطباء للاشراف على موائدهم ، كما اهتموا باعداد طعام خاص لكبار السن يتلاءم ومقدرتهم على هضمه وهو الخزيرة وهو طعام يتخذ من اللحم يقطع صغارا على ماء فاذا نضج ذر عليه الدقيق[١٩] اما الاطعمة التي تقدم في الازمات والمجاعات فاكثرها يتخذ من الدقيق والسمن والدقيق والتمر ومنها السخينة وهي ارق من الحساء واغلظ من العصيدة[٢٠].

اما الحلويات فقد تعددت اصنافها في العصر الاموي ومنا ما يقدم على مائدة الفقراء والزهاد واخرى على موائد الخاصة والاثرياء وكان تناولها بعد الطعام . اكثر الحلويات تداولا عند العامة التمر وما يعمل منه . اما في موائد الخاصة فقد كان هناك الفالوذج وهو صنف من الحلويات الفارسية دخل بلاد العرب قبل الاسلام ثم اصبح يقدم على موائد الخلفاء الامويين

---

(١٨) محمود شكري الالوسي : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، تصحيح محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٢٣ ، ج١ ص٣٨٣ .

(١٩) ابن منظور : لسان العرب ج٢ ص٨٢٤ .

(٢٠) ابو الفرج عبد الحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) اخبار الظراف والمتماجنين ، المكتبة الحيدرية ، النجف ١٩٦٧، ص٢٤) .

فيذكر ان فالوذجا احضر على مائدة الخليفة يزيد بن عبد الملك وكان معه رجل ينادمه فأكل سريعا فقال له الخليفة (ارفق فالاكثار منه يقتل) فأجابه (منزلي على طريق المقابر ، وما رأيت جنازة قبل ان صاحبها مات من اكل الفالوذج)[21] ومن الحلويات الاخرى اللوزينج وهو شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز وكان يقال له قاضي الحلواء وقد عرفت في العصر الاموي .

ثم الخشكنانج[22] والاقراص المعجونه باللبن والسكر والكعك المسمن . اما الاشربة فاهمها الماء العذب وهو افضل الاشربة ثم اللبن في المرتبة الثانية ، ثم شراب العسل .

هذه لمحة عن الاطعمة والاشربة في العصر الاموي وفي بداية القرن الثاني الهجري لابد منها لانها تعتبر الخطوط العامة الكبير الذي حصل فيما بعد في العصر العباسي وبالذات في حقبة الترف والحضارة .

بلغت الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي اوج عظمتها وذروة فتوحاتها في مشارق الارض ومغاربها فقد فتح العراق والشام ومصر وورث العرب ما فيها من حضارات كلدانية وساسانية وبيزنطية وارامية وكان تأثير هذه الحضارات واسعا شاملا في مختلف نواحي الحياة في العصر العباسي ولاسيما الحياة الاجتماعية [23].

---

[21] الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء ج1ص619

[22] لفظ فارسي ، ويصنع من العجين المحشي باللوز او الجوز والسكر ويشوى وهو ما يسمى عندنا اليوم كليجة .

[23] كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن العديم (ت660هـ/1261م) الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، تحقيق سليمى محجوب ، ودرية الخطيب ، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب 1986 (مقدمة التحقيق) ج1 ص201 .

ان دراسة احوال الطبقات الاجتماعية له اثره في اظهار عظمة الحضارة العربية الاسلامية وما بلغته من سمو وازهار .

وموضوع دراسة الحياة الاجتماعية من المواضيع الصعبة لان القدامى لم يفردوا كتابا مستقلا بهذا الشأن ويعود ذلك كما يقول الدكتور صلاح الدين المنجد لان الادباء منهم يقصدون اللهو والمؤرخين وجهوا عنايتهم للسياسة والحرب فاهملوا المجتمع ، الجغرافيون والرحالة وصفوا ما احاط بهم من مظاهر خارجية واهملوا التحري والاستقصاء .

ولمعرفة هذا الموضوع لابد من التعرف الى المراحل التي مرت بها الدولة العربية وبالتحديد العصور العباسية الحقبة التي ترف خلالها الناس فاقتنوا في الحياة والمعاش والتفكير واللهو وقد طغى الترف فيها على كل شيء – ومنها الاطعمة والاشربة – حتى يمكن تسميتها بـ (حقبة الترف) بدأت في القرن الثاني الهجري ايام الخليفة المهدي العباسي (ت ١٥٨هـ /٧٧٤م) وانتهت اواخر القرن الرابع الهجري.[٢٤]

ظهر الترف في بغداد مركز الذوق والفكر والطبع الرقيق والغنى الواسع والظرف الجميل . والترف ينهض على عناصر اربعة :

١- الزهو والكبرياء فالمترف يزهى ويسعى الى تأييد زهوه بطرافة ما يحيط به .

٢- التمتع بكل لذة والتنعم بها مهما كان لونها وشأنها ورفعتها وحقارتها .

---

[٢٤] الدكتور صلاح الدين المنجد : الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس ، دمشق ص١ .

٣- حب الظريف الذي لم يعرفه الناس في كل شيء وسرعة ملاله .
٤- التزين والاقبال على الزخرفة والتزويق والتنقل من طريف الى جديد وبهذين العنصرين الاخيرين يتصل الترف بالفن اوثق الاتصال وامتنه .

والفن هو وليد الترف او الترف منظما فساقهم هذا الفن الى الاناقة والتزويق والتكلف والتصنع في احيان اخرى[٢٥]. وهناك تفاوت واضح وكبير بين هذه الطبقات فالطبقة العامة لا تجد القوت اليومي في حين أن الطبقة العليا تعيش في جو حافل بالجوهر والياقوت والقصور الجميلة وملابس الوشي والخز وطيبات الاطعمة والحلوى والبساتين والرياض ومجالس اللهو والغناء حتى اصبحت هذه الطبقة لها عاداتها ولباسها وطعامها وطباعها هم الظراف والمتظرفات . ان نظرة الى كتاب الموشى تدل على صدق هذا الوصف[٢٦] وهكذا عاشت في مدينة بغداد طبقتان اجتماعيتان ، طبقة اصحاب الاموال الذين اعجبتهم بغداد لما فيها من عيش رغيد وطعام هنيء حتى قال احد الشعراء :

اعانيت في طول الارض والعرض   كبغداد دارا انها جنة الارض
صفا العيش في بغداد واخضر عوده   وعيش سواها غير صاف ولا غض

---

[٢٥] المرجع نفسه ص٢ .

[٢٦] محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م) الموشى او الظرف او الظرفاء ، بيروت ، وانظر نبيلة عبد المنعم داود : الطرف والنكت في التراث ، محاضرة القيت في ملتقى الرواد في بغداد ١٩٩٦م.

تطول بها الاعمار ان غذاءها   مريء وبعض الارض امرأ من بعض[27]

اما الفقراء فقد نظروا الى بغداد نظرة من ضاقت عليهم على رحبها ولم يستطيعوا العيش بها فقال احدهم :

بغداد دار لاهل المال طيبة   وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران امشي في ازقتها   كأنني مصحف في بيت زنديق

هذه الحالة الاجتماعية كان لها نتائج مهمة في حياة المجتمع العباسي لان غزارة الاموال في يد الخلفاء والوزراء والامراء وقلة الاموال في يد سواهم جعل فن الطبخ لا يزدهر الا في قصور الخلفاء ولا تتعدد اصنافه وتتنوع الوانه الا على يد طباخ ماهر . " وفن الطبخ او الطبيخ مظهر من مظاهر الحضارة العربية الاسلامية وان هذه المظاهر متعددة ومتنوعة تتغير وتتطور حسب الازمنة والامكنة ، وتتميز تبعا لعوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية ولكنها رغم هذا التنوع ، وهذا التلون فانها تحافظ على صفة الاستقرار النسبي وصيغة المرونة ، وتدخل دائما في اطار تخضع حدوده لعامل الوحدة والشمولية بقطع النظر عن الجزيئات الطارئة والخصوصيات الاقليمية ، انه التفاعل والتكامل اللذان يطبعان الوطن العربي في شرقه وغربه عن سائر البيئات [28] وقد ادرك العرب ما لفن الطبخ من الفضيلة والاثر الحميد في

---

[27] ابو بكر احمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ج١ ص٦٨ ،٥٢).

[28]علي بن احمد بن ابي القاسم بن ابي بكر بن رزين التجيبي : فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان تحقيق : محمد بن شقرون ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٨٤ ص٥ .

تعديل الامزجة واصلاح الاجسام فصرفوا اليه نصيبا وافرا من عنايتهم واهتمامهم[٢٩] إن مصادر دراسة الاطعمة والاشربة متعددة ومتنوعة هي :

١- ما جاء في القرآن الكريم عن الطعام في عدد من السور بصيغ مختلفة مثل : اطعموا ، طاعم ، يطعم ،طعامك ، طعمتهم ، طعموا ....[٣٠] وكذا ما جاء عن الشراب وصفاته فقد ورد في عدد من السور والايات مثل شرب ، يشرب ، يشربون ، شراب ، شاربين ، شرابك ، شرابه [٣١]

٢- ما جاء في الحديث الشريف ، فقد اشارت كتب الحديث والفقه الى الكثير مما يخص الطعام والشراب وافردت لذلك ابوابا وفصولا او كتبا كما سمتها منها :

كتاب الاطعمة ، وكتاب الاشربة وكتاب الذبائح ، وكتاب الاضاحي ، وكتب الصيام ، وكتب ادب المؤاكلة . اضافة الى ما تناولته هذه الكتب من امور تخص الزكاة والصدقات والزراعة[٣٢] ويمكن ان نضيف اليها كتب الخراج التي تعنى بضريبة الارض فتذكر انواع المواد الغذائية من خلال ذكرها لما يجب من الضريبة على هذه المواد . ورغم ان المعلومات التي

---

[٢٩] نبيلة عبد المنعم داود : كتب الطبيخ مصدر لدراسة الصناعات الغذائية (بحث منشور في المؤتمر الثالث للجمعية الاردنية لتاريخ العلوم، اساليب الانتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الاسلامية ، الاردن ٢٠٠٠ / ص١١) .

[٣٠] وردت في عدد من السور : الاحزاب ٨٣:٣٣ ، المائدة ٩٣:٥ ، الانعام ١٤٥: ٦ ، يس ٤٧ :٣٦ ، قريش ٤ :١٠٦ ، المدثر : ٤٤ : ٧٤ وسور اخرى .

[٣١] وردت في عدد من السور : البقرة ٢٤٩:٢ ، المؤمنون ٣٣ :٢٣ ، الانسان ٥ : ٧٦ ، الانعام ٧٠ :٦ ، البقرة ٢٥٩ :٢ ، فاطر ١٢ : ٣٥ وسور اخرى .

[٣٢] فنسنك : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ، الطبعة الاوربية .

تقدمها هذه الكتب تغلب عليها الصفة الدينية وتتناول قضايا فقهية الا ان فيها بعض المعلومات المهمة التي تخص الطعام والشراب وانواعه وفائدتهما لحفظ الصحة وادامة الحياة ليستطيع الانسان ان يؤدي الفرائض المطالب بها فضلا عن انها من زمن مبكر وهي مسألة لها اهميتها في دراسة تطور الاطعمة وانواعها والعناية بها لذلك لا يمكن اغفالها [٣٣]

٣- كتب اللغة والمعاجم ، تناولت موضوع الطعام والشراب وانواع الاطعمة وما يتعلق بالمائدة والتسميات المختلفة لانواع الاطعمة من خلال عنايتها بالالفاظ ودلالاتها واصلها واشتقاقها ومن الامثلة على ذلك كتاب المخصص لابن سيده (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) حيث خصص بابا فيه سماه كتاب الطعام [٣٤] بدأ فيه بـ : اسماء عامة الطعام وذكر :

اسماء الطعام من قبل اسبابه اي انواع الطعام الذي يصنع في المناسبات .

اسماء الطعام من قبل اوقاته ، ونعوت الطعام من قبل لينه وخشونته ونجوعه

ويبدأ بالطعام الذي يتخذ من اللحم فيخصص له بابا ويذكر ما يجفف ويطبخ ثم يتبعه بباب الشواء ، وابواب اخرى تخص نعوت اللحم من قبل غثاثته وسمنه واللحم المتغير واللحم النيء . ويشير الى انواع الاطعمة

---

[٣٣] نبيلة عبد المنعم داود : الغذاء والصحة في التراث العربي (بحث منشور ضمن ابحاث الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب ، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب بالتعاون مع مركز دراسات راس الخيمة ١٩٩٦ ، ص ٥٧٦ .

[٣٤] ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي الاندلسي (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) المخصص ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، السفر الرابع ص١١٨ وصفحات اخرى بعدها .

والخبز وانواعه والكوامخ والحلواء ثم انواع الالبان ، كما يذكر ما يأكله اهل البادية واهل المدن واداب المائدة والمؤاكلة ، وهو في ذكره لذلك يهتم بالمفردات واشتقاقها ومعانيها .

وهناك كتب اخرى اهتمت بالالفاظ المعربة التي دخلت المجتمع العربي الاسلامي نتيجة الفتوحوالاختلاط بالامم الاخرى فدخلت أطعمة جديدة ولها تسميات غير عربية اهتمت بها هذه الكتب وشرحتها ومن الامثلة على ذلك كتاب المعرب للجواليقي [٣٥] (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م) ذكر فيه الكلام الاعجمي على حروف المعجم ، وقال في وصف منهجه في الكتاب قال : (هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي ونطق به القرآن المجيد وورد في اخبار الرسول " صلى الله عليه وسلم" والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وذكرته العرب في اخبارها واشعارها ليعرف الدخيل من الصريح [٣٦] .

وذكر في كتابه مجموعة من الاطعمة والحلوى من خلال ذكره للمفردات الاعجمية فذكر الخشكنان واللوزينج والسكباج وغيرها .

---

[٣٥] موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي : المعرب تحقيق احمد محمد شاكر دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١هـ . وقد أصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي – جامعة الدول العربية معجم الاطعمة ضمن مشروع كبير الاصدار عدد من المعاجم جاء تسلسله (١٣) لعام ١٩٧٠ فيه تعريف لكثير من مفردات الاطعمة والاشربة العربية والمعربة .

[٣٦] الجواليقي : المعرب ص١٥ .

٤- دواوين الشعراء التي حفلت بوصف مفصل لانواع الاطعمة والاشربة ووصف صناعتها ومحتوياتها والامثلة على ذلك كثيرة لا مجال لذكرها كما حفلت كتب الادب بالكثير من الشعر في وصف الطعام والشراب ومنها ما ذكره الشاعر ابو القاسم الحسين بن الحسين الواساني (ت ٣٩٤هـ/١٠٠٣م) يصف دعوة عملها في احدى قرى دمشق وهي قصيدة طويلة اشار فيها الى انواع الاطعمة والفواكه والحلوى ومنها :[٣٧]

تركوني يا قوم افقر من فرخ واعرى ظهرا من الافعوان

اكلوا لي من الجداء ثلاثين قريصا بالخل والزعفران

اكلوا ضعفها شواءا وضعفيها طبيخا من سائر الالوان

اكلوا لي تبالة بتلت عقلي بعشر من الدجاج السمان

اكلوا لي مضيرة ضاعفت ضري برؤوس الجداء والعصبان

اكلوا لي كشكية قرحت قلبي وهاجت لفقدها اشجاني

اكلوا لي عدلا من المالح المشوي ملقى في الخل والانجدان

اكلوا لي من الكوامخ والجوز معا والخلاط والاجبان

ومن البيض والمخلل ما تعجز عن جمعه قرى حوران

فتتوا لي من السفرجل والتفاح والرازقي والرمان

والرياحين ما رهنت عليه جبتي عند احمد الفاكهاني

---

[٣٧] ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) يتيمة الدهر في محاسن شعراء اهل العصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٦ ، ج١ص٣٥٥ .

وهكذا ذكر مجموعة من الاطعمة في هذه القصيدة الطويلة التي اخترنا بعضا منها وكثير غيرها .

٥- كتب التاريخ العام والتراجم والسير وقد وصفت هذه الكثير من الموائد الخاصة بالخلفاء والوزراء والموسرين وما يقدم فيها من انواع الاطعمة والاشربة والحلوى والفواكه وهي تعطي صورة عن البذخ والترف الذي كانت تتسم به هذه الموائد وما يستخدم فيها من آنية من الذهب والفضة والبلور ورغم انها تهتم بالجانب الوصفي الا انها لا تخلو من فائدة في موضوع الاطعمة والاشربة ومثال ذلك ما ذكره المسعودي في مروج الذهب والصابي (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦) في كتابه تحفة الامراء في تاريخ الوزراء حيث اكثر في وصف موائد الوزير ابو الحسن بن الفرات وما يقدم فيها من انواع متعددة من الطعام والشراب والادوات المستعملة في ذلك .

٦- كتب الجغرافية والبلدان والرحلات وهي لتي تعني بالاقاليم وطبيعة الارض والمناخ وانواع المزروعات وتأثير ذلك على صحة سكان اهل البلد وتحديد الطعام ونوعيته ، ومثال ذلك ما ذكره الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م) في كتابه البلدان او الحنين الى الاوطان [٣٨] . اما الرحالة فقد اهتموا بالطعام ليس لكونه وسيلة لتغذية الجسم بغية الحياة بل لا الطعام يرتبط بالبيئة والاقتصاد والدين والمعتقدات الشعبية وبكافة مظاهر الحياة الانسانية المادية والفكرية وعلى هذا الاساس يشكل الطعام مركبا حضاريا في الفكر

---

[٣٨] نشره الدكتور صالح احمد العلي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ .

الانثوبولوجي [٣٩] ان احاديث الرحالة المسلمين عن الطعام يزودنا بالكثير من المعلومات عن اوجه الحياة المختلفة من اقتصاد واجتماع وثقافة [٤٠]

٧- كتب الفلاحة والنبات وهي تعني بالتربة والمناخ والزراعة ووسائل السقي والتسميد وحماية المزروعات ومواسم الزراعة وبعض الصناعات الغذائية : ومثال ذلك ما ذكره الطغنري الاشبيلي في كتابه زهرة البستان ونزهة الاذهان ، فقد اشار الى عدد من هذه الصناعات الغذائية ومنها صناعة الجبن والإلبان[٤١] وخصص ابوابا اخرى لصناعة الزبد والسمن واصلاح ما فسد منهما وباب في طبخ الباذنجان ، واخر في صناعة خل العنب وصناعة المربيات وغيرها [٤٢] .

٨- كتب الثقافة العامة ، وهي كتب تناولت جوانب متعددة من الحياة والفكر فذكرت بعض الحقائق والافكار العلمية ومنها ما يخص الاطعمة والاشربة وسأشير اليها حسب تسلسلها الزمني .

ومن اقدم هذه الكتب كتاب المحاسن لابي لابي جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤هـ /٨٨٧م او ٢٨٠هـ/٨٩٣م) جمع فيه فنونا مختلفة

---

[٣٩] الدكتور حسين محمد فهيم : ادب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ١٣٨ الكويت ١٩٨٩ ص١٣٤ .

[٤٠] المرجع نفسه ص١٣٤ .

[٤١] محمد بن مالك الغرناطي الطغنري الاشبيلي (ق٥هـ) : زهرة البستان ونزهة الاذهان ، تحقيق الدكتور محمد مولود خلف ، مركز نور الشام للكتاب ، دمشق ٢٠٠١ ،ص١٤٨ ، ١٥١ .

[٤٢] المصدر نفسه الفحات ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٣ .

وخصص فيه كتابا سماه " كتاب المآكل" واخر سماه " كتاب الماء" [٤٣] ذكر البرقي في كتاب المآكل ١٢٧ بابا تخص انواع الاطعمة وقضايا تخص ادب المؤاكلة واداب المائدة وامور اخرى .

اهتم البرقي بأنواع الاطعمة مبينا علاقتها بالصحة وما ذكره في هذا المجال غاية في الاهمية على الرغم من انه ليس من الاطباء ولم يؤثر عنه في سيرته اهتماما بالطب ، فضلا عن ان ما ذكره من حقائق وان كان على شكل احاديث واخبار تغلب عليها الصفة الدينية ، الا ان هذه المعلومات ذات قيمة في دراسة تطور الاطعمة لانها تمثل دراسة رائدة في هذا المجال ولان المؤلف رواها عن طريق الصحابة والتابعين الذين عاشوا اواخر القرن الاول الهجري والثاني والثالث للهجرة فهي اساس للكتب التي سارت على نهجه وتناولت نفس الموضوع ومنها كتاب مكارم الاخلاق للطبرسي الذي سنشير اليه فيما بعد .

اما الابواب التي خصصها للطعام بدأ بباب اللحم وسماه سيد الطعام [٤٤] ثم يعدد بعدها اصناف اللحوم ومواصفاتها فيذكر لحم البقر ويشير الى ان لحم الضأن افضل انواع اللحوم ويؤيد رأيه هذا بان الله سبحانه وتعالى لو علم شيئا اكرم من اضأن لفدى به اسماعيل (عليه السلام) ويذكر

---

[٤٣] ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٤٦ ص٣١٦- ٤٦٦ ، ص٤٦٨ - ٤٨٦ .

[٤٤] البرقي : المحاسن ص٣٨٥ .

بابا للكباب ويتبعه بباب الشواء ثم يستمر في ذكر انواع اللحوم مثل لحم الظباء والخيل والابل والدجاج والدراج والحمام .[٤٥]

ثم يذكر الحيتان والسمك واهميتها كطعام ولاسيما الطري منها ، كما يذكر البيض والاجبان والالبان . ويخصص بابا للحوم الباردة ثم الحلواء وتناولها بعد الطعام على اعتبار ان كل طعام ليس فيه حلوى فهو خداج . كما يخصص بابا يسميه باب الالوان اي تعدد الوان الطعام يذكر فيه الثريد والهريسة والاحساء التي تتكون من الحبوب كالارز والحمص والحنطة والباقلاء[٤٦]

اما ابواب الفواكه فيذكر انواعا منها يبدأها بالتمر ويذكر الموز والتين والتفاح والكمثرى والسفرجل والاترج والبطيخ والعنب والرمان[٤٧].

كما يفرد بابا للحبوب يذكر فيه اصناف الحبوب والاطعمة التي تتخذ منها وفي باب البقول يذكر الكراث والفجل والخس والكرفس والجرجير والسلق والجزر واللفت والباذنجان والكمأ [٤٨].

ويؤكد البرقي في احاديثه عن العام اوقات الطعام وعدم الاسراف في تناوله وعن طعام شهر رمضان ويفصل في الكلام عن علاقة الطعام بالصحة ويذكر امورا لا تلائم عصرنا الحاضر ولكنها وليدة المرحلة التاريخية

---

[٤٥] المصدر نفسه ص٣٩١ .

[٤٦] المصدر نفسه ص٣٣٦ .

[٤٧] المصدر نفسه ص٤٣٧

[٤٨] المصدر نفسه ص ٤٢٤ .

التي كتب فيها البرقي مع ملاحظة انه لا يذكر طريقة صنع الطعام بل يقتصر على فائدته . ويشير ايضا الى اداب المائدة وانواع الموائد وفضيلة اطعام الطعام .

اما كتاب الماء فيذكر فيه ٢٠ بابا تخص فضل الماء وذكر الانية التي يشرب بها [٤٩] ومن كتب الثقافة العامة مجموعة اخرى منها :

كتاب العقد الفريد لاحمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ /٩٣٩م) فقد خصص في موسوعته بابا سماه " في الطعام والشراب " استهله بقوله " ...... الطعام والشراب بهما نمو الغراسة ، وهما قوام الابدان ، وما عليها بقاء الارواح ... " [٥٠] وقد بدأ ابن عبد ربه باطعمة العرب واغلبها من اللحم واللبن والدقيق ، ثم خصص ابوابا لاسماء الطعام وباب في صفة الطعام وفضله واخر في اداب الاكل والطعام [٥١] ثم بابا لتدبير الصحة لتدبير الصحة وعلاقتها بالطعام ذكر فيه امورا منها الحركة والنوم مع الطعام ، تقديم الطعام وما يقدم ويؤخر منه ، واوقات الطعام [٥٢] ثم يذكر انواع الاطعمة ويعدد منها (٢٣) نوعا منها : الاطعمة الغليظة واللطيفة والحارة والباردة واليابسة والرطبة والسريعة الانهضام والمسهلة ويعطي امثلة لكل نوع منها [٥٣] ثم يذكر بابا عن الاشربة والخمور ويشير الى قصص

---

[٤٩] المصدر نفسه ص ٤٦٩ -٤٨٩ .

[٥٠] احمد بن عبد ربه الاندلسي : العقد الريد ،ج٦ ص٢٩١ .

[٥١] المصدر نفسه ج٦ ص٢٩٢ -٢٩٦.

[٥٢] المصدر نفسه ج٦ ص٣٠٧ .

[٥٣] المصدر نفسه ج٦ ص٣٣١

واحاديث عن تحريمها ويذكر بابا عن افات الخمر وجناياتها بانها تذهب العقل وتحسن القبيح وتقبح الحسن وتغير الخلقة فيعظم انف الرجل ويحمر ويترهل[٥٤] ويشير الى موضوع مهم هو اثر الوراثة في نسل الشاربين ويقول : (..... وربما بلغت جناية الكأس الى عقب الرجل ونسله)[٥٥] .

خصص الوشاء بابين لموضوع الطعام والشراب هما : باب زي الظرفاء في الطعام [٥٦] وباب زيهم في الشراب [٥٧]

وهو في هذين البابين يذكر انواعا من الاطعمة والاشربة ويصف في احيان قليلة طريقة صنعها . ومن الكتب التي اهتمت بالطعام ما ذكره مسكويه (ت ٤٢١هـ /١٠٣٠م) في كتابه تهذيب الاخلاق حيث عد اداب الطعام جزءا مهما من الخلق الحسن .

اما الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) فقد خصص في كتابه ثمار القلوب الباب (٥٢) في الطعام وما يتصل به ، اشار فيه الى انواع الاطعمة والفواكه والحلويات [٥٨] وخصص الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) في كتابه زهر الاداب وثمر الالباب ، بابا سماه الفاظ لاهل العصر في

---

[٥٤] المصدر نفسه ج٦ ص٣٣٩ .

[٥٥] المصدر نفسه ج٦ ص٣٤٦ .

[٥٦] محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء : الموشى ،عالم الكتب ، بيروت ١٣٢٤ هـ ط١ ، ص١٠٥

[٥٧] المصدر نفسه ص١٠٧ .

[٥٨] ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٦٠٨ .

صفات الطعام ومقدماته وموائده والاته ذكر فيه انواعا من الاطعمة كالهريسة والفالودج واكثر اشارته شعرية ومنها قصائد لابن الرومي في وصف الطعام والفواكه ، كما ذكر انواع الحلويات واشار الى السمك [٥٩]

اما ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) فقد خصص في كتابه بهجة المجالس وانس المجالس بابا سماه " باب الطعام والاكل اشار فيه الى قضايا حضارية تتفق مع اسم كتابه ومنها ادب المائدة والمجالسة في الطعام وغسل اليد[٦٠] ومن الكتب الاخرى كتاب سلوك السنن الى وصف السكن لابن ابي حجلة التلمساني (٧٧٥هـ/١٣٧٣م) وهو كتاب موسوعي أهتم فيه بالعمارة والسكن ويقع في (٣٣) بابا خصص عدد من الابواب للطعام وهي : الباب (٢٧) في الطباخ والقدور ونبذة عن حوائج الطعام وبعض العادات وانواع الاطعمة[٦١] في الباب (٢٩) جعله لوصف السفرة والخبز وانواع البقول[٦٢] وفي الباب (٣٠) خصصه للبقول وهو حلية الموائد على حد تعبيره [٦٣] وجعل الباب (٣١) في انواع الاطعمة وذكر منافعها

---

[٥٩] ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني : زهر الاداب وثمر الالباب ، دار الجيل بيروت ، ج٣ ص٣٤١-٣٤٢ .

[٦٠] يوسف بن عبد البر القرطبي :بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس تحقيق محمد مرسي الخولي ، بيروت ج٢ ص٧٢ .

[٦١] احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الواحد بن ابي حجلة التلمساني : سلوك السنن الى وصف السكن مخطوط مصور اعمل في تحقيقه مع الدكتورة جنان عبد الجليل ، الورقة ٤٢أ و٤٣ب .

[٦٢] المصدر نفسه الورقة ٤٨أ .

[٦٣] المصدر نفسه الورقة ٤٨ أ .

ومضارها [٦٤] اما الباب (٣٢) فقد خصصه للحلوى والمشروب [٦٥] وذكر في الباب (٣٣) اوصاف الولائم والزائر والمزور وادب المائدة [٦٦]وهكذا عد التلمساني امور الطعام والمائدة جزءا من تخطيط المسكن وذكر الكثير من القضايا التي تخص ادب المائدة والمؤاكلة .

ومن الكتب الاخرى في هذا الموضوع كتاب مكارم الاخلاق لرضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (ق٧هـ) فقد خصص الباب السابع من كتابه في الاكل والشرب وما يتعلق بهما [٦٧]

ويقع في (١٣) فصلا وتكاد ابوابه وفصوله تكون نسخة ثانية من كتاب المحاسن للبرقي سوى بعض الاضافات التي اقتضتها طبيعة العصر الذي عاش فيه [٦٨] .

الكتب الطبية :

الطب حفظ الصحة في الاجساد الصحيحة وردها الى صحتها [٦٩] يقول اسحاق بن سليمان : " ان السبب الذي دعى الاوائل الى الكلام في طبائع الاغذية هو انهم لما عنوا بالبحث عن الصحة واسبابهات

---

(٦٤) المصدر نفسه الورقة ٥٠ أ .

(٦٥) المصدر نفسه الورقة ٥١أ .

(٦٦) المصدر نفسه الورقة ٥٣ أ .

(٦٧) الحسن بن الفضل الطبرسي : مكارم الاخلاق ، بغداد ١٩٨٨ ، ص١٥٥ .

(٦٨) نبيلة عبد المنعم داود : الغذاء والصحة في التراث العربي ص٥٨٨ .

(٦٩) ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) المنصوري في الطب ، تحقيق الدكتور حازم البكري الكويت ١٩٨٧ ص٢٩ .

والامور الداعية الى حفظها وجدوا الابدان مضطرة الى امرين احدهما : اعطاؤها من الغذاء ما يصلحها مما به قوتها وقوامها ... والاخرى هي ما تجمع في الابدان من قسم الغذاء المخالف لمزاجها ..... "[٧٠] والكتب الطبية اكثر الكتب صلة بالاطعمة والاشربة ، وقد اهتم الاطباء بهذا الامر لاضطرار الابدان وحاجتها الى الطعام والشراب . وظهر هذا الاهتمام على شكل فصول خاصة بالغذاء والطعام في الكتب الطبية ومنها ما ورد في موسوعة ابو زيد احمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) الموسومة مصالح الابدان والانفس فقد خصص ابواباً هي :-

القول في انواع الاغذية التي يتغذى بها الانسان وهي ٦ : انواع اللحوم والالبان والبيض والحبوب والثمار والبقول [٧١] ثم ذكر الحبوب وطبيعتها وفائدتها كغذاء وان كانت اقل من اللحوم لان اللحم عنده سيد الطعام ، ويقول ويدمن اهل النعمة على اكله . اما الفواكه والثمار فقد ذكر انواعها وقيمتها الغذائية ، ثم ذكر البقول وما يصلح منها للغذاء طريا او مطبوخا . كما خصص بابا لصناعة الطعام سماه : القول في صنعة الطعام[٧٢] وذكر فيه ما يطبخ ويشوى وما يصلح بنوع اخر . وهو كطبيب يؤكد دائما على اهمية اي نوع من الغذاء للصحة .

---

[٧٠] اسحاق بن سليمان (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م) كتاب الاغذية مخطوط مصور من معهد العلوم العربية الاسلامية في فرانكفورت ١٩٨٦ ج١ الورقة ٥أ .

[٧١] ابو زيد احمد بن سهل البلخي : مصالح الابدان والانفس مخطوط مصور من معهد العلوم العربية الاسلامية في فرانكفورت ١٩٨٤ ، الورقة ٧١ .

[٧٢] المصدر نفسه الورقة ٨٨- ١٠٦ .

ثم يخصص ابوابا اخرى لاوقات الطعام وترتيب انواع الطعام عند التقديم والاكل ويتبع ذلك بباب اصناف الحلواء [٧٣]

ثم يخصص بابا يسميه تدبير احوال المطعم يذكر فيه امورا تخص طريقة تناول الطعام على قدر الحاجة وعدم الاسراف [٧٤]

اما الباب السادس من كتابه فقد خصصه لتدبير الشراب[٧٥] وذكر ان الحاجة الى الشراب تقترن بالحاجة الى الطعام لا يقوم احدها ولا يكمل فعله الا بالاخر . ذكر فيه انواع الشراب وطريقة صنعه ومنها شراب البنفسج وشراب النيلوفر وشراب ماء العسل والسكنجبين وخصص ابوابا للشراب العنبي وطبيعته ومنافعه ومضاره وذكر انواعا عديدة منه . ثم تلاه بباب مزج الشراب وامور اخرى .

تخص اوقات الشرب ومجالسه [٧٦] ولابد من الاشارة الى ما ذكره الرازي في موسوعته الحاوي في الطب حيث ذكر بابا عن قوانين استعمال الاطعمة والاشربة لحفظ الصحة ومضار العطش [٧٧] وما ذكره في كتابه الاخر المنصوري في الطب حيث خصص المقالة الثالثة في قوى الاغذية من اللحوم والحبوب والحلواء والتوابل والكوامخ والفواكه والرياحين والمربيات

---

[٧٣] المصدر نفسه الورقة ١١٩أ

[٧٤] المصدر نفسه الورقة ١٢١ .

[٧٥] المصدر نفسه الورقة ١٢٥-١٣١

[٧٦] المصدر نفسه الورقة ١٣١-١٦٠ .

[٧٧] ابو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت٣٢١هـ /٩٣٢م) الحاوي في الطب ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٣ ، ج٢٣ ص٧٥ ، ج٦ ص٣٤ .

وغيرها [٧٨] ثم ما ذكره محمد بن ابراهيم بن ساعدالسنجاري ابن الاكفاني (٧٤٩هـ -١٢٣٨م) في كتابه غنية اللبيب عند غيبة الطبيب حيث خصص : باب في تدبير الاغذية بحسب الامزجة . باب في شروط مراعاة الغذاء .[٧٩]

اما النوع الثاني من اهتمامات الاطباء فهو الجانب الذي يعنى بالغذاء وعلاقته بالصحة حيث الف الاطباء فيه كتب برأسها باسم الغذاء او الاغذية تناولوا فيه الاطعمة والاشربة وطريقة صنعها وهي كثيرة [٨٠] جدا نذكر منها :

كتاب الاغذية ليوحنا بن ماسويه (ت٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) [٨١] وله كتاب الاشربة ايضا

كتاب الاغذية ليعقوب بن اسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ /٨٧٣م) [٨٢] وله رسالة في كيمياء الطبائخ ايضا وكتاب الاطعمة لثابت بن قرة الحراني

---

[٧٨] ابو بكر محمد بن زكريا (ت٣٢١هـ / ٩٣٢م) المنصوري في الطب تحقيق الدكتور حازم البكري ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ١٩٧٨ ، ص١٦٨ .

[٧٩] محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجاري ابن الاكفاني : غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ، تحقيق الدكتور صالح مهدي عباس ، منشورات مركز احياء التراث – بجامعة بغداد ١٩٨٨ ص٣٩ .

[٨٠] انظر نبيلة عبد المنعم داود : الغذاء والصحة في التراث العربي .

[٨١] احمد بن القاسم بن ابي خليفة ابن ابي اصبعة (٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار الفكر بيروت ١٩٦٥ ص١٣٦ .

[٨٢] المصدر نفسه ص١٦٨ .

(ت٢٨٨هـ/٩٠٠م)[٨٣] كتاب منافع الاغذية ودفع مضارها لابي بكر الرازي ولعل اوسعها كتاب الاغذية لاسحاق بن سليمان وهو كتاب واسع شامل يقع في ٤ مجلدات لكل ما يتعلق بالغذاء والشراب وانواعه [٨٤] .

كتب الحسبة :

اشارت الكتب المارة الذكر الى امور وقواعد تخص الطعام وطرق تناوله وفائدته وما ظهر من امور يجب مراعاتها لحفظ الصحة ولذلك لابد من وجود من يعمل في مراقبة تطبيق هذه القواعد وهنا يأتي دور الحسبة .

ان اهمية الكتب الحسبة تعود الى انها تعطي تفاصيل لكليات الطعام والشراب وجزئياتها من خلال المراقبة لانها المعنية بتطبيق التدابير الخاصة بالطعام والشراب . وكتب الحسبة كثيرة وسنشير الى واحد منها هو كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام المحتسب .

ضم هذا الكتاب ١٧ بابا خاصا بالطعام وطريقة صنعه ومنها : الحسبة على الخبازين والسقائين وجزارين الابل والضأن والقصابين والشوائين والزلابيين والحلوانيين والسماكين والطحانين والهرائسين . وطباخي الولائم ومعاصر الزيت وغيرها من الابواب [٨٥]

---

[٨٣] المصدر نفسه ص١٩٩ .

[٨٤] مخطوط مصور من معهد العلوم العربية الاسلامية في فرانكفورت

[٨٥] ابن بسام المحتسب : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق حسام السامرائي بغداد ١٩٨٦ الصفحات ٢١ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ١٨١ ....

لقد ضمت هذه الابواب معلومات عن مواد الاطعمة وطرق صناعتها والتزام القواعد الصحية في صناعتها ونظافتها ومن ذلك مثلا : يطلب من الخبازين ان لا يخبزوا خبزا الا ان يختمر لان غير المختمر يثقل في الميزان ويثقل في المعدة [86] وعلى الزلابيين ان يقلوا الزلابية بدهن رديء ويذكر ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ان محتسب دمشق كان لا ينام في رمضان ليلا ليراقب قلائي الزلابية خوفا من ان يستعملوا دهنا رديئا [87] اما جزارو الضأن والمعز والابل فيمنعون من ان يذبحوا من البقر المخلوع الورك والمجنون والاجرب ، وان لا ينفخوا شاة بعد السلخ فان نكهة الانسان تغير اللحم وتزفره [88] والامثلة على ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها .

وتذكر كتب الحسبة ان رسالة الكندي كيمياء الطبائخ ذكر فيها صناعة قلايا من غير كبود ومخ من غير مخ وعجة من غير بيض وعسل من غير نحل الا ان كتاب الحسبة لم يذكر طريقة عمل الاغذية لئلا يستغلها الغشاشين[*] .

كتب الطبيخ :

فن الطبخ مظهر من مظاهر الحضارة العربية الاسلامية وقد اهتم العرب والمسلمون بفن الطبخ وصرفوا اليه نصيبا وافرا من اهتمامهم وكانت

---

[86] المصدر نفسه ص٢٣ .

[87] محمد بن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود و الدكتور فيصل السامر ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٠ ج٢٠ .

[88] ابن بسام المحتسب : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص٥١ ، ٣٤ .

[*] المصدر نفسه

حصيلة هذا الاهتمام تلك العناية ان الف الكثير في فن الطبخ وضمت المكتبة العربية مجموعة طيبة من الكتب في هذا المجال بعضها الفها اشخاص كان الطبخ مهنة لهم ، او من الهواة . وقد عدد ابن النديم في الفهرست مجموعة من هذه الكتب منها كتاب الطبيخ لابراهيم بن المهدي وكتاب الطبيخ لعلي بن يحيى المنجم وكتاب الطبيخ لابراهيم بن العباس الصولي والطبيخ لابن الداية وغيرها [٨٩] من الكتب الاخرى ولا مجال لذكرها [٩٠] فضلا عن انها لم تصلنا . ومن الكتب التي وصلت الينا في الطبيخ كتاب وصف الاطعمة المعتادة لمؤلف مجهول وهو مخطوط مصور يقع في ١٤٨ ورقة تاريخ نسخه ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م ويقع في ١٢ بابا يبدأ الباب الاول في وصية الطباخ وادابه وينتهي بالباب الثاني عشر بالاشربة الهاضمة [٩١] لم ينشر من كتب الطبيخ الا القليل لانصراف الكثير عن هذا

---

[٨٩] محمد بن اسحاق النديم (ت بعد ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) الفهرست ، طبعة الاستقامة مصر ، ص٤٤٠ ، ٤٤١

[٩٠] انظر : حبيب زيات : فن الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام ، الخزانة الشرقية المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٨ج٤ ، ص١٦-١٨ ، نبيلة عبد المنعم داود الغذاء والصحة في التراث العربي ص٥٨٩-٥٩١ ، ابن رزين التجيبي ، فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان تحقيق محمد بن شقرون ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت مقدمة التحقيق ص١٠-١٢ ، عمر بن احمد بن بة الله بن العديم : الوصلة الى الحبيب في رصف الطيبات والطيب تحقيق : سليمى محجوب ودرية الخطيب ، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨٦ مقدمة التحقيق ج١، ص٢٥٤-٢٥٦ .

[٩١] لدي نسخة منه محفوظة في مكتبتي الخاصة .

الموضوع على اعتبار انه موضوع ليس بذي قيمة والواقع انه صورة حضارية رائعة وانجاز علمي كبير في الحضارة العربية :

١- كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن البغدادي (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م) [٩٢].

٢- كتاب الطباخة لجمال الدين يوسف بن المبرد الدمشقي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)[٩٣].

٣- فضالة الخوان في طيبات الطعام لابي الحسن علي بن محمد بن رزين التجيبي الاندلسي (كتب الكتاب ما بين سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) وسنة ٦٤٠هـ/١٢٦٦م)[٩٤].

٤- الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب لكمال الدين عمر بن احمد ابن هبة الله بن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)[٩٥]

٥- الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات وطيبات الاطعمة المصنوعات مما استخرج من كتب الطب والفاظ الطهاة لابي نصر بن سيار الوراق (ق٤هـ) [٩٦].

وهناك كتب في الطبيخ الفها اطباء منها : كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية لابن ماسويه ، وكتاب الطبيخ لاحمد بن الطيب السرخسي الفه

---

[٩٢] نشره داود الجلبي في الموصل واعاد نشره فخري البارودي في دار الكتاب الجديد .

[٩٣] نشره حبيب زيات الخزانة الشرقية ج٢ ص١١٢-١٢٥ .

[٩٤] حققه محمد بن شقرون ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت .

[٩٥] تحقيق سليمة محجوب ودرية الخطيب ، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨٦ .

[٩٦] حققه كاي اورنبري وسحبان مروة ، هلسنكي ١٩٨٧ .

للمعتضد على الايام والشهور وكتاب الطبيخ لابي بكر الرازي[٩٧] وهناك ايضا فصول ومقالات في كتب الطب واغلبها خاص بالمزورات واطعمة المرضى .

ان كتب الطبيخ ذات اهمية في موضوع الطعام والشراب لانها تمثل الجانب العملي في تحضير الطعام ومعرفة تراكيبه وفائدته .

ان ما وصل الينا من كتب الطبيخ نستطيع ان نكون منه صورة واضحة عن انواع الاطعمة والاشربة في اقطار مهمة من الدولة العربية الاسلامية فابن سيار الوراق يعطي تصورا كاملا عن الاطعمة والاشربة في بغداد بلد الحضارة ويعطي بصورة خاصة ما كان موجودا في قصور الخلفاء والوزراء وسراة القوم حتى يمكن ان تسمي الكتاب مطبخ الخلفاء لان كل وصفات الطعام مأخوذة من نسخ لمطابخ الخلفاء في بغداد وسامراء . اما ابن العديم في كتابه الوصلة الى الحبيب فقد اعطى صورة عن المآكل الدمشقية . مع الاشارة الى ان هناك توافق في كثير من الاطعمة والاشربة في الوطن العربي الا ما تقتضيه الخصوصيات الاقليمية .

اتصفت كتب الطبيخ بمنهج واضح في وصف الاطعمة والاشربة وصناعتها واداب الطباخ وادوات الطبخ والوقود والسفرة والمائدة وادابها ثم صلة الطعام بالصحة وما ينفع ويضر منها . ولعل اهم الكتب التي وصلتنا كتاب ابن سيار الوراق والسبب في ذلك ان الكتاب الف في القرن الرابع الهجري عصر الازدهار الحضاري والتفنن في وسائل العيش ومنها الطعام والشراب .

---

[٩٧] ابن النديم : الفهرست ص٤٤٠ .

ضم كتاب الطبيخ لابن سيار الوراق (١٣٢) بابا بدأها بأبواب تخص فساد الطبيخ[٩٨] كما تكلم على طبائع الات الطبيخ والمواد التي تصنع منها .

ادوات الطبخ :

أهتمت كتب الطبيخ بادوات صنع الطعام والمادة المصنوعة منها وخصائصها وصلاحية كل نوع منها لطعام معين حتى اصبح هذا الامر جزءً من منهجها تستهل به كتبها اضافة الى اداب الطباخ فمثلا الوراق يعطي خصائص المادة المصنوعة منها الادوات ثم يذكر ما يستحسن منها لطبخ الطعام [٩٩] . فيقول ان النحاس انثى حارة ، والحديد ذكر يابس ، والبرام باردة يابسة ، والفخار بارد يابس ، والخشب العناب حار رطب وهكذا .

ومن الامور التي تستحسن عن مؤلفي كتب الطبيخ ان يكون الطبخ في : البرام يجب ان يختار الطباخ القدور البرام ثم الفخار وعند الضرورة النحاس المبيض[١٠٠]

ويرى الوراق ان البرام تفضل لطبخ اللحم والشوربات لصبرها على النار ولين داخلها وسرعة نظافتها وطيب طعمها وان تؤدي كل ما تستودعه بحاله بلا تغيير ولا استحالة ولو طبخ بالحديد وانتظر ساعة لحال عن طبعه بالصدأ الذي يخرج من الحديد .[١٠١]

---

[٩٨] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٨ .

[٩٩] المصدر نفسه ص١١.

[١٠٠] وصف الاطعمة المعتالة ، الورقة ٤أ .

[١٠١] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص١١ .

ويفصل ابن رزين التجيبي في هذا الامر فيقول ان لايطبخ في قدر الفخار مرتين عملا بنصيحة الاطباء ويرى ان الطبخ في اواني الذهب والفضة افضل لو اباحه الشرع . ولكنه يفضل الطبخ في اواني الفخار والحنتم (*) وينهي عن الطبخ اواني الحديد والنحاس لرداءة جوهرها وفضل الطبخ في آنية الحديد اذا تعوهدت بالغسل والتنظيف والتحفظ من صدئها لأن الانسان اذا ادام الطبخ فيها افادت فوائد جمة(١٠٢) ويذكر ايضا انه لابأس باواني القصدير قدورا وصحافا ، كما ان الشرب ف اواني الزجاج والطبخ لو امكن احسن(١٠٣).

وقد اسهب الوراق في وصف انواع الاواني الخاصة بالطبخ وكل الادوات المستعملة فقد خصص لذلك ابوابا هي : -

باب فيما يحتاج اليه في المطبخ من آلة الطبيخ والشواء ذكر فيها القدور الكبار التي تصلح لطبخ السكباجات والحنطيات ، والقدور الاوساط والصغار ولمن تصلح ، والمقالي وغيرها كما ذكر ادواتا اخرى كالسكين الكبير والمستحد والهاون لدق الابزار وجاون حجر لدق اللحم وخوان خشب يقطع عليه . واشار الى ان المستوقد الذي يطبخ عليه يجب ان يكون مستطيلا منحرفا للتمكن من النار فيه ولتكن فيه منافس لخروج الدخان ودخول الريح واجود ما كان في نصف قامة الانسان ، كما يجب ان يخزن

(*) نوع من الطين تصنع منه الاواني المزججة .

(١٠٢) فضالة الخوان ص٣١ .

(١٠٣) فضالة الخوان ص٣١ .

الاباريز المدقوقة في براني الزجاج[١٠٤]•اما الباب الاخر فقد خصصه لما يحتاج اليه الخباز من آلة الخبز وهي : لوح للتقريص وشويقان واحد صغير للارغفة وكبير للرقاق واجود الشوابق ما عمل من خشب العناب للينها وقلة تشييطها ومنديل لوجه الخبز قبل ان يخبز ، وصنارة لاخراج الخبز من التنور اذا سقط ، ومحراك حديد لنار التنور ومنديل لمسح التنور وغيرها من الادوات • ويفضل ان يكون التنور اجوف معتدل السمك ولتكن عين التنور تلي المغرب لتقابل الرياح اذا احتيج الى فتحها •وفي باب ثالث ذكر ما يحتاج اليه الحلواني من آلة الحلواء وهي ادوات متفرقة منها مقلى للزلابية ومشبكات ومغرفة ومصفاة حديد وشويق وطابق حديد لعمل اللوزينج ، ومنخل لنخل دقيق الارز وغيرها من الادوات[١٠٥] •كما اشارت كتب الطبيخ وبشكل خاص ما اشار اليه الوراق في باب كامل خصصه في ذكر ما يطيب به القدر من الابزار والعطر [١٠٦]. ذكر فيه المسك والعنبر وماء الورد والزعفران والدارصيني والقرنفل والمصطكي •

وذكر في ما يطيب به القدر عدد من الفواكه اليابسة كاللوز والجوز والبندق • ومن الفواكه الرطبة ، الرمان الحامض والحلو والتفاح الحامض والحصرم وغيرها ومن الحلو السكر والعسل •

ومن الكوامخ الزيتون والبن •

ومن الحبوب الحمص والباقلاء والعدس واللوبياء والماش •

---

[١٠٤] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص١٢ .

[١٠٥] المصدر نفسه ص١٢.

[١٠٦] المصدر نفسه ص١٤ .

ومن البقول البصل والثوم والكرفس والكراث والسلق والكسفرة .

ومن الاباريز الفلفل والكمون والكراويا والزنجبيل .

ومن الشراب الخمر المطبوخ ، والزبيب العسلي .

ومن الاصباغ الزعفران اللازورد والزنجفر وغيرها .

ان عملية طبخ الطعام واعداده تتطلب طباخا ماهرا حاذقا ووضعت لذلك اداب اشارت اليها كتب الطبيخ وهي : -

ان يستعمل الاواني المناسبة لكل طبخة وان يعرف خصائص المواد التي تصنع منها آنية الطبخ وقد مر ذلك .

١- ان يكون الطباخ حاذقا عارفا بقوانين الطبخ بصيرا بصنعته وان يقص اظافره بحيث لايحيف ولا يتركها تطول لئلا تجتمع الاوساخ تحتها .(١٠٧)

٢- ان يعرف مقدار الوقود ويختار من الحطب اليابس مما لايكون له دخان ساطع كحطب الزيتون والسنديان ويتجنب حطب التين لانه كثير الدخان ، وكل ما فيه نداوة (١٠٨).

٣- ان يغسل الاواني والقدور بالطين الحر والاشنان والورد اليابس ويمسح القدر بعد غسلها بورق النارنج (١٠٩) .

٤- ان يختار من الاباريز : الكسفرة ما كان حديثا اخضر اللون يابسا وكذا الكمون والكراويا والدارصيني والمصطكي ما كان حبه كبارا خاليه من

---

(١٠٧) البغدادي : الطبيخ ص٧ ، وصف الاطعمة المعتادة الورقة ٤أ

(١٠٨) المصدر نفسه ص٧

(١٠٩) المصدر نفسه ص٧ ، وصف الاطعمة المعتادة الورقة ٤ب

التراب والوسخ • ومن الفلفل ما كان حديثا غير عتيق وحبه كبارا وان يكثر من الابازير في السواذج واكثر منه في القلايا والنواشف في حلوها اكثر من حامضها[١١٠] •

٥- ان يختار من الملح الابيض النقي الخالي من التراب •

٦- يختار لدق اللحم هاون من حجر والابازير تطحن في رحى طحنا ناعما •

٧- اذا غلت القدور ان يبالغ في اخذ الرغوة والزبد ووسخ اللحم وان يغسل اللحم بالماء الحار والملح قبل الطبخ وينقيه من الغدد والاغشية •

٨- ان يفرد لكل قدره مغرفة وللبصل سكينا لايقطع بها غيره •

٩- يترك الطبخ على نار هادئة بعد نضجه ساعة واحدة ويصلح المالح بالسلق في الماء العذب ويصلح الحريف بالخل [١١١].

ويذكر الوراق بابا خاصا لاصلاح الطبيخ اذا احترق سماه : ما يذهب بالاحتراق من القدور المطبوخات [١١٢]. يذكر فيه مثلا : اذا احترقت اللوبياية والعدسية فبخر تحتها بصوف يذهب برائحتها • واذا وجدت الزهومة في سائر القدور فالق فيها جوزة او جوزتين صحاحا واتركها ساعة فأنها تنشف الزهومة •

١٠- ان لايغطى الطعام بعد طبخه الا بما يخرج منه البخار مثل المنخل ويعلل ابن رزين ذلك بالقول بأن الابخرة اذا ترددت ولم تخرج احدثت

---

[١١٠] المصدر نفسه ص٧ .

[١١١] وصف الاطعمة المعتادة الورقة ٦ أ .

[١١٢] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٧أ .

في الاطعمة قوة سمية وخاصة السمك ٠ وكذلك يجب تغطية القدور وغيرها عند الطبخ فيها باغطية مثقوبة ثقبا ادق ما يمكن [١١٣] ٠ هذا وأمور أخرى كثيرة تدل على تطور فن الطبخ وتعدد ادابه ورسومه وقد برع في هذا الفن عدد امتهنوا الطبخ واخرين هواة وقد شارك عليه القوم في هذا المجال وتفننوا فيه مثل ابراهيم بن المهدي عم المأمون .

انواع الاطعمة : تعددت الاطعمة وتنوعت اصنافها ولكنها تتشابه في الكثير من موادها وطريقة صنعها في اقطار الدوله العربية الاسلامية الا في بعض الخصوصيات الاقليمية والتسميات وتعددت موادها ايضا وقد ذكرت كتب الطبيخ هذه الانواع واهتم اكثرها بذكر الاطعمة المصنوعة من اللحوم على اختلاف انواعها على اعتبار ان اللحم اقوى الاغذية واكثرها غذاءا وقوة للبدن[١١٤] ٠

اللحوم : اللحوم على انواع ولكل منها خواصه وفائدته للصحة وهناك مواصفات للجيد منها :

ان لحوم الحيوانات المسنة والهرمة رديئة لاخير في اكلها وكلما كان الحيوان اطرأ كان لحمه اجود ٠اللحم الاحمر اغذى من السمين والغليظ من اللحم يصلح لمن يكد ويتعب واللطيف بالضد ٠ وقد فصل الوراق في ذلك اكثر من بقية كتب الطبيخ فهو يعطي خاصية كل نوع من اللحم وفائدته للصحة مما يدل على ان النظرة للطعام ليس وسيله لسد الرمق فحسب بل

---

[١١٣] فضالة الخوان ص٣١ .

[١١٤] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢١ .

مسألة لها آدابها وقواعدها . اعطى الوراق خصائص لحم الماعز ولحم الجدي والجمل والبقر وما الى ذلك[115] كما عدد انواعا من اللحوم مثل لحوم الطير والدراج والقنابر والبط والقطا والفراخ وغيرها مع ذكر خصائص هذه الانواع وفوائدها للصحة . ولايكتفي بالوصف العام لكل هذه الانواع بل يعطي فائدتها حسب اعضائها مثل الرؤوس والدماغ والمخ والضرع والكبد والكلى والاكارع [116].

وهكذا ذكر ابن سيار الوراق (٣٩) اكله يدخل اللحم في صناعتها وبشكل خاص لحوم الضأن والجداء والبقر والدجاج والسمك كما ذكر طريقة صنعها ومقاديرها بدقة واوزان هذه المقادير ولعل الصعوبة في دراسة هذه الاطعمة ومجال الاستفادة منها لان التسميات غريبة على حاضرنا وكذا المقادير لانها وضعت في عصر له مسمياته وطبيعته ، الا ان اهمية ما ذكره الوراق تكمن في كونه كتب عن الفترة التي يدور حولها البحث (فترة الازدهار الحضاري) حيث ان اكثر وصفاته مأخوذة من مطابخ الخلفاء ومن نسخ خاصة بمطابخهم .

اما الاطعمة التي يدخل اللحم في صناعتها فهي كثيرة ذكرها الوراق باسهاب وعدد انواعا كثيرة منها وهي :

السكباجات والثرايد ، الحصرميات والبستانيات ، والكشكيات والموصليات والبابكيات ، والعدسيات الصفر والطفشيل من الحبوب والبقول

---

(115) المصدر نفسه ص٢١-٣٢

(116) المصدر نفسه ص٢٤ .

والنارنجيات الحلوات والحامضات ، والنرجسيات الصيفيات والشتويات ، والسماقيات والهارونيات والملهوجات من اللحوم والبصليات والهاشميات والمقلويات واللحوم المدقوقات والثرايد الشاميات والثرايد المليقات والقلايا باللحم والطباهجات الرطبات واليابسات والشوى في التنور وشي اللحم في القدور وشي الخراف المحشوة [117] .

ان أكثر الاطعمة التي ذكرها معروف في العراق في بغداد وسامراء وبالذات في مطابخ الخلفاء والامراء وسراة القوم .

اما ابن رزين التجيبي فيعدد مجموعة من الاطعمة التي تصنع من انواع اللحوم حيث خصص بابا لكل نوع وقد جعل القسم الثاني من كتابه في اصناف لحوم ذوات الاربع بدأ باللحوم البقرية وعدد (١٠) اكلات تتخذ من لحم البقر . وهي متشابهة في التسمية وطريقة الصنع مع الوراق والبغدادي .

اما لحوم الضأن وصف (٤٦) نوعا يعمل من لحم الضأن وهو يذكر في كلامه المطبخ المغربي وحين يذكر اكله شرقية يقول مثلا طباهجه مشرقي[118] .

كما يذكر الخرفان ويشير الى (١٦) اكله منها مشرقية مثل المضيرة اما لحوم الجدي فيذكر منه نوع واحد في حين يفضل اكل هذا اللون في

---

[117] المصدر نفسه الصفحات ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ وما بعدها .

[118] فضالة الخوان ص١١٩ .

المشرق[119] .حيث يكثر الوراق من ذكر انواع تتنسل من لحوم الجداء كما اشار الى لحوم الوحش وهي لحوم الابل ، وبقر الوحش والحمار والوعل والغزال ذكر (٧) اكلات .

كما ذكر اصناف لحوم الطير ، ومنها لحم الاوز ، لحوم الدجاج ذكر منها (٤٩) نوع وهي تشابه ما ذكره الوراق وابن العديم ومنها الزيرباجة والكافورية والابراهيمية . ثم يذكر لحم الحجل (٥) انواع ، ولحم فراخ الحمام (١٠) انواع ولحم اليمام (٨) انواع ثم لحم الزرازير والعصافير ويشير الى طبخ الكرش البسيطة والمحشوة . ومن السمك يذكر الحيتان ويتكلم عن (٣٠) نوع منه .

اما البغدادي فقد افتتح كلامه بالطعام المصنوع من اللحوم وذكر (٢٢) اكلة مصنوعة من اللحم ومنها السكباج والابراهيمية ، وطباهجة والحصرمية والزمانية وغيرها ذكرها في باب الحوامض ، لان هذه الاكلات تضاف اليها انواع الحوامض من خل ونارنج وليمون وانواع الابازير ايضا[120] .

ويشابه البغدادي في هذا صاحب كتاب الاطعمة المألوفة ولكنه يذكر (٣٨) اكلة يدخل اللحم في صناعتها ويضيف على البغدادي انواعا اخرى منها شيرازيه ، حصرمية كراثية ، مدققة مصرية وحلوية وتسمى فرحانه ، وخيطية وتسمى عرسية وصعيدية .يشير الى اكلات مصرية وذلك يعود الى

---

[119] المصدر نفسه ص١٣٤.

[120] كتاب الطبيخ ص١٣-٢٣ .

ان مؤلف الكتاب ربما يكون من مصر[١٢١]. اما ابن العديم فيفصل في موضوع اللحوم ولكنه يكثر من الكلام على لحم الدجاج ويذكر انواعا عديدة من الاطعمة التي تصنع منه اكثر من التي تصنع من اللحوم حيث ذكر (٤٤) نوع يصنع من لحم الدجاج ،ويكثر من الكلام على لحوم الدجاج المشوي ويشير الى انواع من الشوي فيذكر الدجاج المسمن ومنه (٥) أنواع ومثال ذلك :الدجاج المسمن : يجعل في سيخ ويحفر في حائط صورة طاقة ويجعل فيها نار فحم ويؤخذ لباب خبز منزل من غربال ويجعل في مقلى او طبق تحت الدجاجة من غير نار وتشوى على النار وهي في الطاقة فاذا استوى الدجاج يجعل في اللباب سكر وقلب فستق وماء ورد ويحشى فيه الدجاج ويدهن الدجاج عند الشي بماء ورد وشيرج مضروب والمقلى او الطبق فيه ملح وكل ساعة يطرى بريشة من ماء الورد والشيرج[١٢٢].

اما الدجاج المطيب فيذكر منه (٧) انواع منها : الدجاج المطيب وطريقة صنعه ان يؤخذ ماء ليمون يخرط فيه بقدونس ونعناع ويسر من سذاب بحيث يكون مانعا ويعمل فيه فلفل وكزبرة يابسة وكراويا واطراف طيب ودارصيني مدقوق ويطحن الدجاج ويجعل في الطيب سخنا في الزيدية وتقلب المرقة عليه يسيرة المقدار[١٢٣] ويذكر اطعمة اخرى تعمل من الدجاج وهي ان يؤخذ جلد الدجاج ويحشى ويصف طريقة العمل وانواع المواد التي تحشى

---

[١٢١] وصف الاطعمة المعتادة الورقات ٨ب – ٤٨ أ .

[١٢٢] الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، الجزء الثاني ص ٥١٩ .

[١٢٣] الجزء الثاني ص٥٢٢ .

بها الدجاجة[١٢٤] وهكذا يستمر في وصف الاطعمة المصنوعة من الدجاج ويذكر ما يضاف اليها من الرمان والسفرجل وماء الحصرم والفستق . ويشكل الفستق عنصرا مهما في هذه الاكلات وذلك لتوفره في بلاد الشام مع الاشارة الى ان المطبخ الشامي متأثر باعلادات البيزنطية .

كما يذكر ما يضاف الى الاطعمة من الابزار مثل الكزبرة والتمر هندي والسماق والبقدونس والنارنج ٠

ومن طريف الاطعمة التي تتخذ من الدجاج حلاوة الدجاج ، عدد ابن العديم انواعا منها يسميها فستقية بندقية لوزية خشخاشية لبابية مع طبيخ ورد المربى وخوخية وجرجانية ٠

قال في وصف الفستقية : يؤخذ قلب فستق يسمط وينشف في الهواء ويدق الى ان يلعب في دهنه ويؤخذ ملء زبدية جلاب* وقد عقد عقدا قويا يرمى فيه الفستق ويرفع على النار فاذا غلي يجعل فيه ٦ او ٧ دراهم عسل نحل ووزن ٥ دراهم نشا مدقوق منخول ويطبخ الى ان يستوي قوامه وينزل فيه الدجاجة ويعمل فيه سلق مقطوع [١٢٥].

اما اللحوم الاخرى فهو يذكرها بايجاز ويشير الى عمل الاطعمة المنشفات ومنها السنبوسك ويصف طريقة عملها وهي لاتختلف عما نصنعه اليوم ويذكر منها انواعا عديدة منها تتشابه في طريقة صنعها وتختلف بمواد حشوها [١٢٦].

---

[١٢٤] المصدر نفسه ، الجزء الثاني ص٥٢٥ .

[١٢٥] المصدر نفسه ، الجزء الثاني ص٥٤٢ .

[١٢٦] المصدر نفسه ، الجزء الثاني ص٥٥٥ .

ثم يذكر الشواء وانواعا منه مثل الشواء الافرنجي وشواء الراهب والشرائح المصرية والشواء المطيب • ثم يذكر انواعا من الاطعمة تطبخ باللحم منها الملوخية والباذنجان المحشي • كما يشير الى قلي اللحوم وطريقتها وما يضاف اليها من توابل وابزار ويتحدث عن سلق اللحم وانواع الاطعمة التي تصنع من اللحم المسلوق وهو لايكتفي بوصف اطعمة بلاد الشام بل يذكر اطعمة خاصة بالمغاربة مثل البديعية ويقول هو من اطعمة المغاربة ويعمل من اللحم مع اضافة مواد منها الافاوية والابزار كما يذكر الكسكسو المغربي[١٢٧] ومن الاطعمة المعروفة آنذاك الطعام البارد المتخذ من اللحوم الذي يقدم قبل الطعام الحار • وقد خصص الوراق بابا لذلك سماه عمل البوارد من الاطيار قبل الطعام الحار •[١٢٨] ويذكر صفة باردة من نسخة للمأمون حيث كان للخلفاء العباسيون ولع بالطعام وتعدد انواعه وقد تأثر مطبخهم بالمطبخ الفارسي بحكم دخول عناصر فارسية في البلاط العباسي • وصف ابن سيار هذه الاكله كالاتي : يؤخذ خل ومري وتصير فيهما كزبرة يابسة ودارصيني وفلفل وصعتر يابس ورطب وكمون وكرويا وكزبرة رطبة ونعناع وسذاب وكرفس ولب الخيار مع راسن فاسحقه واخلطه وصبه على الفراريج المشوية او الفراخ • ويذكر انواعا اخرى من هذا الطعام البارد الذي يقدم قبل الاكل وهي عادة متبعة في المطاعم الغربية الان •

واحيانا يذكر الوصفات على شكل مقطوعات شعرية منها لابي اسحاق الصابي (ت٤٤٨هـ/ م) في باردة :

---

[١٢٧] المصدر نفسه ، الجزء الثاني ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

[١٢٨] الطبيخ واصلاح الاغذية ص٦٩ .

ما في الطعام البارد المعد	اطيب من لحم الدجاج عندي
يؤكل مشويا بماء الحصرم	الذ ما تأكله من مطعم
فاعمل بعد صباغا عجبا	تأكله يا صاح اكلا طيبا
اعمد الى عصارة الرمان	وسكر عذب وزعفران
وخردل بسكر وجوز	وخل خمر حاذق ولوز
والق فيه صعترا وفلفلا	وانجذانا ابيضا وسنبلا
ودارصينيا وافرا ونعنعا	واجعله بالزيت النقي مشبعا
واقطع سذابا اوافرا	واجعله بالزيت النقي مشبعا
ويعد هذا كراويا وراسنا	يجيىء كالوشي اذا ما زينا
وباذروجا وكرفسا ناعما	تلقى صلاحا وطعاما سالما [١٢٩]

ولا تصنع البوارد من لحوم الدجاج والطيور بل من لحوم الضأن والجداء والخراف ومن السمك ايضا ٠ومن ذلك باردة من السمك لابراهيم ابن المهدي :

تؤخذ سمكة كبيرة فتلقى في عصير العنب الاحمر في اناء واسع تغوص فيه وتضطرب وتشرب منه ويتداخله جسمها حتى يبين نقصان العصير وحصوله في جوفها ٠ ثم تخرج وتنظف وتشوى وتقدم وتؤكل بصياغ فيه انجذان وخل خمر وماء الكرفس وماء النعناع والكرويا ولا معنى لها ولا لسائر السمك الا بالصباغ فأنما يستطاب اكل السمك فيه ٠وقد ذكر بعض الشعراء رجل يكذب فشبهه بالسمك بلا صباغ وقال :

---

[١٢٩] المصدر نفسه ص٧٣ .

ابو اسحاق ليس له دماغ   وليس لماء جلدته دباغ
كأن كلامه سمك طري   تقدمه وليس له صباغ

كان ابراهيم بن المهدي لا يأكل من السمك الا اللسان فقط ويأكل باقي السمك من حضر [١٣٠] والاطعمة التي يدخل اللحم في صناعتها كثيرة جدا ولها تسميات عديدة بعضها عربي والاخر غير عربي وقد وصفت هذه الاطعمة مع مقاديرها وصفا دقيقا ومن هذه الاطعمة السكباجات والثرايد وتتخذ من لحم الضأن او البقر او الطيور وقد فصل الوراق في وصف هذه الاكلة وبعضها خاص للخلفاء مثل المأمون والواثق والمعتمد [١٣١] اما الهرايس فتعمل من الرز والحنطة مع اللحم ولاتختلف طريقة صنعها عن اليوم الا قليلا ٠

وقد يطبخ اللحم مع الارز ويضاف اليه اللبن والزيت والاباريز وتسمى هذه الانواع الارزيات الملبنات ٠ ويطبخ اللحم ايضا مع السبانخ والكرنب وكذا مع الفجل والشلجم ٠ اما الزيرباجات فهي طعام يتخذ من لحم الفروج مع الزيت والحمص المرضوض ويضاف اليه الزعفران [١٣٢] ومن الاكلات المشهورة الحماضيات والرمانيات ويدخل اللحم في صناعتها ويضاف اليه البصل والكزبرة الرطبة والحمص المسحوق وبعد نضوج اللحم يضاف اليه حامض الاترج او الرمان الحامض ٠ ومن الاكلات المشهورة التي لازالت حتى ايامنا هذه ثريد الباقلاء والحمص ولكن سابقا كان يضاف الى الباقلاء

---

[١٣٠] المصدر نفسه ص٨٠-٨١ .

[١٣١] المصدر نفسه ص١٣٢ وصفحات اخرى بعدها .

[١٣٢] المصدر نفسه ص١٥٢ .

الفروج السمين ويطيب بالابزار ويسمى الثريد المفتوت بماء الحمص والباقلاء [133] .

وهكذا وصفت كتب الطبيخ أنواعاً كثيرة من الاطعمة التي يعتبر اللحم عنصرا اساسيا فيها ولامجال لذكرها جميعا ٠ وهي تتشابه في موادها الاساسية اي اللحم وتختلف في طريقة الصنع واضافة المطيبات ٠ ويبدو مما تذكره كتب الطبيخ في وصفات الطعام ان الشواء هو الاكثر شيوعا ثم القلي والشوي في التنور مشهور وخاصة شوي الخراف والجداء [134] .

البيض : اشارت كتب الطبيخ الى اهمية البيض كغذاء وذكرت ان اصلح البيض للناس بيض الدجاج ثم البط والدراج ولكن بيض البط ردىء وبقية الانواع من البيض تصلح للدواء وليس للغذاء [135] .

اما الاغذية التي يدخل البيض ي صناعتها فهي العجج وهي على انواع منها مايعمل باللحم او بلا لحم وقد تعمل بالباقلاء او الحمص الاخضر [136] .

وطريقة عمل العجج لايختلف عن طريقة صنعها اليوم ٠ وهناك انواع منها يضاف اليها الحليب والفستق واللوز واللبن وقد يضاف اليها العسل

---

(133) المصدر نفسه ص١٦٢.

(134) للاستزاده ينظر كتب الطبيخ المارة الذكر حيث فصلت واسهبت في وصف هذه الاطعمة .

(135) كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٣١ ، فضالة الخوان ص٢١٠ .

(136) الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٧١٥ .

والكزبرة والكراث • وقد وصفت كتب الطبيخ هذه العجج ومقاديرها وطريقة صنعها •

البقـول :

"البقل حلية الموائد" (١٣٧) والبقول على انواع قد تصنع منها اكلات بمفردها وقد تضاف الى بقية الاطعمة المصنوعة من اللحوم او الدجاج او السمك •

واهم البقول هي : الخس ، والجرجير والكرفس والنعناع والفجل والقثاء والسبانخ والكراث والقرع والباذنجان واللوبياء والحمص والسلق والجزر وغيرها (١٣٨)

واهتم ابن رزين التجيبي بالبقول حيث خصص القسم السابع من كتابه للبقول وجعله في (١٠) فصول بدأها بالقرع وذكر (١١) اكله تصنع من القرع ومنها فالوذج من القرع ويسميه الطلبية (١٣٩)• ويبدو ان اكثر البقول شهرة هو الباذنجان فقد ذكر (٢٢) اكله يدخل في صناعتها(١٤٠)

وهذه الاطعمة تصنع من انواع البقول دون ان يضاف اليها اللحم ويضاف اليها الابازير والبيض والثوم والجبن والخل •

---

(١٣٧) التلمساني : سلوك السنن الى وصف السكن الورقة ٤٨أ .

(١٣٨) كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص١٤ ، ٣٩أ .

(١٣٩) فضالة الخوان ص٢٢٦ .

(١٤٠) المصدر نفسه ص٢٢٧ – ٢٣٦ .

وتصنع الاطعمة من البقول اما الخضراء او اليابسة كما في الحمص واللوبياء والعدس • وقد يصنع من البقول البوارد وقد اشار الوراق الى باردة معمولة من الباذنجان المحشي ، ومن الباقلاء الخضراء والقرع ، وقد تعمل من اصول السلق وهي ان تسلق البقول وتدق ويضاف اليها فستق مقشر ولوز وزيت وبصل وفلفل وقرنفل[١٤١]•

الاجبان والالبان :

الاجبان من الاغذية المفيدة لصحة الانسان ووصفت كتب الطبيخ طريقة عملها وصناعتها وهي لاتختلف الا قليلا عن ايامنا هذه والجبن مفيد لهضم الطعام لذلك نصحت الكتب الطبية وكتب الطبيخ تناوله بعد الطعام •

وهناك انواع من الجبن منها القريشة والجاجق وهو من الحليب ويضاف اليه الملح ويوضع في الانفحة الى ان يجمد ويطيب بالكزبرة والثوم والنعناع [١٤٢].

ويذكر ابن رزين التجيبي طرق لاصلاح الجبن والزبد اذا فسد مثلا يقول ما يمسك اللبن الحليب الا يحمض سريعا : تأخذ من الجبن الطري وتلقيه في اناء الحليب فأنه يمنعه من الحموضة [١٤٣].

اما الجبن اذا فسد فيقول : يقشر الجبن ويقطع الى قطع صغار ويوضع في قضيب رقيق من عود ويشوى بالنار حتى يحمر من كل جانب فيذهب فساده •

---

[١٤١] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص١١٥ .

[١٤٢] فضالة الخوان ص٩٥ .

[١٤٣] المصدر نفسه ص٢٢١ .

اما الزبد اذا فسد ، يؤخذ صفو ماء طبيخ شجر الاسيت ويطبخ به فأنه يصبح طيبا رطبا [١٤٤] .

وقد فصل في وصف طريقة عمل اللبن والجبن ولامجال لذكرها هنا ،

الصلص :

وهي نوع من المقبلات وهي على اصناف عديدة تدخل الخضر في صناعتها منها مثلا صلص اخضر ويعمل من ورق البقدونس ينقى من عيدانه ويجعل في جرن ويدق حتى يبقى مثل المرهم ويجعل عليه ثوم وفلفل ويسقى بخل ويدق قليلا حتى يأخذ قوام الصلص ويؤكل [١٤٥] وقد يعمل الصلص بماء الحصرم وهو ان يأخذ ماء الحصرم ويدق قلب جوز او قلب بندق محمص مقشور دقا ناعما وثوم وكزبرة يابسة وفلفل وقليل من صعتر وسذاب(*) ويسقى من ماء الحصرم قليلا ويدق حتى يأخذ قوام الصلص [١٤٦] .

الكوامخ(**) والمخللات :

ومما يدخل في باب المقبلات والمشهيات الكوامخ والمخللات وهي انواع كثيرة تتخذ من البقول كاللفت ويسمى عمدة المخلل ،

---

(١٤٤) المصدر نفسه ص٢٢١

(١٤٥) ابن العديم : الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٦٩٩

(*) نبات عشبي بري ومنه انواع عديدة منه مر الطعم حاد ومنه عطري.

(١٤٦) ابن العديم : الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٧٠٠

(**) الكامخ معرب كامة وهو ادام خاص بالمخلات والمشهيات . محمد رضا : معجم متن اللغة بيروت الجزء الثاني ص١٠١.

وهناك انواع عديدة منه منها ما يعمل لمدة سنة او دون السنة ومنها ما يؤكل في يومه ولكل منه طريقة خاصة .[١٤٧]

اما طريقة عمل المخلل من اللفت فهو لايختلف عن طريقة صنعه في ايامنا كما يعمل المخلل من الباذنجان والليمون المالح والسفرجل والزبيب والخيار والعنب والبصل والورد . ويذكر الوراق انواعا من الكامخ تعمل من القرنفل والكرزيا وكامخ الورد وكامخ الصعتر وكامخ الريحان .[١٤٨]

وهناك انواعا بسيطة من الكامخ وانواعا اخرى محشية فمن ذلك ما ذكره عن اللفت المحشي وقد وصف طريقة صنعه كالاتي :

لفت يذبل بملح وماء ثم يغسل ويذر عليه خردل ، ثم يؤخذ زبيب اسود يدق ناعما ويصفى بخل خمر دفعات حتى لايبقى من الزبيب شيء بحيث يكون خاثرا . وان كان حامضا يحلى بقليل من دبس او عسل ويجعل فيه نعناع وسذاب وطيب وسمسم مقشور وشهدانق ** محمص ويجعل في اناء على اللفت على غمرة .[١٤٩]

وتصف كتب الطبيخ ضمن الكوامخ عمل الزيتون وتذكر انواعا كثيرة منه . وقد فصل كل من ابن العديم وابن رزين التجيبي عن عمل الزيتون وذكر انواعا منه منها المكلس والاخضر المرصوص . وهذا شيء يعود الى كثرة وجود الزيتون في بلاد الشام واختصاصها بزراعته ، كما يعود ايضا لكثرته في المغرب والاندلس .

---

[١٤٧] المصدر نفسه الجزء الثاني ص٦٦٥ .

[١٤٨] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٩٧ .

[١٤٩] ابن العديم : الوصلة الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٦٦٨ .

الحلويـــات : تعددت وتنوعت الحلويات والمواد التي تصنع منها وهذا التعدد يدل على انها وليدة فترة الترف والحضارة فهي صورة حضارية تدل على تفنن في وسائل العيش • العرب تقول " ان كل طعام ليس فيه حلوى فهو خداج اي ناقص غير تام "[١٥٠]

الجواذيب : [*]

وهي نوع من الاطعمة تتخذ من الارز ومن رقاق الخبز وشبهها ويدخل في صناعتها الدجاج أو البط وقد جعلها الوراق في كتابه مع الحلوى لدخول السكر والعسل في صناعتها [١٥١] .

وقد وصفت انواع الجواذيب التي كان يتخذها الخلفاء وقد تعمل هذه الجواذيب باضافة المشمش او الموز او البطيخ والزبيب او الكمأ •

ومن الجواذيب التي صنعت للخليفة المعتمد بالله العباسي جوذابه تتكون من رغيف سميذ تقطع لقما ويصب فيها نصف رطل عسل ورطلين سكر طبرزد ويصب عليه الماء وتعلق عليه دجاجة •

وقد يضاف الى الجوذابة القطايف ويضاف اليها لبن حليب حتى يغمرها ثم توضع في التنور وتجعل عليها دجاجة سمينة او افراخ [١٥٢].

---

[١٥٠] التلمساني : سلوك السنن الى وصف السكن الورقة ٥١أ .

[*] الجواذيب طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر او ما يعمل مائعا في الحواء بالسمن والسكر والجوز واللوز الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص ٧٩٦.

[١٥١] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢٣٦ .

[١٥٢] المصدر نفسه ص٢٣٩ .

ويعدد الوراق انواعا من الجواذيب تتفق في طريقة الصنع وتختلف في المواد .

الخبيص [**]

نوع من الحلويات يصنع من السكر والشيرج ويضاف اليه العسل وماء الورد ويوضع على نار هادئة ويضاف اليه الزعفران حتى يحمر الدهن ثم ينشر عليه كفين من دقيق سميذ ويحرك فاذا نضج وارخى دهنه انزل وجعل في جام وقدم للاكل[153] . ويبدو ان الخليفة المأمون العباسي كان مولعا بأكل الخبيص حيث ذكر الوراق عدد من الاخبصة عملت للمأمون[154].

وقد يعمل الخبيص من التمر والتفاح والجزر والخشخاش .[155] وهناك انواع من الخبيص تعمل بالجوز والسكر واللوز المقشر وهناك ايضا اخبصة تعمل بغير نار وتسمى بالخبيص اليابس المفتوت [156].

الشحميات والمهلبيات :

الشحميات : نوع من الحلوى يعمل من دقيق السميذ مثل عجين الزلابية ثم يلطخ بالبيض ويقلى في التنور حتى يحمر ثم يخرج من المقلى

(**) الخبيص العصيد في الحلواء التي تعمل بالسمن والسكر والدقيق او النشا.

(153) المصدر نفسه ص٢٤٩ .

(154) المصدر نفسه ص ٢٤٩ .

(155) المصدر نفسه ص٢٥٢ .

(156) المصدر نفسه ٢٥٧ .

على شكل قرص ويوضع في اناء ويصب عليه العسل ثم يذر عليه سكر ناعم وقد ينثر عليه الفلفل احيانا [١٥٧] .

اما المهلبية : فهي حلوى تصنع من الحليب مع السكر وقد يضاف اليها النشا وبعد أن تعقد يضاف اليها الجوز او اللوز وطريقتها لاتختلف عما نعمله اليوم ،

اللوزينق :[*]

حلوى تتخذ من خبز اللوزينج وتصب على الطابق صبا وبعد ان تبرد يؤخذ سكر الطبرزد المدقوق والفستق واللوز المقشور ويخلط الجميع ويرش عليه ماء ورد نقع من الليل وحبات قرنفل مع السكر ويخلط جيدا ثم يحشى به خبز الوزينج ويقطع ثم ينضد في جام ويروى دهن اللوز وينشر عليه سكر طبرزد مدقوق [١٥٨].

وهناك نوع من اللوزينج يسمى المغرق وهو نفس النوع المذكور الا انه يضاف اليه العنبر والمصطكي وهو خاص للملوك في الحضر والسفر .

---

[١٥٧] المصدر نفسه ص٢٦١

[*] اللوزينق ويسمى اللوز ينج ايضا ويسميه ابن رزين النجيبي الجوزينق. فضالة الخوان ص٢٥٢.

[١٥٨] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢٥٦ ، ابن العديم : الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص ٦٣٧ ، ابن رزين التجيبي : فضالة الخوان ص٢٤٩

واللوزينج حلوى مشهورة ومعروفة ويضرب المثل بها حتى قيل ان اللوزينج قاضي قضاة الحلوى والخبيص بالسكر خاتمة الخير .[١٥٩]

الزلابيـــة:

وهي حلوى معروفة حتى ايامنا هذه كما ان طريقة صنعها نفسها اليوم . اما موادها فهي الدقيق والدهن والسكر ويقلى العجين ثم يلقى في العسل المذاب وينشر فوقه السكر المدقوق وهنالك عدة انواع منها ساذجة اي بسيطة ومحشوة [١٦٠].

وقد اجاد بعض الشعراء في وصفها فقال :

عندي من الحلـواء زلابيـــات ... مـــــتدورات ومشبكــــات

صفـــر وبيض وملونـــــات ... بالشيرج المقشـــور مقلوات

لينـة في اللمـــس ناعمــــات ... في العسل الماذي مغموسات

كقطع العقيـــان مصفوفـــات ... وقصب الابريـــز منسوجات

والبعض في البعض مداخلات ... كالوشي او كالخبز معمولات

في السكر الابيض مدفونـات ... عن ناظر العيون محجوبات

.... نواعــــــم اذا ... عضضت لينـــات [١٦١]

---

[١٥٩] سلوك السنن الى وصف السكن الورقة ٥١أ .

[١٦٠] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢٦٧ ، ابن العديم : الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٦٤٥ .

[١٦١] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢٧٠.

القطائـــــف :

نوع من الحلوى شبهت تجمل القطائف التي تفترش • وهي حلوى تعمل من الجوز والسكر الطبرزد ويلت العجين بماء الورد والدهن واللوزويجعل في قطايف تكون الواحدة مع حشوها قدر لقمة ثم ينضد في جام ويروى بدهن لوز حديث وينشر في تضاعيفه وفوقه سكر ابيض مدقوق[١٦٢] • ويهتم ابن العديم اكثر من الوراق بالحلويات فيعدد انواعا منها ويذكر ذلك في باب الحلاوات والمخبوزات على حد تعبيره [١٦٣] فيذكر انواعا خاصة ببلاد الشام ومنها الخاتونية وطراطير التركمان وهي ان يؤخذ الدقيق والعجين بماء بلا ملح ويبسط بالشوبك ويقطع بقدح زجاج ويجمع طرفاه ويظفر ويغلى بالشيرج ويجعل اطرافه فيه حتى يقوى ثم يغلى حتى يحمر ويحشى فستقا وسكرا ومسكا وماء ورد ويذر عليه السكر • ويذكر انواعا منها المكشوفة والمأمونية وغيرها • ومن الحلويات الشامية المشهورة هريسة الفستق وهي انواع وطريقة صنعها ان يسمط الفستق من قشره الاول وينشف من البلل ويحمص على نار هادئة ويدق ناعما بحيث يلعب في دهنه ثم يضاف اليه صدر دجاجتين ويصلق الدجاج بلا ملح ويعجن بزيت طيب ويبرد وتنزع منه العظام ثم يعقد السكر نصف انعقادة ويرمى فيه صدور الدجاج ويحرك بنشابة فاذا احمرت الصدور يرمى فيه الفستق ويضرب بالمغرفة مثل الهريسة حتى ينعقد ويجعل فيه نشا مكسورا بماء ورد ويجعل

---

[١٦٢] المصدر نفسه ص٢٧٤ ، : ابن العديم : الوصلة الى الحبيب . الجزء الثاني ص٦٣٧ ، وصف الاطعمة المعتادة الورقة ٢٥٨ ب

[١٦٣] الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٦١٩

في كل رطل فستق اوقية ونصف عسل ثم يجعل فيه السلق المقطوع ويصبغ لونه حسب الطلب ويطيب بمسك وماء ورد ويزين باقراص ليمون وسكر[164] وقد تصنع الهريسة بلا دجاج وتسمى فستقية ولا زالت هذه الحلوى معروفة حتى اليوم •

وهناك انواع من الحلوى تصنع من التمر منها معمول من التمر والمريس والكنافة وهي ٥ أصناف ، وكل واشكر والبسيسة البصراوية ويدخل الدجاج في صناعة هذه الحلوى •

وهذه الحلوى على انواع منها لعامة الناس واخرى خاصة تصنع للملوك والولاة• ويسمى ابن العديم باسماء المناطق التي تعمل بها مثل : حلوى شيزرية وقاهرية وكبا موصلي وهي ليست الكبة المعروفة اليوم لان طريقة عملها هي ان يحمص الدقيق بمفرده ويبس بدهن آلية حتى يصير كالفلفل ثم يحشى به دقيق اخر معجون بلا خمير ويترك بلا غطاء ويخبز في التنور او في طابونة [*] ويخرج حارا ويعمل فيه عسل نحل.

ويذكر ابن العديم نوعا من الحلاوة ويدخل السمك في صناعتها[165]

الناطـــــف :

حلوى تتكون من السكر الابيض المدقوق ناعما ويجعل في قدر ويصب عليه رطل ماء ويغلى وتخرج رغوته ويوقد تحته نار لينة حتى ينعقد

---

[164] الوصلة الى الحبيب ، الجزء الثاني ص٦٢١-٦٢٢ .

[*] الطابونة على شكل جرة مقلوبة فتحتها الى الاعلى يوضع فيها الخبز على اطراف الفرن . الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٦٥٠.

[165] الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ٦٤٥ .

ويلقى عليه من الدقيق ثلث رطل فاذا انعقد جعل على خوان مطلي بدهن لوز او جوز او سمن ويقطع بسكين مربعا او مثلثا وقد يضاف اليه الزعفران ليجعله اصفرا .[١٦٦]

ومن الحلويات العصائد ويخصص لها ابن العديم بابا خاصا [١٦٧]. والعصائد على انواع منها ما تعمل من الارز باللبن والحليب . وهناك عصيدة تسمى عصيدة الخلفاء وهي قطائف تبل بماء الورد وتنزل من غربال وتعقد بعسل نحل وجلاب[**] وزعفران وفستق ومسك وماء ورد [١٦٨]. ومن الابواب الطريفة التي ذكرها الوراق باب التزايين على الحلواء [١٦٩] حيث ابتدعوا طريقة لتزيين الحلوى قبل تقديمها . وهي ان يؤخذ من العجين السميذ ويعرك بالزيت ويرتب على شكل اقراص او اشكال مختلفة حسب الطلب وتلون بالحمرة والصفرة والخضرة والزرقة ثم تشوى في التنور وينثر عليها السكر الناعم المصبوغ وتزين بها الحلوى . وقد تقلى هذه الاقراص بالشيرج ثم تعزل ويذاب العسل ويلقى فيه الزعفران حتى يحمر ثم تطلى به الاقراص ثم يذر عليه السكر المكسر وتزين به الحلوى . ومما يلحق بباب الحلوى المربيات وهي حلوى تتخذ من الفواكه مثل التفاح

---

[١٦٦] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢٧٨ .

[١٦٧] الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٦٦٢ .

[**] مزيج محلى او شراب يصنع منه مستحضرات مختلفة يحتفظ بها على هيئة عجائن . الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٧٩٦.

[١٦٨] المصدر نفسه الجزء الثاني ص٦٦٣ .

[١٦٩] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ث٢٧٦ .

والسفرجل والاترج والبسر وقد تعمل من الجزر والفجل وطريقة صنعها لاتختلف عن اليوم سوى ما يضاف اليها من المطيبات مثل الزعفران والجوزبوا والقرنفل والدارصيني[١٧٠] .

الخبـــز :

هناك انواع من الخبز منه الساذج البسيط ويسميه ابن العديم الكعك ، ونوع اخر منه يسميه مفخرا[١٧١] . وقد جعل ابن العديم مع الخبز الخشكنانج في حين جعله الوراق ضمن الحلويات . والخشكنانج خبزا يصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز والفستق . واذا عجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر او اللوز والفستق وماء الورد وجمع وخبز تسميه اهل الشام المكفن[١٧٢] . والخشكنانج : معروف تكلمت به العرب قال الشاعر :

يا حبذا الكعك بلحم مثــرود وخشكنان وسويق مقنــود

ويذكر ابن العديم الكعك والخشكنانج ولايصف طريقة صنعهما لانها معروفين وشهرتهما تغني عن ذكرهما على حد تعبيره . وهناك الخبز التنوري وهو ثلاثة انواع نوع ساذج يخبز في التنور واخر في التنور ولكن يضاف اليه الجبن وثالث خبز فرني مرقد . وهناك نوع من الخبز يعمل بالبيض وهو

---

(١٧٠) المصدر نفسه ص٣١٩-٣٢٠ .

(١٧١) الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٦٥٧ .

(١٧٢) المصدر نفسه ، وانظر : البغدادي : الطبيخ ص٧٩ ، وصف الاطعمة المعتادة الورقة ٢٤٢ ب .

خاص بالافرنج والارمن ويسمى اقلاعون .[173] وهناك نوع يسمى البقسماط ويتكون من دقيق وسكر يلت ويعجن به فأن كانت حلاوته قليلة يزداد سكرا مدقوقا ناعما ويمرق له خميرة بماء يسير ويعمل بقسماطا حسب الطلب ويخبز في طبق الفرن مرة ثانية بعد ان يخبز اول مرة وهناك نوع من الخبز يستعمله اهل الاندلس بكثرة وهو خبز الينيج يعجن ويقرص ويوضع على وجهه سمسم وانيسون ويعجن طبخه لئلا يفسد .

الاشربة :[*]

" الحاجة الى الشراب تقترن بالحاجة الى الطعام ولايقوم احدهما ولايكمل فعله الا بالاخر " وقد اشارت بعض كتب الطبيخ الى الاشربة وانواعها المسكرة وغير المسكرة والمواد المصنوعة منها وعلاقتها بصحة الانسان لان منها ما يدخل في باب الدواء واخر في باب الغذاء . كما اشارت الى طريقة صنعها .

ولعل الوراق اكثرهم ذكرا للاشربة حيث ابتدأ بالماء بالثلج واعطى مواصفات لشربه ولعلاقة ذلك بالصحة . كما تكلم عن خاصية الماء المبرد في الهواء وذكر انواع الماء العذب والكدر والمالح والشديد البرودة والحار [174] .

---

[173] الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٦٦٠ .

[*] سيكون الكلام عن الاشربة غير المسكرة .

[174] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٢٩٤ .

ومن الاشربة التي ذكرها :

شراب الفقاع[**] : وهو شراب يتخذ من دقيق الشعير ويذكر فائدته للصحة. وهناك نوع من الفقاع يتخذ من دقيق الحنطة الابيض ويضاف اليه النعناع والكرفس والطرخون والسذاب وهو احسن من فقاع الشعير . وهناك انواع اخرى من الفقاع الساذج وبالابزار ، وقد يعمل الفقاع من الخبز السميذ او من الارز او من اللوز[١٧٥]

ومن الفقاع نوع يسمى القرشي يعمل من الدقيق والشعير ويضاف اليه الابزار . كما ان هناك نوعا اخر يعمل من العسل . ويصف الوراق عدة اشربة تتخذ من السكر وهي غير مسكرة ومنها شرابا خاصا للشتاء يعمل من العسل وعصير العنب الابيض فيغلى ويجعل فيه سنبل وقرنفل .

ومن الاشربة ما يعمل من البان الابل والبقر والضأن ويضاف اليها السكر وماء الورد والمصطكي والزعفران ويغلى غليه خفيفة ويبرد [١٧٦] وهناك اشربة مطفية للحرارة تعمل من الفواكه ذكرها مع طريقة صنعها . وقد تعمل الاشربة من القرع والجزر والراسن والكبر ، او من شراب الحمص والخشخاش والسلق .

ويعطي الوراق فائدة الاشربة التي تعمل من الفواكه الرطبة [١٧٧] ومن ذلك شراب التفاح وشراب السفرجل وشراب الرمان والاجاص بالعسل وشراب

[**] شراب غير مسكر ويسمى فقاعا لانه يخمر حتى تعلوه فقاعاته.

[١٧٥] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص ٢٩٨-٢٩٩ .

[١٧٦] المصدر نفسه ص٣٠٦ .

[١٧٧] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٣١٤

الخوخ وشراب الحصرم . ويلاحظ ان هذه الاشربة لاتعمل بسيطة بل يضاف اليها العسل وانواع من الاباريز ومن ذلك شراب الرمان حيث يعصر ويغلى ويضاف اليه الافاويه ٠

اما شراب الحصرم ومنه شراب الحصرم الشمسي وماء الليمون وماء النارنج ويصف ابن العديم طريقة صنعه وهي ان يجعل في اناء زجاج قليل من الملح ويؤخذ النارنج يقشره انسان ويعصره اخر والذي يقشره لايغسله فأنه يجيء مرا فاذا عصر يترك حتى يرسب ويؤخذ رائقة ويجعل فيه عروق من سذاب ويرفع في الشمس(١٧٨).

اما ماء السماق فهو ان يؤخذ السماق يدق وتؤخذ زهرته تنقع في ماء يسير ثم تستحلب من خرقة وتصفى ويستعمل الماء(١٧٩) ٠هذه الاشربة التي اشارت اليها كتب الطبيخ وهي المعنية بالطعام والشراب ٠

ان هذه الاشربة كانت تعمل للخاصة والطبقة الموسرة وبعض وصفاتها اخذت من قصور الخلفاء ومطابخهم ٠

وهناك امور اخرى اهتمت بها كتب الطبيخ تتعلق بالصحة وعملية هضم الطعام فوصفت مجموعة من الوصفات التي تعد من مواد مختلفة من اوراق الورد والقرفة والسنبل والكمون والزنجبيل وتخلط هذه المواد بنسب

---

(١٧٨) الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٥١٤ .

(١٧٩) المصدر نفسه الجزء الثاني ص٥١٥ .

مختلفة وقد يضاف اليها العسل وتجفف ثم تستخدم كمواد هاضمة وتسمى الجوارشنات (*) وقد وصف الوراق مجموعة منها .(١٨٠)

كما خصص صاحب وصف الاطعمة المعتادة الباب الثاني عشر من كتابه للجوارشنات وسماه في الهاضمات اشار الى مجموعة منها مع طريقة صنعها (١٨١) ومن الامور الحضارية التي تدل على الترف وسعة العيش الابواب التي خصصتها كتب الطبيخ باب في تصعيد المياه وتطييب رائحة الفم حيث خصص ابن العديم بابا (١٨٢) مستقلا لذلك وصف فيه عدة مواد منها : الحتت وهي مادة تصنع من الورد الاحمر الطري ويضاف اليه المسك والكافور والقرنفل وماء الورد ثم يستقطر ويحفظ وهناك انواعا من تصعيد ماء الورد الرطب والورد الازرق والاحمر والاصفر والورد اليابس . كما يصعد ماء الكافور والزعفران والسنبل وماء النمام والقرنفل واللفّاح وغيرها ويشير الى ان هذه الانواع مذكورة جميعها في كتاب العطر المؤلف للمعتصم .(١٨٣) اما ما يطيب النكهة فيذكر ابن العديم مادة تصنع لذلك تتكون من عود قرنفل ومسك وزعفران وماء ورد وتعجن وتجعل على شكل حبوب كالحمص وتجفف

(*) اصلها جوارش وهو اسم اعجمي معناه الهاضم وعربت فاصبحت جوارشن وهي خليط مركب من مجموعة مفردات دوائية تكون على هيئة شراب مكثف او بشكل معجون او اقراص مجففة ، المنصوري في الطب ص٥٤٧ .

(١٨٠) كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص ٣١٨-٣٢٠ .

(١٨١) وصف الاطعمة المعتادة الورقة٢٢٦أ.

(١٨٢) الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٧٢٧ .

(١٨٣) الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٧٣٠-٧٣٩ .

في الظل وتستخدم [١٨٤]، واشار الوراق الى مسألة حضارية هي ما تغسل به اليد [١٨٥] وذكر من المواد التي تستعمل في غسل اليد السعد والاذخر المكي والاشنان [*] الغليظ الشامي وهو اضافة الى كونه مادة منظفة له فوائد طبية ، كما ذكر الخلال من الصفصاف وذكر انواعا منها الخلال المأموني واكد على اهميته لتنظيف الاسنان حتى يقول اخذ الخلال من المروءة ، واشار الى طريقة عمل الاشنان والمحلب وذكر وصفات متعددة منه ما يضاف اليه القرنفل والمصطكي والاذخر ومواد اخرى ، وهذا كان يعمل للرشيد العباسي ، وهناك اشنان للخاصة واخرى للعامة ،

وذكر ابن العديم (٧) انواع من الاشنان المطيب وذكر ما كان يعمل منه للخليفة المأمون العباسي واشار الى وصفات متعددة مع طريقة الصنع اقتبسها من كتاب فردوس الحكمة لابن رين الطبري ،

اما الصابون فقد ذكر طريقة صنعه واشار الى نوع منه سماه الصابون الاصفر [١٨٦] .

وخصص ابن رزين التجيبي في كتابه [١٨٧] بابا سماه "في الغاسولات" ذكر فيه عدة انواع من الاشنان لتطييب اليد واذهاب الرائحة وخاصة

---

(١٨٤) المصدر نفسه الجزء الثاني ص٧٣٩-٧٤١ .

(١٨٥) كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٣٢٤ .

(*) الاشنان : نباتات عشبية برية يستخرج منها ملح القلي ويستعمل هو ورماده للغسل كالصابون والاصغر منه يسمي الغسول . الوصلة الى الحبيب الجزء الثاني ص٧٧٣ .

(١٨٦) المصدر نفسه الجزء الثاني ص٧٢ .

(١٨٧) فضالة الخوان ص٢٧

الاطعمة الدسمة، ويذكر ابن العديم في باب الطيب انواعا متخذة تصلح لولاة الامور ويشير الى نوع من الادهان المعطرة يسميه دهن الزفر[١٨٨] .

ومثل ما اهتمت كتب الطبيخ بالاطعمة والاشربة وطريقة صنعها اهتمت بموضوع اخر يتعلق بالطعام والصحة ولعل الابواب التي ذكرها الوراق[١٨٩] انفرد بها دون بقية كتب الطبيخ فقد ذكر عدة امور منها :

باب في مايؤكل في الصيف والشتاء ويبدأ به من الفواكه قبل الغذاء ذكر فيه مجموعة من الفواكه يستحسن تناولها قبل الغذاء ومنها الرطب ، والعنب ، والتين والرمان وقصب السكر وغيرها ،

باب في تدبير الاكل في اوقات الفصول حيث يفضل الطعام الحار في الشتاء والبارد في الصيف ويحذر من الاطعمة الشديدة البرد اي المبردة على الثلج وامور اخرى تتعلق بقضايا طبية ، كما تناول ابوابا اخرى تخص مرضى المعدة وتكلم ايضا عن الحركة قبل الطعام والرياضة وذكر امور طبية كثيرة تتعلق بطبيعة الاغذية وتأثيراتها على جسم الانسان ،

كما خصص بابا لما يأكل النصارى من الطعام المزور في الصيام اي صنع اطعمة من غير لحم وعجة من غير بيض ومضيرة من غير لحم يضاف اليها الطحين والخل بدل اللحم ،

---

(١٨٨) الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب الجزء الثاني ص٤٩٥-٥٠٢

(١٨٩) كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية الصفحات : ٦٢، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .

كما يصف نوعا من السنبوسج من غير لحم ويحشى بصل وابازير وتوسع الوراق في اغذية المرضى وخصص عدد من الابواب لها واستعمل في تسميتها السجع مثل :

ما يتغذى به العليل من مزورات البقول وهي اطعمة تعمل للمرضى من غير لحم ولا زيت وتأخذ نفس اسماء الاطعمة المعروفة واكثرها تعمل من البقول ٠

باب في ما يتغذى به العليل الجسم من الامراق واللحم وهو فصل طبي وباب في ما يوافق اصحاب النزلات من والاحساء والحريرات ٠

وباب في عمل الامراق من الحبوب للعليل المكروب ويصف منها مرقة حب الرمان والارز ٠

وباب اخر فيما يتغذى به اصحاب اليرقان من الشبوط والبنان

وهكذا لم يترك الوراق شيئا يخص الطعام الا ذكره ٠

ادب المائدة :

ومن المواضيع ذات الصلة بالاطعمة والاشربة ادب المائدة ٠ كان للعرب اداب ورسوم للمائدة وشروط المؤاكلة ومنها ما يتعلق بالخوان والمائدة والسفره وغسل الايدي قبل الطعام وبعده وطريقة الاكل وامور اخرى كثيرة ٠ وكانت هذه الاداب بسيطة تطورت بتطور المرحلة التاريخية وابتدأ هذا التطور في العصر الاموي ووصل اوجه بمجيء العباسيين حيث نمت الحضارة واستقر الناس وتفننوا في وسائل العيش ومنها التفنن في

الموائد . والحقيقة ان ادب المائدة موضوع واسع وطويل يحتاج الى بحث مستقل وهو في الواقع صورة حضارية لمجتمع مترف متحضر وسوف نكتفي بالكلام عن الخطوط العامة لادب المائدة وما يخص ادب المؤاكلة لصلته بموضوع البحث . ولابد من الاشارة الى الادوات التي يوضع عليها الطعام وهي : السفرة : وهي مدورة تعمل من الخوص وتبسط على الارض ويتحلق القوم حولها ، وقد تعمل من النسيج او النحاس ثم غلب استعمالاتها من الاديم لسهولة ازالة الوضر منه [١٩٠] .

ثم المائدة : وهي الطعام وان لم يكن هناك طعام فهي خوان [١٩١] وكانت الموائد غالبا ما تصنع من الخشب لوجوده بكثره ولكن الاغنياء كانوا يتفون في صنعها من الذهب او الفضة او الرخام او المرمر او الجزع . اما اداب المؤاكلة فقد اشارت اليها الكثير من المصادر * حتى عدها البعض جزءا من مكارم الاخلاق كما عدها الطبرسي في كتابه مكارم الاخلاق ومسكويه في كتابه تهذيب الاخلاق ، كما عدها البعض جزءا اساسيا في تخطيط المسكن كما فعل التلمساني في سلوك السنن الى وصف السكن .

وقد اعطى الوراق هذه الاداب وكذا الوشاء حيث قدم صورة لادب المؤاكلة لعلية القوم او للظرفاء وهي صورة حضارية تعكس ما كان سائدا في القرن الرابع الهجري . ومن هذه الاداب : – ومن الادب ان لايحضر المرء موائد الطعام الا بعد الحصول على دعوة ومن يحضر بدون دعوة يطلق

---

[١٩٠] حبيب زيات : ادب المائدة في الاسلام ، الخزانة الشرقية الجزء الثالث ص١٣١ .

[١٩١] ابن سيدة : المخصص الجزء الاول ص١١ .

* انظر مصادر الاطعمة في بداية البحث .

عليه اسم طفيلي [١٩٢] ويقول الوراق ليس من المروءة الاكل من طعام لم يدع له ولا حضور مجلس لم يؤمر بحضوره ولا التثقيل في الجلوس ولا الالحاح في الطلب [١٩٣] .

غسل اليد قبل الطعام وبعده ، وذكر ابن عبدربه انه من الادب ان يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام ثم يقول لجلسائه من شاء منكم فليغسل ، فاذا غسل بعد الطعام فليقدمهم ويتأخر [١٩٤] .

ومن الاداب في تقديم الاكل ان تقدم الفاكهة قبل الطعام ومما يذكر عن مجالس الوزير ابي الحسن بن الفرات كان يقدم الى ضيوفه طبق فيه اصناف الفاكهة ، ثم يحمل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع انواع الفاكهة من خوخ وتفاح وسفرجل وكل طبق فيه سكين لقطع الفاكهة ومعه طست زجاج يرمي فيه الثفل . فاذا انتهوا من الفاكهة شيلت الاطباق وقدمت الطسوت والاباريق فغسلوا ايديهم واحضرت المائدة مغشاة ومن تحتها سفرة آدم وحواليها مناديل الغمر * ، ولاتزال الوان الطعام توضع وترفع اكثر من ساعتين ثم ينهض الضيوف الى مجلس اخر يغسلون ايديهم والفراشون قيام يصبون الماء والخدم وقوف وعلى ايديهم المناديل ورطليات ماء الورد لمسح

---

[١٩٢] ماجد عبد الحميد عبد الرزاق : المائدة انواعها ورسومها في صدر الاسلام والعصر الاموي (رسالة ماجستير لم تطبع كلية الاداب – جامعة البصرة ٢٠٠٢) ص٩٩ .

[١٩٣] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٣٣٢ .

[١٩٤] العقد الفريد ، الجزء الاول ص٢٣٤ ، حبيب الزيات : ادب المائدة في الاسلام ، الجزء الثالث ص١٣٥ .

* مناديل الغمر اي مناديل الذفر وكانت تعمل من دبيق مصر وبعضهم يضعها على صدره اتقاء الذفر . حبيب زيات : ادب المائدة في الاسلام ، الجزء الثالث ص١٣٦ .

ايديهم وكانوا ينشفون ايديهم بالمناديل الحريرية [١٩٥] ومن الادب ان يقدم صاحب الدعوة رقعة للمدعوين فيها ما عنده من طعام ليختار كل منهم اللون الذي يرغبه وهذه الرقعة هي المعروفة اليوم بأسم menu ويطلق عليها في العربية اسم الحضض اي الوان الطعام وقد يدعو صاحب الدعوة طباخه ويسأله امام الضيوف عما عنده من الالوان[١٩٦] ومن الادب ايضا لمن يجالس الملوك ان يكون نظيف الكف نقي الظفر عطر البشرة نظيف الثياب والعمامة [١٩٧] وقد اشار الوراق والوشاء الى اداب اخرى تتبع في موائد ذوي اليسار ومنها :

ان لايمد الشخص يده بذيا ولا يغمس اصابعه ولا يسرع المضغ ولا يكثر الضحك ولا يعض اللحم باسنانه ويرده الى الصفحة ولا يفت الخبز ولا يغمسه في الدسم ولا يفسخ الدجاج بيده بل يقطع بالسكين على مواضع المفاصل ٠

ومن الادب ان لايكثر من شرب الماء ولا يتجشأ ولا يمشمش العظام ولا يمص المخ ولا يعض الفواكه ان قدمت قبل الطعام ٠

ولا يزدرد قبل يجيد المضغ ولايدخل اللقمة الى الفم الا بعد ان يزدرد الاولى ولا يعض اللقمة بفمه ثم يعيدها الى الاناء ولايلاحظ مؤاكليه فيقطعهم عن الاكل ٠

---

[١٩٥] ابو الحسن هلال بن المحسن الصابي (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء . تحقيق عبد الستار احمد فراج ، القاهرة ١٩٥٨ ص٢٤٠ .

[١٩٦] حبيب زيات : ادب المائدة في الاسلام الجزء الثالث ص١٣٦.

[١٩٧] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص٣٣٢ .

ان يأكل باصبعين بلطافة وهدوء وحسن سمت وان لايمص اصابعه مما علق بها من طعام ولايخرج شيئا علق باسنانه ٠

ان لاينظر في الاناء عند مضغه لتمييز لقمة اخرى فأن ذلك نقصا عند ذوي المروءات ٠

ان يحذر التمدد والتمطي والتثاؤب والبصاق وفرقعة الاصابع واللعب بالخاتم والعبث باللحية والعمامة ولا العبث بالفاكهة والرياحين ولا يرمي بثفل ما امتصه من الفاكهة بحيث يرى ٠

ومن الادب ان يكن شربه مصا وكرعه جرعا[198]

اما الوشاء [199] فقد اعطى صورة طريفة لادب المائدة وهي صورة مبالغ فيها بعض الشيء ولكنها تدل على فن ورقي حضاري فمن جملة الاشياء التي ذكرها اضافة الى ما مر عدة اداب للظريف ومنها :-

ان الظريف لايتحس المرق ولايتبع مواضع الدسم ولايكثرون من الملح واكل البقل والكوامخ لايأكلون في النهار اكثر من اكله ويجتنبون اكل الفجل والبصل والكراث لرائحتهم ولايأكلون قدرا بائته ولا مسخنة ولا يأكلون الحبوب التي تهيج الرياح وتولد القرقرة والانتفاخ ويكثرون من اكل النعناع ويسمونه كافور الفؤاد ٠ اما الفواكه فلا يأكلون كل ما خالطه النوى في الصيف والشتاء ٠ اما الشراب فلا يشربون من الشراب اسوده ولا اجوده ولا يشربون الا ما صفا ٠ وهكذا رسم الوشاء صورة للظريف من خلال ما يأكل ويشرب

---

[198] كتاب الطبيخ واصلاح الاغذية ص ٣٣٢ .

[199] الموشى ص ١٠٥-١٠٦ .

هذه بعض اداب المائدة وهي في الواقع صورة حضارية تدل على سبق حضاري حتى ان الغرب اخذ الكثير من هذه العادات حتى قال احدهم ان ادب المائدة وفن الطبخ جاءنا من المشرق • وبعد فأن كل ماتقدم يدل على حضارة عربية اسلامية تعددت صورها وبلغت الاوج في كل امور الحياة • حضارة استوعبت الكثير من الحضارات الاخرى ولكن هذبتها وطبعتها بطابعها الخاص وخدمت بها الانسانية •

المصـادر :

- ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم بن ابي خليفة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) **عيون الانباء في طبقات الاطباء** . دار الفكر – بيروت ١٩٥٦
- ابن بسام ، ابن بسام المحتسب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** . تحقيق حسام السامرائي – بغداد ١٩٨٦
- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) **اخبار الظراف والمتماجنين** . المكتبة الحيدرية ، النجف ١٩٦٧
- ابن رزين التجيبي ، علي بن محمد بن ابي القاسم بن ابي بكر (ق٥هـ) **فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان** . تحقيق محمد بن شقرون ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٨٤
- ابن سيار الوراق ، ابو نصر (ق٤هـ) **الطبيخ واصلاح الاغذية المأكولات وطيبات الاطعمة . المصنوعات مما اتخذ من كتب الطب والفاظ الطهاة** . تحقيق كاي اورنيري وسحبان مروة . هلسنكي ١٩٨٧
- ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) **المخصص** . المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت
- ابن عبدالبر ، يوسف القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) **بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس** . تحقيق محمد مرسي الخولي ، بيروت
- ابن عبد ربه ، احمد بن محمد الاندلسي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)

العقد الفريد ، تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٦٥

- ابن العديم ، كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)

الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، تحقيق سليمى محجوب ، ونرية الخطيب ، معهد التراث العلمي العربي – بجامعة حلب ، حلب ١٩٨٦

- ابن الاكفاني ، محمد بن ابراهيم بن ساعد السنجاري (ت٧٤٩هـ/١٢٦١م)

غنية اللبيب عند غيبة الطيب ، تحقيق د. صالح مهدي عباس ، منشورات مركز احياء التراث – بجامعة بغداد – بغداد ١٩٨٨

- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨

- ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت بعد ٣٧٧هـ/٩٨٧م)

الفهرست ،طبعة الاستقامة ، مصر

- الاسرائيلي ، اسحاق بن سليمان (ت٣٣٠هـ/٩٤١م)

الاغذية ، مخطوط مصور من معهد العلوم العربية الاسلامية في فرانكفورت – المانيا ١٩٨٦

- الاصفهاني ، ابو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت٥٠٢هـ/١٠٦٠م)

محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م

- البرقي ، ابو جعفر احمد بن محمد بن ابي خالد(ت٢٧٤هـ/٨٨٧م او ٢٨٠هـ/٨٩٣م)

المحاسن ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦٤

- البغدادي ، محمد بن الحسن (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)

الطبيخ ، دار الكتاب الجديد ، دمشق ١٩٦٤ م

- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٣م)

انساب الاشراف ، مكتبة المثنى ، بغداد

- البلخي ، ابو زيد احمد بن سهل (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م)

مصالح الابدان والانفس ، مخطوط مصور من معهد العلوم العربية الاسلامية في فرانكفورت – المانيا ١٩٨٤

- التلمساني ، احمد بن يحيى بن ابي بكر بن عبدالواحد (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م)

سلوك السنن الى وصف السكن ، مخطوط مصور

- التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٣٤م)

الفرج بعد الشدة – تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٧ .

- الثعالبي ، ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفضل – – ابراهيم ، دار نهضة ومصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ .

يتيمة الدهر في محاسن شعراء اهل العصر . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة الصادرة ، القاهرة ١٩٥٦

- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٩ م)

البلدان او الحنين الى الاوطان . تحقيق د.صالح احمد العلي ، مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٨٦

البخلاء . تحقيق طه الحاجري ، دار الكتب المصرية ، مصر ١٩٤٨

- الجواليقي ، موهوب ابن احمد بن محمد بن الخضر (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)

المعرب . تحقيق احمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١هـ

- الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي القيرواني (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م)

الخطيب الغدادي ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

زهر الاداب وثمر الالباب . دار الجليل ، بيروت

- الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)

الحاوي . حيدر آباد الدكن ١٩٦٣

المنصوري في الطب . تحقيق د.حازم البكري ، الكويت ١٩٨٧

- الصابي ، ابو الحسن هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)

تحفة الامراء في تاريخ الوزراء . تحقيق عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ١٩٥٨

- طاشكبري زاده ، احمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ/١٥٦٠م)

مفتاح السعادة ومصباح السيادة . حيدر آباد الدكن ١٩٧٧

- الطبرسي ، الحسن بن لفضل (ق٧هـ)

مكارم الاخلاق • بغداد ١٩٨٨

- الطغنري ، محمد بن مالك الغرناطي الاشبيي (ق٥هـ)

زهرة البستان ونزهة الاذهان • تحقيق د• محمد مولود خلف ، مركز نور الشام للكتاب ، دمشق ٢٠٠١

- العسكري ، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)

الاوائل • تحقيق محمد السيد الوكيل ، مطبعة امل ، طنجة ، المغرب ١٩٦٦

- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

عيون التواريخ ج٢٠ • تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود ود•فيصل السامر ، دار الحرية – بغداد ١٩٨٠

- مجهول

وصف الاطعمة المعتادة • مخطوط مصور

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر • طبعة شاربلا ، الجامعة الامريكية ، بيروت ١٩٧٣

- الوشاء ، محمد بن اسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)

الموشى او الظرف والظرفاء • بيروت ١٣٢٤هـ .

المراجـــــع :

الالوسي ، محمود شكري

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب • تصحيح محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٢٣

ادي شير

الالفاظ الفارسية المعربة • المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٨

داود ، نبيلة عبدالمنعم

الطـرف والنكـت فـي التـراث • محاضـرة القيـت فـي ملتقـى الـرواد ، بغداد ١٩٩٦

الغذاء والصحة في التراث العربي • (بحث منشور ضمن وقائع الندوة العالميـة السادسـة لتاريخ العلوم عند العـرب – معهد التراث العلمـي العربي – بجامعة حلب – حلب ٢٠٠٠)

كتب الطبيخ مصدر لدراسة الصناعات الغذائية • (بحث منشور في وقائع المـؤتمر الثالـث للجمعيـة الاردنيـة لتـاريخ العلـوم ، اسـاليب الانتـاج الصـناعي والزراعـي فـي الحضـارة الاسـلامية – الاردن ٢٠٠٠)

زيات ، حبيب

ادب المائـــدة فـــي الاســـلام • الخزانـــة الشـــرقية ج٣ ، المطبعـــة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٨

فن الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام ج٤ • الخزانة الشرقية ، بيروت ١٩٤٨

الصباغ ، نجلة قاسم

جوانب الحياة الاجتماعية في عصر الرسالة الاسلامية . بحث في مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل العدد ١٣ لسنة ١٩٨١

عبدالرزاق ، ماجد عبدالحميد

المائدة انواعها ورسومها واهميتها في صدر الاسلام والعصر الاموي رسالة ماجستير لم تطبع ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ٢٠٠٢

علي ، د. جواد

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . بيروت ١٩٧٠

فنسنك

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث . الطبعة الاوربية

فهيم ، حسين محمد

ادب الرحلات . سلسلة عالم المعرفة (١٣٨) الكويت ١٩٨٩

لازم ، مزبان علي

الفاظ الحضارة في كتاب نشوار المحاضرة . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة – كلية الاداب ١٩٩٧

المنجد ، صلاح الدين

الظرفاء والشحاذون في بغداد باريس . دمشق .

تشخيص الطبيعة والإسقاط في شعر ابن خفاجة *

الدكتورة نجود عطا الله الحوامدة
أستاذة مشاركة في جامعة جرش / الأردن

الملخص :

يمكن أن تعد الطبيعة الأندلسية ، بما تملكه من سحر وجمال وتنوّع ، أحد العوامل التي أسهمت في تشكيل ظواهر أمر الإبداع والتجديد والابتكار ، في الشعر الأندلسي ، وشعر ابن خفاجة بخاصة الذي سيعنى البحث ببعض ظواهر الإبداع فيه .

ومن تجليات الإبداع الملحوظة في شعر ابن خفاجة ، الصورة . الصورة في طليعة ظواهر الإبداع في القصيدة ، لقدرتها على تجسيد أخيلة الشاعر ، ومطاوعتها في التعبير عن دواخله ، وتصوير تجربته الذاتية ، فضلا عما تشيعه في القصيدة من جمال. وللصورة ، في شعر ابن خفاجة ، مثل هذا التأثير في تشكيل ظواهر الإبداع ، بل فيها من المزايا الفنية ما مكّنها من أن تمنح شعر ابن خفاجة مزية الشاعرية .

وأول هذه المزايا أنها غالبا ملوّنة بألوان الطبيعة ما يمنحها القدرة على الإثارة والإيحاء ، إذ يسهم لون الصورة في إبراز التشخيص الذي تحفل به صور الشاعر ، فاللون الذي يكسو ظاهرة الحركة والحيوية والنشاط التي تصاحب التشخيص ، يمنح الصورة الشفافية التي ترفدها بإمكانيات مضافة للإعراب عما تنطوي عليه من دلالات وإشارات .

وإذا ما أتيح لهذا التشخيص الملوّن الاقتران بمعاني (الإسقاط) ، الذي يعمد إليه ابن خفاجة أحيانا ، فسيكون في مستوى فني يمتلك فيه المزيد من وسائل الإيحاء والتأثير والإدهاش . وهذه من وظائف الفن الإبداعي .

---

* إبراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله بن خفاجة ، وكنيته أبوإسحاق ، يعد شاعر شرقي الأندلس ، نبه صيته في عهد المرابطين ، فهو من أشهر وصّافي الطبيعة ، كانت ولادته سنة (٤٥٠ هـ) جزيرة شُقرمن أعمال بلنسية ، برع في نظم الشعر منذ صباه ، وكتب الرسائل الاخوانية البليغة ، حتى اشتهر في الأندلس بشعره وأدبه ، غلب على شعره وصف الطبيعة ، إلى جانب غزله الرقيق ومدحه البارع ، من خصائص شعره البارزة جزالته ووفرة معانيه وتميزها بالعمق ، بخلاف سائر شعراء الأندلس ، مما يدل على سعة ثقافته وحفظه لكثير من شعر العرب ، توفي سنة٥٣٣هـ . أنظر ، وفيات الأعيان : ابن خلكان ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١، القاهرة ، ١٣٦٧هـ . الذخيرة : ابن بسام ، ق٣ ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص٣٢. النويري : نهاية الأرب ، تحقيق جاسبار روميرو ، غرناطة ، ١٩١٩/١٧ ، ج١ـ١٣ ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٣٨هـ . صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣.

المقدمـة :

من المسلمات ، لدى المستشرقين ؛ ممن عنوا بالشعر الأندلسي ، أن شعراء الأندلس وقفوا في وصفهم للطبيعة الأندلسية عند ظاهر مناظرها ولم يحاولوا أن يستوحوا ما تثيره من مشاعر وعواطف إنسانية ، فهو وصف خارجي(١).

ولدى اقترابي من عالم هذا الشعر الأندلسي ، أثار دهشتي ما فيه من نزعة إنسانية ، تتمثل في تماهي شعرائه الكبار مع الطبيعة . وفي مقدمة هؤلاء ابن زيدون وابن خفاجة اللذان اتحدا مع الطبيعة بكل مظاهرها .

وسيعنى بحثي هذا بهذه الجوانب الإنسانية في شعر ابن خفاجة ، ولا سيما على صعيدي التشخيص والإسقاط اللذين تجسدا في شعره ، ومنحاه بعده العاطفي والإنساني .

ولا شك في أن شعر ابن خفاجة ، بخصائصه وموضوعاته المعروفة ، هو نتاج مجموعة عوامل في طليعتها البيئة الأندلسية .

وأثر البيئة في الإنسان وأنشطته المختلفة فكرية وفنية وأدبية كبيرٌ ، فالإنسان ابن البيئة ، وإبداعه ، بمختلف ألوانه ، تعبير عن روحها وتصوير لمظاهرها(٢).

---

(١) انظر على سبيل المثال : سيد نوفل ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، ط٢ ، دار المعرفة ، مصر ، ١٩٧٨ ، ص ٢٦٦.

(٢) لمزيد من الاطلاع على أثر البيئة الأندلسية في الشعر ، انظر : جودة الركابي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ؛ وسعد إسماعيل شلبي ، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص١٧١ ، ١٨٣– ١٨٤ ، ١٩٨.

والبيئة الأندلسية فريدة في جمالها مميزة في طبيعتها ، فحقولها ومزارعها كثيرة ، وأشجارها مورقة مزهرة ، ومياهها غزيرة ، كالبحار التي تحيطها ، وهي شبه جزيرة ، عديدة ، وأنهارها وجداولها وأمطارها وبركها كثيرة. وبيئةٌ على هذا النحو من الطراوة حرية بان يصطبغ أدبها بألوان حدائقها وزهورها ومياهها وسمائها ، وأن يتميز بالرقة والطلاوة [٣]. ومن ثم فلا بد أن يكون للأدب الأندلسي سماته الجديدة ، فضلا عما يملكه من سمات مشرقية لا يستطيع الفكاك منها .

وإذا كان شعر ابن خفاجة مثلا لهذا الشعر المتأثر بهذه البيئة ، فسيكون من هدف هذه الدراسة تقصي آثار البيئة الطبيعية في شعره ، وتلمسّ آثار ثقافة الشاعر ، وطبيعة نزعاته الفكرية والعاطفية في التعاطي مع مظاهر الطبيعة .

كان مدخلي إلى التشخيص والإسقاط ، في الشعر الخفاجي ، عبر الصورة ، فإذا كانت الصورة مرآة تنعكسُ عليها الطبيعة الأندلسية بكل مظاهرها ، فإن التشخيص والإسقاط هما التشكيلان المؤهلان لتصوير عواطف الشاعر ومشاعره الإنسانية تجاه الطبيعة ، والتعبير عما يتهيأ للشاعر من أن مفردات الطبيعة تشاركه هواجسه وتنفعل بانفعالاته . ومعنى

---

[٣] للاطلاع على سحر الطبيعة الأندلسية وجغرافيتها بتفصيل أكثر ، انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ١٢٧/١؛ وجودة الركابي ، الطبيعة في الشعر الأندلسي ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٧٠ ، في مواضع كثيرة من الكتاب .

ذلك أن عنصري التشخيص والإسقاط يتوليان تصوير الجانب النفسي الإنساني من الصورة .

استأثرت الصورة باهتمام النقاد منذ القديم ، لما لعناصرها من أثر في تشكيل القصيدة الناجحة ، ومن دور كبير في التعبير عن رؤى الشاعر وأخيلته ، فهي أطوع أدواته في تجسيد هذه الأخيلة. ويتأتى ذلك لها من كونها مصوغة بواسطة الخيال ، فلا صورة بلا خيال يجمع بين عناصرها ، ويمنحها الجمال والإثارة والإدهاش ، ومثلما يؤدي الخيال دوره في تشكيل الصورة ، يحتاج المتلقي الخيال ليدرك أبعاد الصورة ويتذوقها .

ومثلما أسهم نقاد العالم القدامى والمحدثون في دراسة الصورة ، وبيان دورها في تحقيق شعرية النص ، كان للعرب القدامى والمعاصرين إسهام مشهود في هذا المضمار .

أما القدامى من النقاد والبلاغيين العرب ، فقد كانت جهودهم واضحة في فهم الصورة وتحديد أهمية معناها في التعبير الشعري . وفي مقدمة هؤلاء (الجاحظ) و (عبد القاهر الجرجاني) و (حازم القرطاجني)[٤] ، وللعرب المعاصرين جهودهم في مجال البحث في الصورة وأهميتها في نجاح

---

[٤] للوقوف على آراء هؤلاء النقاد ، انظر : الجاحظ ، عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ١٩٣٨ ، ٣/١٣١-١٣٢؛ والجرجاني ، عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، ١٩٤٥ ، ص ٤٠-٤١ ؛ ودلائل الإعجاز ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ١٧٢ ، ٣٢٣ ؛ والقرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تونس ، ١٩٩٦ ، ص ٨٩ .

القصيدة ، ومن هؤلاء : (مصطفى ناصف) و (علي البطل) و (عبد القادر الرباعي) و (جابر عصفور)[٥] ، وغيرهم .

لقد انصب جهد أغلب الباحثين ، دارسي الصورة لدى الشعراء ، على تثبيت مقولات النقاد العرب القدامى والمحدثين والنقاد الغربيين ، أكثر من اهتمامهم ببيان عناصر الصورة وأطرافها ، وأسلوب جمع المختلف والمتنافر من هذه العناصر والأطراف لتشكيل الصورة لدى الشعراء المدروسين . وقد تراكمت هذه المقولات ، وأصبحت متداولة وميسورة في الدراسات المعاصرة ، ومن ثم لم أجد مسوّغا لإعادة ذكرها ، واكتفيت بالإشارة إلى أهم النقاد وكتبهم في الهامش .

وإذا كان من الضرورة لاستحضار بعض التعريفات تذكيرا للمتلقي ، فسأختار تعريفات يسيرة من نقاد غربيين ، يأتي في مقدمتهم (سي دي لويس) ، لقصر تعريفه بالصورة ، مع توافر الدلالة ووضوحها ، يرى (سي دي لويس) ، في تعريفه الموجز للصورة : أنها عبارة عن "رسم

---

[٥] للوقوف على آراء هؤلاء النقاد العرب ، انظر : مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨١، ص ٨؛ وانظر : علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ؛ وانظر أيضا : عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، مكتبة الكتاني ، اربد ، ١٩٩٥ ، ص١؛ وانظر أيضا : عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، اربد ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٧، ١٨٠؛ ثم جابر عصفور ، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٧.

قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة"[٦] ، ويعدها الملكة التي تبث الشعرية في النص[٧]. وتعريف (لويس) هذا يعقد صلة ما بين الرسم والصورة فيوضح مفهومها.

ومن التعريفات التي تقرّب مفهوم الصورة إلى المتلقي ما يقوله (جورج ليكوف) في الصورة ، يقول : "ثمة أنواع من الاستعارات التي تعمل لرسم صورة ذهنية عرفية"[٨] ، إذ إن التعويل على الاستعارة ، في فهم تشكل الصورة ، يكشف عن آلية هذا التشكل ، لذا فقد أخذ النقاد الغربيون يبحثون في آليات عمل الاستعارة على تشكيل الصورة.

إن الصورة أقدر عناصر الإبداع وأكثرها طواعية على تجسيد أخيلة الشاعر ، والتعبير عن مشاعره ورؤاه ، وهي من أهم أدواته في رسم أخيلته ، وتجسيدها على هيئة تشكيلات مجازية ، ومن هنا يكون وجودها في القصيدة علامة إبداع .

وبسبب هذه الأهمية ، وفي ضوء هذه المفاهيم ، سيمضي هذا البحث في طريق تتبع مكونات الصورة وعناصرها وآليات تشكلها ، ومصادر هذه المكونات أو العناصر ، في الصورة التشخيصية ، الطبيعية ومفرداتها ومظاهرها من طرف ، والإنسان وصفاته ولوازمه وأعضاء جسمه وعاداته

---

[٦] سي دي لويس ، الصورة الشعرية ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن إبراهيم ، العراق ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣.

[٧] المصدر نفسه ، ص ٧٣.

[٨] جورج ليكوف ، النظرية المعاصرة للاستعارة ، ترجمة طارق النعمان ، مجلة إبداع ، العدد (١٣) ، ٢٠١٠.

الخاصة من طرفٍ آخر. فضلا عما تقتضيه متابعة آلية التشكل من التنبه لأسلوب الشاعر في صناعة هذا التشكّل .

وأما التشخيص ، فيوصف بأنه قوة يمنح بها الشاعر الشيء حياة داخلية وشكلاً انسيابيا ، عن طريق إسباغ الحياة الإنسانية على ما لا حياة له من الجماد والكائنات المادية غير الحية .

وبأسلوب التشخيص يتم إبراز الجمادات والمجردات من الحياة ، من خلال الصورة ، بشكلٍ كائن متميز بالشعور والحركة والحياة. والتشخيص كثير في الشعر المتميز بالإجادة ، ولاسيما شعر الرومانسيين ، الذين كانوا يتخيلون الطبيعة كلها ، في جبالها وحقولها وأشجارها وصخورها ، كائنات تشاركهم مشاعرهم القلبية ، فتحزن لحزنهم ، وتفرح لفرحهم[٩].

وغير قليل من الشعر الأندلسي مطبوع بسمة رومانسية. حتى ذهب بعض النقاد إلى أن جذور الرومانسية تمتد إلى الشعر الأندلسي[١٠]. ومن ثم فلا عجب أن يعتمد ابن خفاجة التشخيص لرسم صوره ، ثم للتعبير عن مشاعره تجاه الطبيعة.

---

[٩] انظر : جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٦٧.

[١٠] حول أثر شعر الطبيعة الأندلسي في الشعر الغربي ، انظر : سيد نوفل ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، ص ٢٦٨ ؛ وإبراهيم سلامة ، تيارات أدبية ، القاهرة ، ١٩٥١، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣.

حين تكون البيئة ، التي عاش فيها الشاعر ابن خفاجة ، الأندلس ذات الطبيعة الساحرة ، أو على وجه التحديد بلنسية ، أجمل مدن الأندلس ، وأصفاها جوا وأكثرها ورودا ، وأزهاها حقولا وبساتين ، فلا عجب أن تشكل طبيعتها عناصر جمله الشعرية وصوره ، بعد أن تماهى معها ، وعانقت أفكاره بظواهرها .

وإذا كانت الصورة أهم عناصر بناء القصيدة ، بوصفها مبعث الجمال والفتنة واللون والخيال في القصيدة ، فإن الصور التشخيصية أجمل الصور وأكثرها سحرا ، فالتشخيص يبث الحياة والحيوية والحركة في الصورة ، ذلك لأن (الإنسان) بحيويته يمثل ركنا في التشكيل الصوري المشخّص .

أما الركن الآخر في الصور التشخيصية ، فتمثله مفردات الطبيعة ، ناطقة وصامتة ، من حمام وفراشات وظباء وورود وأشجار وأغصان وحقول وجداول وليل ونهار وربيع وغيرها .

ويجمع الشاعر المبدع ، بخياله الخلاق ، بين الإنسان أو أحد أعضاء جسمه أو إحدى لوازمه ، وبين إحدى مفردات الطبيعة ، ليكون من ذلك الجمع التشخيص .

وفي شعر ابن خفاجة ، يطالعنا تشخيص الطبيعة ، حيثما أجلنا النظر في قصائده ، بل إن بعض قصائده مبني على الصورة التشخيصية ، في محاولة ظاهرة من الشاعر لإضفاء شيء من الآدمية على مفردات الطبيعة ، ومن جميل التشخيص الذي يشيع في قصائد الشاعر قوله يصف ثمرة نارنج :

يضاحكها ثغر من الشمس واضح   ويلحظها طرفٌ من الماء أزرق

أنسن الشاعر الشمس ، إذ أسند إليها مضاحكة النارنجة ، بل أكدّ هذه الأنسنة حين جعل للشمس ثغرا وضاحا تضاحك به الثمرة ، وأضفى على الماء صفة الآدمية ، إذ جعل للماء عينا زرقاء تلحظ بها هذه الثمرة ، فسرتْ بهذا التشخيص الحياة في أوصال الصورتين اللتين تضمنهما البيت ، وهذه بعض أمارات الشعرية في العمل الأدبي.

وتتجلى اللمسة الإنسانية في تماهي الشاعر مع بعض مظاهر الطبيعة ، فالغصن يمنح الشاعر السلام هو والكثيب ، فلا يملك الشاعر إلا أن يرد عليهما السلام ، وتبادل التحايا بين الغصن والكثيب والشاعر ، يكشف لنا الألفة الحميمة التي تتماثل ، في حيويتها ، الطبيعة النباتية بالطبيعة الإنسانية. صوّر كل ذلك التشخيص المتمثل في حركة الغصن والكثيب ، كما يتحرك الإنسان حيث يلاقي صديقه فيحييه ، ويبثه أشواقه ، فيبادله الإنسان مشاعر الود ، وتجلت هذه اللمسة الإنسانية في هذه الصورة التي رسمها الشاعر[11] :

سلَّمَ الغصن والكثيب علينا   فعلى الغصن والكثيب السلام

وإذا كانت هذه الصورة في غاية البساطة والسهولة ، في صياغتها ومعناها ، فإنها تمتلك من العاطفة واللمسة الإنسانية المؤثرة ما يمنحها صفتي الجمال والتأثير.

---

[11] ديوان ابن خفاجة : ص ٦٢.

وإذا كانت الصور التشخيصية منبثة في شعر ابن خفاجة ، على هذا النحو الذي يمنحه الجمال والطراوة ، فإن ما يقوم على تشخيص مظاهر الطبيعة منها هو الأكثر إثارة وحيوية . من ذلك ما يتوافر في البيتين الآتيين من حيوية وحركة[١٢] :

وحيَّاك من قرع لأشرف دوحة ... نسيم كأنفاس العذارى تضوّعا

يُلاعب من خوط الأراكةِ معطفا ... ويمسح من مسرى الغمامة مدمعا

ومصدر هذه الحيوية ما انبثَّ في النسيم من آدمية ، جعلته يحيّي ويلاعب أعطاف الأراكة ، بل يمسح مدامع الغمامة السارية ، على نحو يحس المتلقي معه أنه حقا أمام فعل إنساني . جاء ذلك بفعل تشخيص النسيم : أحد المظاهر الرقيقة في الطبيعة . ومثل هذه الصور التشخيصية للطبيعة ، مكسوّةً باللمسة الإنسانية ، تشيع في قصائد الشاعر ، حتى لتكاد تكون إحدى أهم وسائل جماليات الأداء البياني فيها.

ويبدو ابن خفاجة رساما ماهرا للصور التشخيصية ، التي لا تكاد تخلو منها قصيدة من قصائده ، على نحو ما نرى في قوله[١٣] :

---

[١٢] ديوان ابن خفاجة ، ص ٦٠ ، والبيتان من قصيدة يمدح بها الأمير إسحق بن إبراهيم بن يوسف .

[١٣] ديوان ابن خفاجة : ص ٣٣٨.

وربَ ليـــلٍ ســـــهرتُ فيــــه	أزجــرُ مـــن جنحـــه غرابـــا
حتـــى إذا الليــل مـــال سُــكرا	وشـــق ســــرياله وجابـــا
وحـــام مـــن سُــدفة غــراب	طالـــت بـــه سِــنة فشــابا
ازددْتُ مـــن لـــوعتي خبـــالا	فجئــت مـــن غُلتـــي سَــرَابا

فمن بين هذه التشكيلات الصورية ، يبرز واضحا التشخيص في صورة الليل ، الذي يتمايل لشدة سكره ، بل يمزق سراويله ، لفقدانه الوعي ، ويجوب في أنحاء الموضع الذي شرب فيه

وفي قوله الآتي ، من قصيدة وصف للطبيعة ، مجموعة صور تشخيصية للغبار والندى والنّوار والثرى[١٤] :

نام الغبار بها وقد نفح الندى	وجـهَ الثـرى واسـتيقظ النّـوارُ
والماء في حَلي الحباب مقلد	زَرّتْ عليهـا جيوبهـا الأشـجار

فالتشخيص بَيِّنٌ في نوم الغبار ، وفي نفح الندى وجه الثرى ، وفي وجه الثرى ، وفي استيقاظ النُّوار.

وفي البيت الثاني صورة تشخيصية في (زرّت عليه جيوبها الأشجار) ، إذ جعل الشاعر للأشجار جيوبا تزرها على حَلْي الحباب .

وإذا كانت صور ابن خفاجة تستمد جمالياتها من التشخيص ، وما يوفره من حركة وحيوية في الصورة ، فإن هناك مصدرا آخر لهذه الجماليات هو اللون الذي يستحضره تشخيص الطبيعة ومفرداتها. وليس بين هذه المفردات ما هو دون لون ، فكل مظاهر الطبيعة ملونة .

---

[١٤] ديوان ابن خفاجة : ص ٣٥١.

وصلة اللون بالصورة وثيقة وعميقة ، فنماذجها المتميزة بالإبداع لا تتحقق دون لون ، بوصفه اللغة البصرية الأولى التي تتشكل بها اللوحة الأدبية والنفسية بعامة . واللون ، على الرغم من كونه أحد ثوابت الطبيعة ، ينزاح عن ثباته في الأنشطة الإنسانية أحد ثوابت الطبيعة ، ينزاح من ثباته في الأنشطة الإنسانية في الفنون بعامة أشكالها ، ومن طليعتها الشعر[١٥] ، حيث يتجاوز الإدراك الحسي فيشير إلى أشياء غير حسية وغير مرئية ، فيتوغل في صميم الأشياء ولا يكتفي بالوقوف عند سطوحها المرئية[١٦].

والألوان التي تصطبغ بها تشخيصات الشاعر نوعان : الأول ، وهو الأقل ورودا في الشعر الخفاجي ؛ ما يتصل بالألوان الصريحة كالأحمر والأصفر والأسود وسواها. ومن ذلك ما مرّ بالبحث من قول الشاعر : "ويلحظها طرف من الماء أزرقُ" ، فطرف الماء أزرق في هذه الصورة . ومن هذا النمط من التشخيص اللوني ما جاء في وصف شجرة النارنج[١٧] :

من كل وارسة القميص كأنها	نشأت تُعلُّ بريقةِ الصفراء
نجمت بها نجوم حسبما	بالأيكة الخضراء من خضراء

---

[١٥] انظر : نصر حامد أبو زيد ، وسيزا قاسم ، مدخل إلى السيميوطيقا ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٩.

[١٦] لمزيد من التفاصيل ، انظر : اوستن وارين ، ورينيه ويلبك ، نظرية الأدب ، ترجمة محيي الدين صبحي وحسام الخطيب ، القاهرة ، ١٩٦٢، ص ١٤٣ ؛ وعز الدين إسماعيل ، الشعر العربي المعاصر وقضاياه الفنية والمعنوية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٥٥.

[١٧] ديوان ابن خفاجة : ص ٧١.

إذ أنسن الشاعر ثمار الشجرة فجعلها ترتدي كل واحدة منها قميصا بلون الورس ، وهو الورد الأصفر ، ثم شخصها مرة أخرى ، فجعلها تُعَلُّ بريق الخمرة الصفراء . ولإكمال الصورة اللونية ، وصف هذه الثمار بالنجوم التي تزوق بهذه الأيكة الخضراء . فعماد الصورة وجمالها اللون الذي اصطنع به التشخيص فيها ، والصور اللونية المعتمدة على الألوان الأساسية (ألوان الطيف) ، ومعها اللونان الأبيض والأسود موفورة في قصائد ابن خفاجة ، ويبرز بينها اللونان الأسود والأبيض[١٨].

غير أن الموحيات بالألوان أو المدلولات التي توحي بالدوال اللونية هي الطاغية على تشخيصات الشاعر ، ومن هذه الألوان ، المستوحاة من ألفاظ وتعابير موحية باللون ، ما نجده في هذه الصورة[١٩] :

---

[١٨] يرى النمري في كتابه (الملمع) أن الألوان الأساسية هي الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر ، الحسين بن علي النمري : الملمع ، تحقيق وحيد أحمد سلطان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٦ ، ص١٠٨ . في حين نجد من يعد الألوان الأساسية متمثلة بألوان الطيف الشمس السبعة : الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق ، انظر : عاهد ماضي ، ألفاظ الألوان في العربية ، دراسات لغوية ، دمشق ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٦. أنظر عاهد ماضي : ألفاظ الألوان في العربية ، دراسات لغوية ، دمشق ، ٢٠٠م ، ص٢٦ ، وهناك من الباحثين من يتحدث عن الألوان البؤرية وهي الأبيض والأسود الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق ، انظر قاسم حسين صالح : سيكولوجية اللون والشكل : بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨٢ ، ١٠٨

[١٩] ديوان ابن خفاجة : ص ٤٧.

ويــا رُبَّ ليــل جنــيّ المنــى شـهيّ اللّمــى مسـتطاب اللّمــم
لـهـوتُ ودون التمــاح الصــباح ظــلامٌ ســجا وغمــامٌ ســجم
وقــد كــتم الليــل ســرّ الهــوى ونمّــت بمــا اسـتودعته النــيم

فالليل الشهي اللّمى تعبير عن السواد الذي لف الليل ، توصّل إليه الشاعر بجعل الليل امرأة لها شفتان لمياوان ، فاللمى هو الذي أوحى بالدلالة المطلوبة ، ومثله تعبير كتم الليل سرّ الهوى ، فدلالة العتمة واضحة فيه ، وتعبير ظلام سجا وغمام سجم ، فكلا التعبيرين يوحيان بالسواد والعتمة . أما التماح الصباح فيوحي بالبياض والإشراق والتفتح . هذه الدلالات اللونية غير الصريحة لوّنت الصور التشخيصية لليل الذي بدا مثل غادة لمياء (سمراء الشفتين) طيبة المعشر . وهذا الليل كان أمينا على أسرار الشاعر يكتمها.

وتـوحي الصـورة التشخيصـية ، فـي البيـت الآتـي ، بالبيـاض والإشراق[٢٠] :

سمح الخيال على النوى بمزار والصبح يمسح عن جبين نهار

فالصورة التشخيصية في (والصبح يمسح عن جبين نهار) تشي بالإشراق ، والبياض المقترنين بالصبح والنهار ، والمستفادين من (يمسح) و (جبين) ، فالحركة التي يتضمنها الفعل المضارع (يمسح) تُفصح عن الإشراق وانزياح العتمة . أما الجبين فهو ملازم للبياض في سائر التعابير الشعرية المألوفة .

---

[٢٠] ديوان ابن خفاجة : ص ٣٣.

وفي الصورة التشخيصية ، التي ضمتها الأبيات الآتية ، ألفاظ وتعابير موحية بالبياض والإشراق والوضوح ، على الرغم من أن الصور لليل ، وفي الليل وأن هناك ألفاظا أخرى توحي بالسواد ، يقول الشاعر[٢١] :

والليل وضاح الجبين (م) قصير أذيال الثيابِ

فقنصت منه حمامة بيضاء تنسخ من غرابِ

والنور مبتسم وخدُّ (م) الورد محطوط النقابِ

فوضاح الجبين ، وقصير أذيال الثياب ، كناية عن سرعة طلوع الصباح ، وقنصت حمامة بيضاء إشارة إلى إدراك الفجر ، والنّور مبتسم ، وخد الورد محطوط النقاب (سافر) ؛ كلها موحيات بالبياض والإشراق ، أما الحمامة (الصباح) فقد صرح الشاعر بلونها الأبيض ، ولإبراز هذا البياض عمد الشاعر إلى إحاطته بموحيات اللون الأسود ، فذكر الليل والغراب والنقاب ، لتبدو الصورة كأنها نوع من الثنائية الضدية . أما التشخيص فبادٍ في جبين الليل الوضاح وقصر ثيابه ، وابتسام النَّوار (ورد النارنج) ، وخد الورد المرفوع عنه النقاب ، وهنا تضافرت الحركة التشخيصية مع اللون لتصنع صورة جميلة مؤثرة ، كما يلحظ تسيُّد الصور المتشحة بالسواد والبياض على سائر الصور اللونية .

وقد يتوسل الشاعر إلى الإيحاء باللون بذكر مفردات وموصوفات ملوّنة بطبيعتها أي تحمل اللون الذي يريد الإيحاء به ، فقد ذكر الشاعر النرجس والأقحوان ، ليستفيد من دلالتهما اللونية ، يصف يوم أنس[٢٢] :

---

[٢١] ديوان ابن خفاجة : ص ٨٠ .

[٢٢] ديوان ابن خفاجة : ص ٨٣ .

وغازلنا جفن هناك لنرجس	**ومبتسم للأقحوان شنيبُ**

فالنرجس والأقحوان يحملان اللون المراد الإيحاء به(*) ، وقد جاء ذكرهما على أنهما صنفان من الورد ، لكن على سبيل التشخيص ، إذ جعل الشاعر للنرجس جفنا ، وللأقحوان ابتساما ، والتشخيص التصوري هذا في غاية الجمال والمناسبة ، فالنرجس صفة للعيون ، والأقحوان صفة للثغر والأسنان في التراث الشعري

وقد استغل الشاعر ما في الأزهار من ألوان لتعوّض عن الألوان الصريحة في رسم صوره التشخيصية ، على نحو ما يظهر في هذه الأبيات ، من قصيدة يصف بها جارية(٢٣) :

تشير إليها كل راحة سوسن	**وتشخص فيها كل عين لنرجس**
تنوب عن الحسناء والدار غربةً	**فما شئت من لهوٍ بها وتأنس**
تحفّتْ بها ريح بليل وربوة	**بمسرى غمام جادها متبجس**
فجاءت تروق العين في ماء نضرة	**تسن على أعطافها ثوب سندس**

فالتشخيص يكمن في راحة السندس ، وشخوص عين النرجس ، وفي ثوب السندس ، الذي يجري على أعطاف الربوة النضرة . وقد زاد هذه

(*) تسمّى هذه الألوان بالمستعارة ، بمعنى أنها موجودة في تكوين المفردة ، ويُستعار منها لأغراض التعبير اللوني ، فالدم يحتوي على معنى الأحمر ، فحين يُستعمل الدم يُستعار منه الحمرة الموجودة فيه. وكذلك : الفضة والفيروز والرصاص والبرتقالة ... الخ .

(٢٣) ديوان ابن خفاجة : ص ١٥٥-١٥٦.

الصور التشخيصية جمالا ، ما أسبغته عليها الألوان التي أوحت بها ا لأزهار : السوسن والنرجس والسندس .

ولحب الشاعر للطبيعة ، بكل تجلياتها ، وتماهيه الظاهر مع ظواهرها ، كان من المتوقع أن تتضمن صوره التشخيصية ألوانا من (الإسقاط)[٢٤] الذي يتجلى عادة في ثنايا هذه الصور وما تحمله من معانٍ ، لكنه غاب أو كاد .

وربما يعود سبب غياب الإسقاط أو ندرته إلى ظاهرة فنية واضحة ، في الشعر الخفاجي ، هي قيام القصيدة ، في هذا الشعر ، على وحدة البيت الذي لا يتسع عادة للإفاضة في المعنى. والإسقاط معنى مضاف إلى الصورة التشخيصية ، إذ يمثل في الغالب مسوّغا لحدوث التشخيص أو مسببا له ، وفي هذا إضافة.

وفي ملاحظة الإسقاط في شعر ابن زيدون ، نجد مصداقية الافتراض المذكور ، فالمعنى في الصور التشخيصية المتضمنة للإسقاط فيه يمتد إلى مساحة تتجاوز البيت ، على نحو ما نجده في الإسقاط المتضمن في هذين البيتين[٢٥] :

---

[٢٤] الإسقاط : كان من نتائج حب الشاعر للطبيعة ، وتماهيه مع موجوداتها أن أخذ يسبغ عليها صفات الإنسان وأفعاله وتصرفاته ، فكان التشخيص بكل تجلياته وجمالياته ، وقد نتج عن التشخيص والهيام بالطبيعة ومظاهرها أن أخذ الشاعر يسبغ على مفردات الطبيعة أحاسيسه ، وما يستشعره من فرح وحزن وشوق وحنين ، حتى بدأ يشعر أن الطبيعة تشاركه هذه الأحاسيس ، وتبادله هذه المشاعر ، فتأسى لحزنه وتفرح لسعادته ، أي أنه أسقط مشاعره على موجوداتها.

[٢٥] ديوان ابن زيدون : تحقيق علي عبد العظيم ، الكويت ، ٢٠٠٤ ، ص ١٦٢.

إنــي ذكرتــك بــالزهراء مشــتاقا　　والأفق طلقٌ ومرأى الأرض قد راقا

وللنســيم اعــتلال فــي أصــائله　　كأنمــا رقّ لــيَ فاعتــل إشــفاقا

ففــي الصــورة التشخيصــية للنســيم تســويغ وتســبيب لعلــة النســيم ومرضــه ، يتمثل بتعاطفه ورقته وإشفاقه على الشاعر ، حتى اعتل تعاطفا ورقةً ، فالمساحة المتاحة في البيتين مهدت للمعنى أن يمتد ويتسع للإسقاط .

وتصوّر قصيدة الجبل ، في بعض مشاهدها ، حالة فريدة من حالات الإسقاط ، مكوّنة من مجموعة من تشكيلات صورية قائمة على التشخيص المهيّأ للتعبير عن أحاسيس الشاعر وعواطفه ومشاعره ، بل إن الشاعر ذهب إلى أكثر من ذلك ، إذ استغل ما أسبغه على الجبل من الصفات الآدمية ، ليحمله رؤاه وأفكاره وتأملاته في الحياة والناس وطبائعهم وأنماط سلوكهم ، فنهض الجبل بهذه المهمة التي أسقطها الشاعر عليه . والأبيات التي يظهر فيها الإسقاط في صوره التشخيصية تجري على هذا النحو[٢٦] :

وأرعــن طمــاح الذؤابــة بــاذخ　　يطــاول أعنــان الســماء بغــارب

وقــور علــى ظهــر الفــلاة كأنــه　　طــوال الليــالي مُفكــر بالعواقــب

يلـوث عليـه الغـيم سـود عمـائم　　لهـا من وميض البرق حمرُ ذوائب

أصخت إليه وهو أخرس صامتٌ　　فحــدثني ليــل الســرى بالعجائــب

وقــال إلــى كـم كنـت ملجـأ قاتـل　　ومــوطن أواهٍ تبتــل تائــب

وكـم مـرَّ بـي مـن مـدلج ومـؤوب　　وقــال بظلــي مــن مَطــي وراكــب

ولاطـم مـن نكـب الريـاح معـاطفي　　وزاحـم مـن خضـر البحـار غـواربي

فمـا هـو إلاّ أن طـوتهم يـد الـردى　　وطـارت بهـم ريـح النـوى والنوائـب

---

(٢٦) ديوان ابن خفاجة .

فما خفق أيكي غير رجعة أضلع ولا نوح ورقي غير صرخة نادب
وما غيض السلوان دمعي وإنما نُزِفتُ دموعي في فراق الصواحب

ويمهد الشاعر لنهوض الجبل بهمة التعبير عن حالته النفسية ، بجعله وقورا ، لكي تُسمع حكمته ، وجعله مفكرا بعواقب الأمور تأكيدا لحكمته ولأنه لا ينطق عن هوىً ، وإنما عن تفكير مسبق ، وتتويجا لهذه الصفات جعله مرتديا عمامة سوداء ألبسته إياها الغمائم السود ، وهنا صورة تشخيصية للغيوم أيضا . والآن أصبح هذا الجبل جديرا بالحديث ، وأصبح من واجب الشاعر أن يستمع إليه . وهذه الأجواء مساعدة على أن يحكي الجبل انطباعات الشاعر ويسرد تأملاته ، إذ يحكي العجائب (فحدثني ليل السرى بالعجائب) ، بعد أن استمعتُ إليه (أصخت إليه) . وكل هذا لن يتم دون تشخيص الجبل . ثم يبدأ الجبل بسرد ذكرياته العجيبة ، وما مرَّ به من ناس أخلاط فتلة ومتبتلين ، نادمين وتائبين ، وكم تعرّض للكوارث ، حتى صار من الطبيعي أن تضطرب أضلعه لشدة ازدحام العواطف فيها ، وأن تنوح حمائمه لتندب حظه العاثر ، أما ما يُرى من غياب الدمع في عينيه ، فهو نتيجة لكثرة ما ذرف من دموع على من فقدهم من الأحباب والصحاب . وهكذا هي حال الدنيا ، كما رواها الجبل نيابة عن الشاعر.

لقد غلّفت المشاعر الحزينة ، التي يعانيها الشاعر ، الصور التشخيصية للجبل ، بعد أن أسقطها الشاعر عليه . ولقد اختلط التشخيص بالإسقاط ، ليرسما هذه الصور المؤثرة والجميلة .

ومن مكملات قصد (التشخيص) وهدفه ، في هذا المشهد ، وهو إسباغ صفات (الآدمية) على الجبل ، اعتماد الحوار معه ، فالحوار تصريح بأنسنة المحاور . والصور التشخيصية للجبل معروضة بأسلوب حواري . وهذا الأسلوب ملحوظ في صور الشاعر[٢٧].

ومن هذا النادر الذي يلمح فيه الإسقاط ما ورد في هذه الأبيات[٢٨] :

آه من فرقة لغير تلاقٍ ... آه من دار لا يجيب صداها

لست أدري ومدمع المزن رطب ... أبكاها صبابة أم سقاها

فتعاليّ يا عين نبكِ عليها ... من حياة إن كان يغني بكاها

فالتشخيص في مدمع المزن ، فنسبه المدمع الرطب إلى السحابة الماطرة منحتها الحياة . أما الإسقاط فيتأتى من أن البكاء جاء عن صبابة مبعثها التعاطف والمحبة ، والمزن لا تعاني الصبابة ، فالذي يعانيها الشاعر الذي أسقط عواطفه على المزن ، وجعلها تبكي صبابة نيابة عنه ، يظهر ذلك أيضا في قوله : (فتعالي يا عين نبكِ عليها) ، فهذا التعبير يعني أن الشاعر أخذ يشارك المزن البكاء ، وهنا تشترك العواطف ، وتمتزج ، مما ييسّر عملية إسقاط الشاعر عواطفه على موجودات الطبيعة ، وقد أتاح

---

[٢٧] يظهر الحوار ، على سبيل المثال ، في خطاب ابن خفاجة للبرق ، في الصور التشخيصية من قصيدته الرائية :

ولقد أقول البرق ليل هاجني ... فمسحت عن طرق به مستعبر

اقرا على الجذع السلام وقل له ... سقيّت من سيل الغمام الممطر

بيني وبينك ذمة مرعيّة ... فإذا تتوسيت الأذمة فاذكر

[٢٨] ديوان ابن خفاجة ، ص ٣٦٥.

امتداد المعنى على مدى الأبيات الثلاثة للشاعر أن يمد المعنى بإضافة تضمنت الإسقاط .

وفي البيتين الآتيين يُلمح شيء من الإسقاط ، يقول الشاعر مُسقطا مشاعره على النيلوفلر[٢٩] :

ونيلوفر لم يدرِ ما مسُّ حُرْقةٍ بحب ولا ما لوعَةٌ وغرامُ

يهبُ مع الإصباح من سِنةِ الكرى ويطبق ليلا جفنه فينام

أما التشخيص ، فواضح في خلو ورد النيلوفلر من حرقة الحب ، وعدم معاناته لوعة الغرام ، وهذه المشاعر إنسانية يكابدها الشاعر ، وواضح أيضا في استيقاظ النيلوفر من نومه صباحا ، بعد أن كان نائما في الليل ، فهو خلو من المعاناة ، في حين يحرم الشاعر هذه النعمة التي تمتع بها النيلوفلر ، فهو يحسده عليها ، ويتهمه ضمنا بأنه يتركه وحده يعاني ، فكأنه يحمله وزر معاناته ، لأنه تركه وحيدا .

والإسقاط يُغلِّف الصور التشخيصية في وصف الشاعر للحمامة[٣٠] :

وهاتفة في البان تملي غرامها علينا وتتلو من صبابتها صُحفا

عجبتُ لها تشكو الفراق جهالةً وقد جاويت من كل ناحية إلفا

ويُشْجي قلوب العاشقين أنينها وما فهموا مما تغنت به حرفا

ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبستْ طوقا ولا خضبتْ كفا

المشهد برمته قائم على الصور التشخيصية للحمامة ، فكل صورها مشخصة ، حتى ليمكن القول إنها رمز لامرأة بعينها ، أو إن الشاعر تماهى

---

[٢٩] ديوان ابن خفاجة ، ص ٣٦٢.

[٣٠] ديوان ابن خفاجة ، ص ٣٧٠.

معها إلى حد أنه عاملها كحبيبة تدعي الهيام وتشكو الصبابة. فهي تتلو من شواهد صبابتها وغرامها صحفا ، ثم تشكو ألم الفراق ، كما تشكو الحبيبة التي فارقها حبيبها ، إلى حد أن الشاعر يعجب لسلوكها ، فهي كثيرة الأحباب يحيطونها من كل جانب ، غير أنها تقنع الذين يعرفون معنى الفراق وتحزنهم بأنينها وبكائها على أنهم جديرون بأن يراجعوا أنفسهم فإنها لو كانت صادقة لما لبست قلادة في جيدها ، ولما خضبت كفها بالحناء.

والإسقاط واضح ، فهو يصور حال حبيبة مراوغة تدعي الفراق ، في وقت تعاشر فيه من الأصدقاء الكثر ، ما يكذب دعواها. فهذا إسقاط ذكي وماهر لحالة الشاعر وموقف حبيبته منه.

إن أثر الطبيعة في شعر ابن خفاجة واضح ، فصوره ، وأكثرها تشخيصي ، مشكّلة من التقاء الإنسان بمفردات الطبيعة ، في نسيج لغوي متقن ، يلعب الخيال دوره في نسجه وفي اختيار صيغة الجمع بين مفردة الطبيعة والإنسان ، أو إحدى لوازمه ، لتكون الصورة ، فهذه بعض مفردات الطبيعة تحتشد ، في هذه الصورة القائمة على التشخيص ، يقول يصف خرقا وهو أرض قفراء واسعة تخترق السهول الممتدة[٣١] :

بخرق لقلب البرق خفقة روعةٍ   به ولجفن النجم فيه سهادُ

سحيق فلا غير الرياح ركائبُ   هناك ولا غير الغمام مَزادُ

فعماد الوصف هنا صورتان تشخيصيتان ، الأولى خفقات قلب البرق ، خوفا من سعة الخرق وامتداده ، والثانية سهاد جفن النجم.

---

[٣١] ديوان ابن خفاجة ، ص ١٣٢.

والصورتان تشترك الطبيعة والإنسان في تشكيلهما . واللمسة الإنسانية ملموسة في الصورة ، من حيث إنها تعبّر عن الهلع الذي ينتاب الشاعر ، وهو يخترق هذا القفر الموحش ، والسهاد الذي يلازمه ، تحسبا لمفاجآت هذه المفازة. والصور التي من هذا القبيل كثيرة عنده.

وصور تمدّح الشاعر بشجاعته ، وكثرة اجتيازه الفيافي ، كثيرة عنده ، وافتخاره بألفة هذه الأجواء واعتياده على مصاعبها ، يتيحان له التقاط الكثير من مشاهد الطبيعة ، ليصوغ منها صوره التشخيصية .

وصور الطبيعة هذه توفر له فرصة تكوين معجم شعري ثري ، قوامه ما يتشكل من تفاعل الطبيعة والإنسان من مفردات وتعابير ، فلولا هذا التماهي مع الطبيعة لم يتح للشاعر استحضار كل هذه الأسماء والصفات لتغني معجمه .

وإذا كان ابن زيدون قد وجد حبيبته في مفاتن الطبيعة ، فحين تغيب الحبيبة يستحضرها في الوردة والأغصان والبرق والنسيم ، فإن ابن خفاجة وجد نفسه في الطبيعة : جبالها وليلها ونهارها ووديانها وأنهارها . فالطبيعة تعكس مخايل الشاعر وأحاسيسه وعواطفه وتجاربه في الحياة . فالطبيعة ومفاتنها في شعر ابن خفاجة مؤنسنة في الحبيبة . وصفاتها ليست أكثر حيوية وحركة من الطبيعة مؤنسنة في صفات الرجل المستقاة من ابن خفاجة نفسه ومن غيره .

ثم إن ابن خفاجة يُنيب الطبيعة لتحكي عنه ما يريد ، ولتعبر عن تجاربه ، أكثر مما يصورها تأسى لأحزانه وتبكي لمآسيه.

وملحظ آخر جدير بالاهتمام ، يتمثل في أن الطبيعة تظهر ، في شعر ابن خفاجة ، صديقا وقورا عركته التجارب ، أكثر مما تظهر حبيبة فاتنة تسد غيبة المرأة التي غابت عنه أو هجرته. لذا فالتشخيص في صوره ، على الرغم من إحكام صياغته وروعة نسجه ، ليس مفعما بالعواطف الجياشة المشبوبة بمستوى عواطف ابن زيدون ، على الرغم من توافر هذه العواطف ومثولها في جمله الشعرية وتشكيلاته الصورية.

المصادر :

- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، طبعة ١ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٧.
- إبراهيم سلامة : تيارات أدبية ، القاهرة ، ١٩٥١.
- إسماعيل سعد شلبي : البيئة وأثرها في الشعر ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٢.
- أوستين وارين ، ورينه وليك : نظرية الأدب ، ترجمة محيي الدين صبحي وحسام الخطيب ، القاهرة ١٩٦٢.
- جابر عصفور : الصورة في التراث النقدي والبلاغي ، ١٩٧٤.
- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، ط١ ، دار العلم للملاين ، بيروت ، ١٩٧٩.
- جودة الركابي : الطبيعة في الشعر الأندلسي ، ط٢ ، دمسق ، ١٩٧٠.
- جورج ليكوف : النظرية المعاصرة للاستعارة ، ترجمة طالرق النعمان ، مجلة إبداع ، عدد١٣ ، ٢٠١٠.
- حازم القطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تونس ، ١٩٩٦.
- ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، تحقيق سيد غازي ، ط٢ ندار المعارف، الاسكندرية ، ١٩٧٩.
- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، طبعة ١ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٦٧.
- سي.دي.لويس : الصورة الشعرية ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري سليمان وحسن إبراهيم ، العراق ، ١٩٨٧.

- صلاح الدين الصفدي : الوافي بالوفيات ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣.
- عاهد ماضي : ألفاظ الألوان في العربية ، دراسات لغوية ، دمشق ٢٠٠٠م .
- عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق هـ .ريتر ، وزارة المعارف ، استانبول ، ١٩٤٥.
- عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٤.
- عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعرأبي تمام ، إربد ، ط الأولى ، ١٩٨٠.
- عزالدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر وقضاياه الفنية والمعنوية ، بيروت ، ١٩٨١.
- عمرو بن بحر (الجاحظ) : الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣. ٣/١٣٢.١٣١ ، ١٩٣٨.
- علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، طبعة دار الاندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨٠.
- مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ .
- قاسم حسين صالح : سيكولوجية اللون والشكل : بغداد ، دار الرشيد ١٠٨، ١٩٨٢.
- نويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق جاسبار روميرو ، الطبعة الأولى ، غرناطة ، ج١ ، ط١ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٨/٢٣.

- نصر حامد أبو زيد ، وسيزا قاسم : مدخل إلى السيميوطيقيا ، القاهرة ، (د.ت).
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥.

الدوريات :

- حسين يوسف خريوش : " ابن خفاجة قصيدة الجبل ، دراسة نصية" ، مجلة المنارة ، م (١) ، العدد الأول ، الأردن ، ١٩٩٦.
- جورج لَيكوف : النظرية المعاصرة للاستعارة ، ترجمة طارق النعمان ، مجلة إبداع ، عدد١٣ ، ٢٠١٠.

الدَّرسُ النَّحوِيُّ عِنْدَ الخَطَّابِيِّ
فِي كِتَابِهِ
غَرِيْبِ الحَدِيْثِ

الدكتور عَبْدِ الكَرِيم مُصْطَفَى مُدْلِج
كُلِّيَّةُ الدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ بِدُبَي

مُلَخَّصٌ :

عُنِيَ هَذَا البَحْثُ بِأَبْرَزِ المَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي احْتَجَنَهَا كِتَابُ غَرِيبِ الحَدِيثِ لِأَبِي سُلَيمَانَ الخَطَّابِيِّ ، فَقَدْ تَنَاوَلْتُ هَذِهِ المَسَائِلَ بِالبَحْثِ وَالدَّرسِ وَالتَّنْقِيرِ ، فَقَلَّبْتُهَا عَلَى وُجُوهِهَا الإِعْرَابِيَّةِ المُحْتَمَلَةِ ، وَبَيَّنْتُ رَأْيَ الخَطَّابِيِّ فِيهَا ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَتَفَهَّمَ مَذْهَبَهُ النَّحْوِيَّ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ تَطَرَّقَ البَحْثُ إِلَيْهَا.

أَمَّا المَسَائِلُ النَّحْوِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ مَوْضِعَ البَحْثِ فِي هَذَا السِّفْرِ القَيِّمِ فَهِيَ :

إِجْرَاءُ القَوْلِ مجْرَى الظَّنِّ ، وقَلْبُ الكَلَامِ ، ونَعْتُ المُؤَنَّثِ ، وإِضْمَارُ (لَا) وَإِعْمَالُهَا ، ونَعْتُ الفَاعِلِ بِالمَصْدَرِ ، وتَذْكِيرُ الاسْمِ العَلَمِ المُؤَنَّثِ ، ودُخُولُ الأَلِفِ وَاللَّامِ فِي الأَسْمَاءِ ، والتَّبْرِئَةُ فِي المَعْرِفَةِ ، ومَجِيءُ (أَوْ) بِمَنْزِلَةِ وَاوِ العَطْفِ ، ووُقُوعُ (لَا) فِي مَاضِي الفِعْلِ بِمَعْنَى (لَمْ) ، وإِعْرَابُ مَا كَانَ مِنَ الوَاحِدِ عَلَى بِنَاءِ الجَمْعِ ، وإِعْرَابُ (لُكَع).

وَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْ أَسْرَارِ مَا غَمِضَ مِنْ هَذِهِ المَسَائِلِ وَأُجَلِّيَ ذَلِكَ لِلْقَارِئِ الكَرِيمِ ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَالفَضْلُ للهِ تَعَالَى الَّذِي أَعَانَ وَسَهَّلَ وَيَسَّرَ ، وَإِنْ كَانَتِ الأُخْرَى فَاللَّائِمَةُ عَلَى عَجْزِي وَتَقْصِيرِي ، وَلَكِنْ حَسْبِي أَنَّنِي سَعَيْتُ. وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ ، وَهُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ...

المُقَدِّمَةُ :

مُؤَلِّفُ كِتَابِ غَرِيبِ الحَدِيثِ هُوَ أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الخَطَّابِ الخَطَّابِيُّ البُسْتِيُّ [1] ، وُلِدَ فِي مدينة (بُسْت) ، وَهِيَ بَلْدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ (كَابل) سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِئَةٍ لِلْهِجْرَةِ [2] ، وَبِهَا نَشَأَ وَتَلَقَّى تَعْلِيمَهُ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مُحِبًّا العِلْمَ ، مُتَنَقِّلًا فِي البُلْدَانِ طَالِبًا تَحْصِيلَهُ.

زَارَ بَغْدَادَ وَالبَصْرَةَ وَالحِجَازَ وَخُرَاسَانَ ، وَنَهَلَ مِنْ مَعِينِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، فَأَصْبَحَ عَلَمًا مِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ ، يُشَارُ إِلَيْهِ بِالبَنَانِ ؛ لِمَا يَتَحَلَّى بِهِ مِنْ أَدَبٍ ، وَزُهْدٍ ، وَوَرَعٍ ، وَعِلْمٍ ، وَتَدْرِيسٍ ، وَتَأْلِيفٍ ، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى مَوْطِنِهِ ، حَيْثُ أَتَاهُ اليَقِينُ بِبَلَدِهِ (بُسْت) سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ

---

[1] ينظر في ترجمته ومصادرها :

معجم الأدباء : ٢٤٦/٤ ، ٢٦٨/١٠ ، وإنباه الرواة : ١٢٥/١ ، ووفيات الأعيان : ٢١٤/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٣/١٧ ، والوافي بالوفيات : ٣١٧/٧ ، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة : ٧٣ ، وبغية الوعاة : ٥٢٧/١ ، وغريب الحديث لأبي سليمان الخطابي ، دراسة لغوية : ١٣-٢٣.

[2] ينظر : معجم الأدباء : ٢٤٩/٤.

لِلْهِجْرَةِ ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ خَلْفَهُ إِرْثًا عِلْمِيًّا طَيِّبًا ، وَكَانَ مِمَّا تَرَكَهُ كِتَابُهُ القَيِّمُ (غَرِيبُ الحَدِيثِ) .

وَيُعَدُّ كتابُهُ هَذَا وَاحِدًا مِنْ أُمَّاتِ كُتُبِ غَرِيبِ الحَدِيثِ ، وَأَحَدَ أَعْمِدَتِهَا ، وَثَالِثَةَ الأَثَافِيّ فِيهَا ، بَعْدَ كِتَابَي أَبِي عُبَيْدٍ (ت٢٢٤هـ) ، وَابْنِ قُتَيبَةَ (ت٢٧٦هـ) المُصَنَّفَةِ فِي هَذَا البَابِ ؛ فَقَدْ احْتَلَّ هَذِهِ المَكَانَةَ المَرْمُوقَةَ؛ لِمَا حَوَاهُ مِنْ مَادَّةٍ عِلْمِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ وَنَحْوِيَّةٍ ، وَأَخَذَ اللَّاحِقُونَ بِهِ يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِهِ الصَّافِي ، وَيَقْتَفُونَ أَثَرَهُ ، وَيَسِيرُونَ عَلَى إِثْرِهِ .

فَهُوَ كِتَابٌ مُمْتِعٌ مُفِيدٌ ، وَفِي غَايَةِ الحُسْنِ وَالبَلَاغَةِ ؛ لِذَلِكَ أَكْثَرَ العُلَمَاءُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، وَالإِفَادَةِ مِنْهُ ، فِي ضَبْطِ اللُّغَةِ ، وَمَعْرِفَةِ مَعَانِي الأَلْفَاظِ الغَرِيبَةِ .

وَالمُتَتَبِّعُ سِيرَةَ هَذَا الرَّجُلِ ، وَالمُطَّلِعُ عَلَى كِتَابِهِ هَذَا ، يَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّهُ أَمَامَ عَالِمٍ فِطَحْلٍ ، مُولَعٍ بِلُغَةِ العَرَبِ وَآدَابِهَا ، مُتَمَكِّنٍ مِنْ نَاصِيَتِهَا ، عَارِفٍ بِمَذَاهِبِ النُّحَاةِ ، وَأَسْرَارِ صِنَاعَةِ الإِعْرَابِ فِيهَا .

وَقَدْ ضَمَّ الكِتَابُ بَيْنَ دُفَّتَيْهِ جُمْلَةً صَالِحَةً مِنَ المَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ ، يَحْسُنُ دِرَاسَتُهَا وَالوُقُوفُ عَلَى دَقَائِقِهَا ؛ لِذَلِكَ جَمَعْتُهَا ، وَلَمَمْتُ شَعْثَهَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ؛ لأَقِفَ عَلَى آرَاءِ الخَطَّابِيِّ النَّحْوِيَّةَ ، وَأُبَيِّنَ مَذْهَبَهُ النَّحْوِيَّ مَا اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلا .

وَسَأَعْرِضُ لِأَبْرَزِ المَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي سَتَكُونُ مَوْضُوعَ الدِّرَاسَةِ ، وَفْقًا لِتَسَلْسُلِ مَجِيئِهَا فِي الكِتَابِ ، وَهِيَ :

- إجْرَاءُ القَوْلِ مجْرَى الظَّنِّ .
- قَلْبُ الكَلَامِ .
- نَعْتُ المُؤَنَّثِ .
- إضْمَارُ (لَا) وَإعْمَالُهَا .
- نَعْتُ الفَاعِلِ بِالمَصْدَرِ .
- تَذْكِيرُ الاسْمِ العَلَمِ المُؤَنَّثِ .
- دُخُولُ الألِفِ وَاللَّامِ فِي الأَسْمَاءِ .
- التَّبْرِئَةُ فِي المَعْرِفَةِ ، ومَجِيْءُ (أَوْ) بِمَنْزِلَةِ وَاوِ العَطْفِ .
- وُقُوعُ (لَا) فِي مَاضِي الفِعْلِ بِمَعْنَى (لَمْ) .
- إعْرَابُ مَا كَانَ مِنَ الوَاحِدِ عَلَى بِنَاءِ الجَمْعِ .
- إعْرَابُ (لُكَع) .

المَسَائِلُ النَّحْوِيَّةُ

*** إِجْرَاءُ القَوْلِ مجْرَى الظَّنِّ :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتًا بِاللَّيْلِ ، يَعْنِي رَجُلًا يَقْرَأُ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ : « أَتَقُولُهُ : مُرَائِيًا » ، ثُمَّ عَلَّقَ الخَطَّابِيُّ عَلَى ذَلِكَ بِقَولِهِ : (أَتَقُولُهُ : بريد أَتظنُّه ، قَالَ الشاعر :

مَتَى تَقُولُ القُلُصَ الرَّوَاسِمَا *** يَلْحقْنَ أُمَّ عَاصِمٍ وَعَاصِمَا[٣]

أيْ : مَتَى تَظُنّ القُلُصَ تَلْحَقُهُمَ ، وَلِذَلِكَ نَصَبَ القُلُصَ)[٤].

وَالعَرَبُ تَجْعَلُ مَا بَعْدَ القَوْلِ مَرْفُوعًا عَلَى الحِكَايَةِ إِذَا كَانَ كَلَامًا ، أَيْ : مَا بَعْدَ القَوْلِ لَا يَكُونُ مَرْفُوعًا عَلَى الحِكَايَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ جُمْلَةً مُسْتَقِلَّةً ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) : (وَاعْلَمْ أَنَّ (قُلْتُ) إِنَّمَا وَقَعَتْ فِي كَلَامِ العَرَبِ عَلَى أَنْ يُحْكَى بِهَا ، وَإِنَّمَا تَحْكِي بَعْدَ القَوْلِ مَا كَانَ كَلَامًا ، لَا قَوْلٌ ، نَحْوُ : (قُلْتُ : زَيْدٌ مُنطَلِقٌ) ؛ لِأَنَّهُ يَحْسُنُ أَنْ تَقُولَ : (زَيْدٌ مُنطَلِقٌ) ، وَلَا تَدْخُلُ (قُلْتُ) . وَمَا لَمْ يَكُنْ هَكَذَا أُسْقِطَ القَوْلُ عَنْهُ)[٥]. أَيْ : لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِ القَوْلُ .

---

[٣] عُزِيَ البيتُ لِهُدْبَةَ بن خَشْرَمِ العُذْرِيّ في لِسانِ العربِ : ١١/٥٧٥ ، (قول) .

[٤] غريب الحديث للخطّابي : ١/٣٣٥.

[٥] كتاب سيبويه : ١/١٢٢. وينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : ١/٢٢٥.

وَالجُمْلَةُ بَعْدَ القَوْلِ قَدْ تَكُونُ اسْمِيَّةً كَمَا مَثَّلَ لَهَا الخَطَّابِيُّ بِقَوْلِهِ : (قُلْتُ : عَبْدُ اللهِ ذَاهِبٌ ، وَقُلْتُ : إِنَّكَ قَائِمٌ) ، فَالجُمْلَةُ مِنَ المُبْتَدَأِ وَالخَبَرِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَقُوْلِ القَوْلِ .

وَقَدْ تَكُونُ فِعْلِيَّةً ، كَقَوْلِنَا : « قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ »[٦]. فَالجُمْلَةُ مِنَ الفِعْلِ وَنَائِبِ الفَاعِلِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَقُوْلِ القَوْلِ .

فَالقَوْلُ لَا يَعْمَلُ فِي جُزْأَيِ الجُمْلَةِ (الاسْمِيَّةِ والفِعلِيَّةِ) لَفْظًا ، وَإِنَّمَا العملُ يَكُونُ في المَحَلِّ .

أَمَّا إِذَا كانَ القَوْلُ مَسْبُوقًا بِاسْتِفْهَامٍ فَإِنَّ العَرَبَ يُنْزِلُونَهُ مَنْزِلَةَ الظَّنِّ، فَيَقُولُونَ : أَتَقُولُ إِنَّكَ خَارِجٌ ، وَمَتَى تَقُولُ : إِنَّ عَبْدَ اللهِ مُنطَلِقٌ ، أَيْ : تَظُنُّ.

وَاسْتَشْهَدَ الخَطَّابِيُّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ[٧] :

أَمَّا الرَّحِيْلُ فَدُونَ بَعْدَ غَدٍ *** فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا

أَيْ : تَظُنُّ ، بِنَصْبِ الدَّارِ كَأَنَّهُ يَقُولُ : فَمَتَى تَظُنُّ الدَّارَ تَجْمَعُنَا ، وَأَجَازَ سِيْبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) الرَّفْعَ فِي قَوْلِهِ : (الدَّارُ تَجْمَعُنَا) ، فَقَالَ : (وَإِنْ شِئْتَ رَفَعْتَ بِمَا نَصَبْتَ فَجَعَلْتَهُ حِكَايَةً)[٨].

---

[٦] الجامع الصحيح : ١١، كتاب الإيمان ، باب : دعاؤكم إيمانكم . رقم الحديث (٨).

[٧] البيت لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ في ديوانِهِ : ٣٩٣.

[٨] كتاب سيبويه : ١٢٤/١.

وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ القَوْلَ بِمَعْنَى الظَّنِّ كَثِيرٌ فِي العَرَبِيَّةِ ، لَكِنَّ العَرَبَ لَا تُجْرِيْهِ مجْرَى القَوْلِ إلّا بِشُرُوطٍ ، هِيَ[٩] : أَنْ يَكُونَ الفِعْلُ مُضَارِعًا ، وَأَنْ يَكُونَ لِلْمُخَاطَبِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِاسْتِفْهَامٍ ، وَأَنْ لَا يُفْصَلَ بَيْنَ الاسْتِفْهَامِ وَالفِعْلِ بِغَيْرِ ظَرْفٍ ، أَوْ جَارٍّ وَمَجْرُورٍ ، أَوْ مَعْمُولِ الفِعْلِ. وَفِي هَذَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ[١٠] :

وَكَـ (تَظُنُّ) اجْعَلْ (تَقُولُ) إنْ وَلِي *** مُسْتَفْهَمًا بِهِ وَلَمْ يَنْفَصِلِ

بِغَيْرِ ظَرْفٍ أَوْ كَظَرْفٍ أَوْ عَمَلْ *** وَإِنْ بِبَعْضِ ذِي فَصَلْتَ يُحْتَمَلْ

إِذَن : إِذَا جَرَى القَوْلُ مجْرَى الظَّنِّ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهُ لَفْظًا ، فَيَنْصِبُ مَفْعُولَيْنِ. أَمَّا إِذَا لَمْ يَجْرِ القَوْلُ مجْرَى الظَّنِّ فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهُ لَفْظًا ، وَإِنَّمَا العَمَلُ يَكُونُ فِي المَحَلِّ ، فَالجُمْلَةُ بَعْدَ القَوْلِ مِنَ المُبْتَدَأِ وَالخَبَرِ ، أَوْ مِنَ الفِعْلِ وَالفَاعِلِ ، أَوْ مِنَ الفِعْلِ وَنَائِبِ الفَاعِلِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ مَقُوْلِ القَوْلِ .

أَمَّا بَنُو سُلَيْمٍ فَإِنَّهُمْ لَا يُوجِبُونَ الْحِكَايَةَ بَعْدَ القَوْلِ ، وَلَا يَأْخُذُونَ بِالشُّرُوطِ المَذْكُورَةِ ، فَيُجِيزُونَ ذَلِكَ مُطْلَقًا ، وَيُجَوِّزُونَ أَنْ تَقُولَ : قُلْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا. قَالَ سِيبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) : (وَزَعَمَ أَبُو الخَطَّابِ وَسَأَلْتُهُ عَنْهُ غَيْرَ

---

[٩] ينظر : شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك : ١٥٣ ، وشرح ابن عقيل : ٢/٥٨-٥٩ .

[١٠] ألفية ابن مالك : ٩٨ .

مَرَّةٍ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْعَرَبِ يُوثَقُ بِعَرَبِيَّتِهِمْ ، وَهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ ، يَجْعَلُونَ بَابَ قُلْتُ أَجْمَعَ مِثْلَ ظَنَنْتُ)[١١].

* قَلْبُ الكَلَامِ :

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : « زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ». ثُمَّ أَوْضَحَ غَامِضَ الحَدِيثِ بِقَوْلِهِ : (المَعْنَى زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالقُرْآنِ ، فَقَدَّمَ الأَصْوَاتَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي قَلْبِ الكَلَامِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ)[١٢].

وَهَذَا مَا عُرِفَ عَنِ العَرَبُ فِي أَنَّهُمْ قَدْ يَقْلِبُونَ الكَلَامَ عَلَى غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ ، فَيُقَدِّمُونَ مَا وِجْهَتُهُ التَّأْخِيرُ ، ويُؤَخِّرُونَ مَا وِجْهَتُهُ التَّقْدِيمُ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا لَا يُشْكِلُ مَعْنَاهُ مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلْهُ لَبْسٌ ، وَهَذَا مَا عَنْوَنَ لَهُ ابْنُ السَّرَّاجِ (ت٣١٦هـ) فِي أُصُولِهِ بِأَنَّهُ (مِمَّا جَاءَ كَالشَّاذِّ ، وَهُوَ وَضْعُ الكَلَامِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَتَغْيِيرِ نَضدِهِ)[١٣]. وَأَفْرَدَ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ (ت٣٧٧هـ) بَابًا أَسْمَاهُ : (بَابٌ مِمَّا قُلِبَ الكَلَامُ فِيهِ عَنِ الحَدِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ)[١٤].

وَقَدْ مَثَّلَ الخَطَّابِيُّ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الكَلَامِ بِأَمْثِلَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ : (يُقَالُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الحَوْضِ ، أَيْ : عَرَضْتُ الحَوْضَ عَلَى

---

[١١] كتاب سيبويه : ٦٣/١.

[١٢] غريب الحديث للخطّابي : ٣٥٥/١

[١٣] الأصول في النحو : ٤٦٢/٣

[١٤] شرح الأبيات المشكلة الإعراب : ١٢٣.

النَّاقَةِ ... وَاستَوَى العُودُ عَلَى الحِرْبَاءِ ، أيْ : اسْتَوَى الحِرْبَاءُ عَلَى العُودِ[١٥].
قَالَ الشَّاعِرُ[١٦] :

وتُرْكَبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَها *** وتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ

وإنما هُو تَشْقَى الضَّيَاطِرَةُ[١٧] بالرِّمَاحِ)[١٨].

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ العَرَبَ قَدْ يُغَيِّرُونَ فِي مَسْأَلَةِ الإِعْرَابِ ، فَيَنْصِبُونَ الفَاعِلَ ، الَّذِي حَقُّهُ الرَّفْعُ ، وَيَرْفَعُونَ المَفْعُولَ ، الَّذِي حَقُّهُ النَّصْبُ ، وَالَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى هَذَا هُوَ ظُهُورُ المَعْنَى الَّذِي لَا لَبْسَ فِيهِ. لِذَلِكَ نَرَى الخَطَّابِيَّ قَدْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِشْهَادِ بِأَقْوَالِ العَرَبِ شِعْرًا وَنَثْرًا لِهَذِهِ المَسْأَلَةِ ، وَمِمَّا اسْتَشْهَدَ بِهِ مَا ذَكَرَهُ مِنْ قَوْلِ الفرزدق[١٩] :

غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابْنِ أَصْرَم طَعْنَةً *** حُصَيْنٍ عَبِيطَاتُ السَّدَائِفِ والخَمْرُ

وَقَدْ اخْتُلِفَ فِي إِعْرَابِ هَذَا البَيْتِ ، فَذَكَرَ الخَطَّابِيُّ أَنَّهُ (رَوَى الأَثْرَمُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ حَضَرَ يُونُسُ وَالكِسَائِيُّ ، فَأَلْقَاهُ يُونُسُ عَلَى الكِسَائِيِّ ، فَرَفَعَ الكِسَائِيُّ (الطَّعْنَةَ) ، وَنَصَبَ (العَبِيطَاتِ) ، وَرَفَعَ (الخَمْرَ) ، فَقَالَ

---

[١٥] ينظر : أمالي المرتضى : ١/٤٤١-٤٤٢ ، ومغني اللبيب : ٦/٧١٣-٧١٥.

[١٦] البيت لخداش بن زهير كما في : أشعار العامريين الجاهليين : ٣٦.

[١٧] الضَّيَاطِرَةُ جَمْعُ ضَيْطَرٍ وَضَيْطَارٍ : وَهُوَ الجَبَانُ العَظِيمُ الخَلْقِ ، الَّذِي لَا يُحْسِنُ حَمْلَ السِّلَاحِ . وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّخْمُ الَّذِي لَا غَنَاءَ عِنْدَهُ. ينظر : الصحاح : ٢/٧٢١ (ضطر) ، ومقاييس اللغة : ٣/٣٦١ (ضطر) ، وتاج العروس : ١٢/ ٢٩٥ (ضطر) .

[١٨] غريب الحديث للخطّابي : ١/٣٥٥-٣٥٧ .

[١٩] شرح ديوان الفرزدق : ١/٤٢٢ .

يُونُسُ لِلْكِسَائِيِّ : لِمَ رَفَعْتَ (الخَمْرَ) ؟ فَقَالَ : أَرَدْتُ (وَحَلَّتْ لَهُ الخَمْرُ) ، فَقَالَ يُونُسُ : مَا أَحْسَنَ مَا قُلْتَ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ الفَرَزْدَقَ يُنْشِدُهُ ، فَنَصَبَ (الطَّعْنَةَ) ، وَرَفَعَ (العَبِيطَاتِ وَالخَمْرِ) ؛ جَعَلَ الفَاعِلَ مَفْعُولًا وَالمَفْعُولَ فَاعِلًا)[٢٠].

وَظَاهِرُ النَّصِّ يُنْبِئُ بِأَنَّ مَا قَالَهُ الكِسَائِيُّ هُوَ مَا يَجْرِي عَلَى سَنَنِ العَرَبِ فِي أُصُولِ كَلَامِهِمْ ، لِذَلِكَ نَرَاهُ قَدْ رَفَعَ (الطَّعْنَةَ) عَلَى أَنَّهَا فَاعِلُ (أَحَلَّتْ) ، وَنَصَبَ (العَبِيطَاتِ) عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ بِهِ ، وَرَفَعَ (الخَمْرَ) عَلَى أَنَّهَا فَاعِلٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ الفِعْلُ السَّابِقُ المَذْكُورُ ، لَكِنَّ الَّذِي دَفَعَ بِالفَرَزْدَقِ إِلَى قَلْبِ الكَلَامِ عَنْ وَجْهِهِ بِأَنْ جَعَلَ الفَاعِلَ مَفْعُولًا وَالمَفْعُولَ فَاعِلًا ، هُوَ أَنَّ الشِّعْرَ كَانَ مَرْفُوعَ القَوَافِي ، فَاضْطَرَّ الفَرَزْدَقُ إِلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَشْهَدَ الخَطَّابِيُّ لِقَوْلِ الفَرَزْدَقِ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ الجَعْدِيِّ[٢١] :

(كَانَتْ عُقُوبَةَ مَا فَعلْتَ كَمَا *** كَانَ الزِّنَاءُ عُقُوبَةَ الرَّجْمِ

وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا كَانَ الرَّجْمُ عُقُوبَةَ الزِّنَا)[٢٢].

فَقَدْ جَعَلَ الزِّنَا عُقُوبَةَ الرَّجْمِ ، وَكَانَ الوَجْهُ أَنْ يَقُولَ : كَمَا كَانَ الرَّجْمُ عُقُوبَةَ الزِّنَا ، وَهَذَا مِنْ مَقْلُوبِ كَلَامِهِمْ ، إِذْ لَيْسَ يَقَعُ فِي الكَلَامِ لَبْسٌ فَيَخْتَلُّ المَعْنَى .

---

[٢٠] غريب الحديث للخطّابي : ١/٣٥٥-٣٥٧.

[٢١] ديوانه : ١٦٩.

[٢٢] غريب الحديث للخطّابي : ١/٣٥٥-٣٥٧. وينظر : شرح الكافية الشافية : ٢/٦١٢.

وَهَذَا التَّغايرُ (القَلْبُ) قَدْ يَكُونُ ضَرُورَةً كَمَا مَثَّل الخَطَّابِيُّ لَهُ بِقَوْلِ الأَعْشَى السَّابِقِ ، وَقَدْ لَا يَكُونُ ضَرُورَةً كَقِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ﴾ [البقرة : ٣٧] ، بِنَصْبِ ﴿ آدَمَ ﴾ ، وَرَفْعِ ﴿ كَلِمَات ﴾ ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ صَحِيحَةٌ بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ[٢٣].

وَهَذَا التَّعَاقُبُ بَيْنَ الفَاعِلِ وَالمَفْعُولِ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ العَرَبِ[٢٤] ؛ وَيُعَدُّ مِيْزَةً حَسَنَةً امْتَازَتْ بِهَا لُغَتُهُمْ ؛ لَكِنَّهُ يُسْمَعُ وَيُحْكَى ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ.

* **نَعْتُ المُؤَنَّثِ :**

جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ : (وَمَضَيْتُ إِلَى أُخْتٍ لِي نَاكِحٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ) ، ثُمَّ شَرَحَ الخَطَّابِيُّ ذَلِكَ فَقَالَ : (يُرِيْدُ أَنَّهَا ذَاتُ زَوْجٍ ، وَقَدْ تَسقُطُ الهَاءُ في مِثْلِ هَذَا مِنْ نَعْتِ المُؤَنَّثِ إِذَا أَرَدْتَ الحَالَ الرَّاهِنَةَ ، كَقَوْلِكَ : امْرَأَةٌ طَالِقٌ وَحَامِلٌ ، فَإِذَا جَعَلْتَهُ لِلْمُسْتَقْبَلِ ، قُلْتَ : حَامِلَةٌ وَطَالِقَةٌ.

قَالَ الأَعْشَى[٢٥] :

أَجَارَتَنَا بِيْنِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ)[٢٦]

---

[٢٣] وَقَرَأَ البَاقُونَ مِنَ السَّبْعَةِ ﴿ فَتَلَقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ، بِرَفْعِ ﴿ آدَمُ ﴾ ، وَنَصْبِ ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ . ينظر : السبعة في القراءات : ١٥٣ ، والمبسوط في القراءات العشر : ١١٦ ، ومفاتيح الأغاني : ١٠١.

[٢٤] ينظر : أمالي المرتضى : ١/٤٤١-٤٤٢ ، ومغني اللبيب : ٦/٧١٣-٧١٥.

[٢٥] وتمام رِوَايَةِ البيت فِي الدِيوَانِ :

يَا جَارَتِي بِيْنِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ *** كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهْ

ديوانه : ٢٦٣.

[٢٦] غريب الحديث للخطّابي : ١/٤٠٥. وينظر : ما تلحن فيه العامة : ١٢٥ ، وإسفار الفصيح : ٢/٧٨١.

يَبْدُو أَنَّ النَّحْوِيِّينَ (البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ) لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي إِسْقَاطِ الهَاءِ مِنْ آخِرِ الأَوْصَافِ الَّتِي تَكُونُ لِلْمُؤَنَّثِ ، فَقَالُوا : امْرَأَةٌ طَالِقٌ ، وامْرَأَةٌ حَائِضٌ ، وامْرَأَةٌ طَامِثٌ[٢٧] ، وَلَكِنَّ الخِلَافَ كَانَ فِي أَسْبَابِ حَذْفِ الهَاءِ فِيمَا جَاءَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ) مِنَ آخِرِ الوَصْفِ.

وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيهِ الخَطَّابِيُّ فِي شَرْحِهِ الحَدِيثَ الَّذِي جَاءَ فِيهِ : (وَمَضَيْتُ إِلَى أُخْتٍ لِي نَاكِحٍ فِي بَنِي شَيْبَانَ) ، فَذَكَرَ أَسْبَابَ حَذْفِ الهَاءِ فَقَالَ : (يُرِيدُ أَنَّهَا ذَاتُ زَوْجٍ ؛ وَقَدْ تَسقُطُ الهَاءُ في مِثْلِ هَذَا مِنْ نَعْتِ المُؤَنَّثِ إِذَا أَرَدْتَ الحَالَ الرَّاهِنَةَ ، كَقَوْلِكَ : امْرَأَةٌ طَالِقٌ وَحَامِلٌ)[٢٨] ، أي : أَنَّ الحَذْفَ كَانَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَجْرَوْا هَذَا اللَّفْظَ وَأَمْثَالَهُ مَجْرَى النَّسَبِ ، وَلَمْ يُجْرُوهُ عَلَى الفِعْلِ ، وَكَأَنَّهُمْ نَسَبُوا إِلَى تِلْكَ الصِّفَاتِ ؛ وَهَذَا مَا قَالَ بِهِ الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ (ت١٧٥هـ)[٢٩] ، بَيْنَمَا يَرَى الكُوفِيُّونَ (أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لَا حَظَّ فِيهِ لِلْذَّكَرِ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ لِلْمُؤَنَّثِ ، فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى الهَاءِ)[٣٠].

فَالحَذْفُ كَمَا يَرَاه الخَطَّابِيُّ وَالبَصْرِيُّونَ لَا يَكُونُ إِلَا إِذَا أَرَدْتَ بِهِ الحَالَ الرَّاهِنَةَ ، أَمَّا إِذَا أَرَدْتَ المُسْتَقْبَلُ فَلَكَ أَنْ تَأْتِيَ بِالهَاءِ فِي آخِرِ الوَصْفِ ، (قَالَ الأَخْفَشُ وَغَيْرُهُ مِنَ البَصْرِيِّينَ : إِنَّمَا قَالَتِ العَرَبُ : هِنْدٌ حَائِضٌ ، فَذَكَّرُوا (حَائِضًا) ؛ لأَنَّهُمْ أَرَادُوا : هِنْدٌ ذَاتُ حَيْضٍ ، وَلَمْ يُرِيدُوا

---

[٢٧] ينظر : ما تلحن فيه العامّة : ١٢٥ ، وأدب الكاتب : ٢٩٤.

[٢٨] غريب الحديث للخطّابي : ١/٤٠٥.

[٢٩] ينظر : كتاب سيبويه : ٢/٩١.

[٣٠] المذكّر والمؤنّث للفرّاء : ٥٢.

هِنْدٌ حَاضَتْ أَمْسِ ، أَوْ تَحِيضُ غَدًا. قَالُوا : وَلَوْ أَرَدْتَ هَذَا المَعْنَى لأَدْخَلْتَ عَلَيْهِ عَلَامَةَ التَّأْنِيثِ ، كَمَا تُدْخِلُهَا فِي قَائِمَةٍ وَقَاعِدَةٍ)[٣١].

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُم أَرَدُوا : هِنْدٌ ذَاتُ حَيْضٍ الآنَ ، أَيْ فِي الحَالِ الرَّاهِنَةِ ، فَحَذَفُوا عَلَامَةَ التَّأْنِيثِ ، أَمَّا إِذَا أَرَادُوا المُضِيَّ أَوِ الاسْتِقْبَالَ فَعِنْدَهَا يُدْخِلُونَ عَلَامَةَ التَّأْنِيثِ ، فَيَقُولُونَ : (حَائِضَة) ، كَمَا قَالُوا : قَائِمَةٌ وَقَاعِدَةٌ.

وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ الخَطَّابِيَّ قَدْ سَلَكَ طَرِيقَ البَصْرِيِّينَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ ، وَنَأَى بِنَفْسِهِ عَن جَادَّةِ الكُوفِيِّينَ.

* إِضْمَارُ (لَا) وَإِعْمَالُهَا :

جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ سَوَادَةَ بْنَ الرَّبِيعِ قَالَ : أَتَيْتُهُ بِأُمِّي فَأَمَرَ لَهَا بِشِيَاهِ غَنَمٍ وَقَالَ : « مُرِي بَنِيكِ أَنْ يُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ ، أَنْ يُوجِعُوا ، أَوْ يَعْبِطُوا ضُرُوعَ الْغَنَمِ ، وَأْمُرِي بَنِيكِ أَنْ يُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ »[٣٢].

ثُمَّ بَيَّنَ الخَطَّابِيُّ غَرِيبَ الحَدِيثِ فَقَالَ : (وَقَوْلُهُ : « أَنْ يُوجِعُوا » ، مَعْنَاهُ : لِئَلَّا يُوجِعُوا كَقَوْلِهِ : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] ، أَيْ : لِئَلَّا تَضِلُّوا . وَكَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل : ١٥] . وَنَظِيرُهُ فِي الكَلَامِ أَنْ يُقَالَ : لَا تَأْتِ السُّلْطَانَ أَن يُصِيبَكَ

[٣١] المذكّر والمؤنّث لابن الأنباري : ١/١٤٨.

[٣٢] غريب الحديث للخطّابي : ١/٤٤٥.

مَكْرُوهٌ ، وَلَا تَقْرَبِ الأَسَدَ أَنْ يَفْتَرِسَكَ ، وَيَنْتَصِبُ عَلَى إِضْمَارِ الحَذَرِ أَوِ الخَوْفِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا تَقْرَبْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَكَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ)[٣٣].

ذَهَبَ الكُوفِيُّونَ[٣٤] إِلَى أَنَّ (الَّلامَ ، وَ لَا) يُضْمَرَانِ فِي طَرَفَيْ (أَنْ) فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ وَمَا شَاكَلَهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ اسْتَنْكَرَهُ البَصْرِيُّونَ[٣٥] ، فَلَمْ يُجِيزُوا الإِضْمَارَ فِي مَوْضِعٍ مِنَ هَذِهِ المَوَاضِعِ.

وَذَهَبَ البَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّ مُضَافًا هَاهُنَا مَحْذُوفٌ. (قَالَ أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ [ت٢٨٥هـ] : (لَا) لَيْسَتْ مِمَّا يُحْذَفُ هَهُنَا ، وَلَكِنَّ الإِضَافَةَ هَهُنَا مَعْلُومَةٌ ، فَحَذَفْتَ الأَوَّلَ ، وَأَقَمْتَ الثَّانِي مَقَامَهُ ، المَعْنَى : يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ كَرَاهَةَ أَنْ تَضِلُّوا)[٣٦]. أَيْ : أَنَّكَ حَذَفْتَ المُضَافَ وَهُوَ (كَرَاهَةَ) ، وَأَقَمْتَ المُضَافَ إِلَيْهِ وَهُوَ المَصْدَرُ المُنْسَبِكُ مِنْ (أَنْ تَضِلُّوا) مَقَامَهُ.

وَعَلَى هَذَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُ الحَدِيثِ السَّابِقِ ، بِأَنَّ مَعْنَاهُ : مُرِي بَنِيْكِ أَنْ يُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ ، كَرَاهَةَ أَنْ يُوجِعُوا ، أَوْ كَرَاهَةَ أَنْ يَعْبِطُوا ضُرُوعَ الْغَنَمِ .

وَتَابَعَ الخَطَّابِيُّ ذِكْرَ الوُجُوهِ الإِعْرَابِيَّةِ المُحْتَمَلَةِ فَقَالَ : (وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ إِضْمَارُ (لَا) ، كَأَنَّهُ قَالَ : مُرِي بَنِيْكِ أَنْ لَا يُوجِعُوا ضُرُوعَ الغَنَمِ. وَالعَرَبُ تُضْمِرُ (لَا) وَتُعْمِلُهَا ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ[٣٧] :

---

[٣٣] غريب الحديث للخطّابي : ١/٤٤٥-٤٤٦ .

[٣٤] معاني القرآن للفراء : ١/٢٩٧.

[٣٥] إعراب القرآن للنحاس : ١/٥١١ .

[٣٦] معاني القرآن وإعرابه : ١/٤٣١ .

[٣٧] أَبُو النَّجْمِ العِجْلِيُّ ، وَهُوَ يُوصِي ابْنَتَهُ ظَلَامة ، وَرِوَايَةُ الدِّيوانِ :

أُوصِيكِ أَنْ تَحْمَدَكِ القَرَائِبُ *** لَا يَرْجِعُ المِسْكِينُ ، وَهْوَ خَائِبُ

دِيوانُهُ : ٩١.

أُوصِيكَ أَنْ يَحْمِدَكَ الأَقَارِبُ *** وَيَرْجِعَ المِسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ

يُرِيدُ : وَلَا يَرْجِعَ المِسْكِينُ خَائِبًا)[٣٨].

وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ حَذْفُ (لَا) النَّافِيَةِ ، أَوِ إِضْمَارُهَا فِي جَوَابِ القَسَمِ قِيَاسًا ، إِذَا جَاءَ بَعْدَهَا فِعْلٌ مُضَارِعٌ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٥] ، أَيْ : لَا تَفْتَؤُ. قَالَ سِيبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) : (وَقَدْ يَجُوزُ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ أَنْ تَحْذِفَ (لَا) ، وَأَنْتَ تُرِيدُ مَعْنَاهَا ؛ وَذَلِكَ قَوْلُكَ : وَاللهِ أَفْعَلُ ذَاكَ أَبَدًا ، تُرِيدُ : وَاللهِ لَا أَفْعَلُ)[٣٩].

أَيْ أَنَّ (لَا) قَدْ تَسْقُطُ مِنَ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ القَسَمِ ، وَتَكُونُ مَطْلُوبَةً فِي المَعْنَى، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَالْعَرَبُ كَثِيرًا مَا تَفْعَلُ ذَلِكَ، فَتَقُولُ : جِئْتُكَ أَنْ تَلُومَنِي، بِمَعْنَى : جِئْتُكَ أَنْ لَا تَلُومَنِي[٤٠].

*** نَعْتُ الفَاعِلِ بِالمَصْدَرِ :**

الأَصْلُ فِي النَّعْتِ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا ، وَهُوَ (مَا أُخِذَ مِنَ المَصْدَرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنًى وَصَاحِبِهِ كَاسْمِ الفَاعِلِ وَاسْمِ المَفْعُولِ وَالصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ بِاسْمِ الفَاعِلِ وَأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ)[٤١] ، وَأَنْ يُطَابِقَ النَّعْتُ مَنْعُوتَهُ فِي الإِعْرَابِ وَالتَّعْرِيفِ أَوِ التَّنْكِيرِ ، وَالتَّذْكِيرِ أَوِ التَّأْنِيثِ ، وَالإِفْرَادِ أَوِ التَّثْنِيَةِ أَوِ الجَمْعِ .

---

[٣٨] غريب الحديث للخطّابي : ١/٤٤٦.

[٣٩] كتاب سيبويه : ١/٤٥٤.

[٤٠] ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٢/٥٤.

[٤١] شرح ابن عقيل : ٣/١٩٥.

وَذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ قَالَ : «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ الْكَرَمَ ، فَإِنَّ الْكَرَمَ الرَّجُلُ المُسْلِمُ» ، ثُمَّ شَرَعَ يُبَيِّنُ غَرِيبَ أَلْفَاظِهِ ، فَقَالَ : (قَدْ يُنْعَتُ الفَاعِلُ بِالمَصْدَرِ كَقَوْلِهِمْ : رَجُلٌ عَدْلٌ ، وَرَجُلٌ صَوْمٌ ، بِمَعْنَى صَائِمٌ ، وَنَوْمٌ بِمَعْنَى نَائِمٌ. وَقَدْ يُنْعَتُ بِهِ المَفْعُولُ أَيْضًا ، كَقَوْلِكَ : رَجُلٌ رِضًا ، وَهَذَا دِرْهَمٌ ضَرْبُ الأَمِيرِ ، وَجَاءَنِي الخَلْقُ ، يُرِيدُ المَخْلُوقِينَ. فَإِذَا نَعَتَّ الفَاعِلَ بِالمَصْدَرِ كَانَ الوَاحِدُ وَالجَمِيعُ ، وَالمُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ فِيهِ سَوَاءً. يُقَالُ : رَجُلٌ كَرَمٌ ، وَقَوْمٌ كَرَمٌ ، وَامْرَأَةٌ كَرَمٌ ، وَنِسَاءٌ كَرَمٌ)[٤٢].

وَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا النَّصِّ جُمْلَةُ أُمُورٍ ، وَهِيَ أَنَّ النَّعْتَ قَدْ يَخْرُجُ عَلَى أُصُولِهِ ، فَلَا يُنْعَتُ بِالمُشْتَقِّ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّعْتُ بِالمَصْدَرِ الَّذِي يُشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ ثُلَاثِيًّا غَيْرَ مِيمِيٍّ ، وَأَنْ لَا يُؤَنَّثَ ، وَلَا يُثَنَّى ، وَلَا يُجْمَعَ[٤٣].

وَلَكِنْ مَا تَأْوِيلُ هَذَا النَّعْتِ ، عِلْمًا بِأَنَّ المَصْدَرَ جَامِدٌ؟

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : (هَذَا رَجُلٌ عَدْلٌ ، وَرِضًا ، وَزَوْرٌ ، وَفِطْرٌ ، وَذَلِكَ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ ، عَلَى التَّأْوِيلِ بِالمُشْتَقِّ ، أَيْ : عَادِلٌ ، وَمَرْضِيٌّ ، وَزَائِرٌ ، وَمُفْطِرٌ ، وَعِنْدَ البَصْرِيِّينَ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ ، أَيْ : ذُو كَذَا؛ وَلِهَذَا الْتُزِمَ إِفْرَادُهُ وَتَذْكِيرُهُ ، كَمَا يُلْتَزَمَانِ لَوْ صُرِّحَ بِذُو)[٤٤].

---

[٤٢] غريب الحديث للخطّابي : ٦٦٤/١.

[٤٣] ينظر : شرح المفصل لابن يعيش : ٥٠/٣ ، والمقاصد الشافية : ٦٤٣/٤-٦٤٦.

[٤٤] أوضح المسالك : ٣١٢/٣-٣١٣.

وَهَـذَا يَعْنِـي أَنَّ المَسْـأَلَةَ خِلَافِيَّـةٌ بَـيْنَ النَّحْـوِيِّيْنَ البَصْـرِيِّيْنَ وَالكُوفِيِّينَ[٤٥] ، وَقَدِ اقْتَفَى الخَطَّابِيُّ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ أَثَرَ الكُوفِيِّينَ ، وَسَارَ عَلَى خُطَاهُم ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ المَصْدَرَ يُؤَوَّلُ بِالمُشْتَقِّ ، وَلَا يَأْخُذُ بِرَأْيِ البَصْرِيِّينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ المَصْدَرَ قَدْ نُعِتَ بِهِ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ مَحْذُوفٍ .

* **تَذْكِيرُ الاسْمِ العَلَمِ المُؤَنَّثِ :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الَّذِي جَاءَ فِيهِ «أَنَّ زِيَادَ بْنَ عِلَاقَةَ قَالَ : كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَّا وَرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ شَيْءٌ فَشَجَّهُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ – عَلَيْهِ السَّلَامَ – فَقَالَ[٤٦] :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشِي بِنَعْلٍ فَرْدِ

أَوْهَبَـهُ لِنَهْدَةٍ وَنَهْدِ

لا يُسْبَيَنَّ سَلَبِي وَجِلْدِي

فَقَالَ النَّبِيُّ – عَلَيْهِ السَّلَامَ – : لَا»[٤٧].

---

[٤٥] ينظر : الأصول في النحو : ٣١/٢ ، والخصائص : ٢٥٩/٣ ، وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب : ٩٧٣/١.

[٤٦] الأبيات بلا نسبة في : الفائق في غريب الحديث : ١٠٣/٣ ، وغريب الحديث لابن الجـوزي : ١٨٣/٢، والنهايـة فـي غريـب الحـديث : ٤٢٦/٣ ، و٨٣/٥ ، و١٣٥/٥، ولسان العرب : ٣٣١/٣ (فرد) ، و٤٢٩/٣ (نهد) ، و٦٦٧/١١ (نعل) .

[٤٧] غريب الحديث للخطّابي : ٦٦٩/١.

ثُمَّ عَلَّقَ الخَطَّابِيُّ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ : (بِنَعْلٍ فَرْدٍ) فَقَالَ : (كُلُّ اسْمٍ لَيْسَ فِيْهِ عَلَمُ التَّأْنِيْثِ فَتَذْكِيْرُهُ جَائِزٌ ، كَالسَّمَاءِ ، وَالأَرْضِ ، وَالشَّمْسِ ، وَالنَّارِ ، وَالبِئْرِ ، وَالحَرْبِ ، وَنَحْوِهَا)[٤٨].

وَالَّذِي جَوَّزَ ذَلِكَ أَنَّهُ لا يُوجَدُ فِي الاسْمِ عَلَامَةٌ لِلتَّأْنِيْثِ ، وَأَنَّ التَّذْكِيرَ هُوَ الأَصْلُ ، وَالتَّأْنِيْثُ فَرْعٌ عَلَيْهِ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ ابْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ) : (وَتَذْكِيْرُ المُؤَنَّثِ وَاسِعٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ رَدُّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلٍ. لَكِنَّ تَأْنِيثَ المُذَكَّرِ أَذْهَبُ فِي التَّنَاكُرِ وَالإِغْرَابِ)[٤٩]. وَعِنْدَ فُقْدَانِ الاسْمِ لِعَلَامَةِ التَّأْنِيْثِ ، يُشْكِلُ الأَمْرُ ، فَيُصْبِحُ الذَّهَابُ إِلَى تَذْكِيرِ المُؤَنَّث أَسْهَلَ مِنْ تَأْنِيثِ المُذَكَّرِ؛ لأَنَّ المُذَكَّرَ هُوَ الأَصْلُ[٥٠] ، لِذَلِكَ نَرَى الخَطَّابِيَّ قَدِ اسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الفَرَّاءُ (ت٢٠٧هـ) : (العَرَبُ تَجْتَرِئُ عَلَى تَذْكِيرِ كُلِّ مُؤَنَّثٍ لَيْسَ فِيْهِ عَلَمُ التَّأْنِيْثِ) ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الاسْمَ العَلَمَ إِذَا افْتَقَرَ إِلَى عَلَامَةِ التَّأْنِيْثِ فَقَدْ اقْتَرَبَ مِنَ صُورَةِ التَّذْكِيرِ مِنْ حَيْثُ الرَّسْمُ ، وَعِنْدَهَا تَجْتَرِئُ العَرَبُ عَلَى تَذْكِيرِهِ؛ لِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشِي بِنَعْلٍ فَرْدِ *** أَوْهَبَهُ لِنَهْدَةٍ وَنَهْدِ

فَنَعَتَ النَّعْلَ المُؤَنَّثَةَ بِفَرْدٍ مُذَكَّرٍ ، وَذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى أَنَّ الكَلِمَةَ مِنَ المُؤَنَّثِ المَجَازِيِّ الخَالِي مِنْ عَلَامَةِ التَّأْنِيْثِ ، وَهَذَا كَثِيرٌ عِنْدَ العَرَبِ .

---

[٤٨] غريب الحديث للخطّابي : ١/٦٦٩.

[٤٩] الخصائص : ٢/٤١٥.

[٥٠] ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : ٢/١٠٢.

فَمِنْ أَمْثِلَةِ ذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام : ٧٨] ، وَلَمْ يَقُلْ : هَذِهِ ، فَذَكَّرَ الشَّمْسَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، وَلَمْ يَقُلْ : قَرِيبَةٌ[٥١].

*** دُخُولُ الأَلِفِ وَاللَّامِ فِي الأَسْمَاءِ :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الَّذِي جَاءَ فِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « لَا تَقُلْ : عَلَيْكَ السَّلَامُ ، عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ ، قُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ ».

ثُمَّ شَرَعَ يُبَيِّنُ الفَرْقَ بَيْنَ تَقْدِيمِ لَفْظَةِ السَّلَامِ عَلَى الاسْمِ وَتَأْخِيرِهَا ، وَأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتْ تَحِيَّةَ المَيِّتِ قَدَّمَتْ اسْمَهُ عَلَى الدُّعَاءِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَهَذَا مَا نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٥٢].

ثُمَّ فَصَّلَ القَوْلَ فِي مَعَانِي الأَلِفِ وَاللَّامِ فِي الأَسْمَاءِ ، فَقَالَ : (دُخُولُ الأَلِفِ وَاللَّامِ فِي الأَسْمَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ : لِلتَّعْرِيفِ ، وَالتَّجْنِيسِ ، وَالتَّعْظِيمِ. فَالتَّعْرِيفُ كَقَوْلِكَ : الرَّجُلُ ، وَالمَرْأَةُ . وَالتَّجْنِيسُ كَقَوْلِكَ : الشَّاءُ خَيْرٌ مِنَ الإِبِلِ ، وَالذَّهَبُ خَيْرٌ مِنَ الفِضَّةِ. وَالتَّعْظِيمُ كَقَوْلِكَ : حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ،

---

[٥١] ينظر : كتاب سيبويه : ١/٢٤٠ ، والخصائص : ٢/٤١١ .

[٥٢] ينظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم : ٣/٤٤٨ ، و المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم : ٢/٦٣٦.

وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، ثُمَّ تَقُولُ : الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَالعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ)[٥٣].

ويَبْدُو أَنَّ الخَطَّابِيَّ أَخَذَ بِرَأْيِ سِيبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) فِي تَسْمِيَةِ : (الأَلِفِ وَاللَّامِ) بِهَذَا الاسْمِ ، وَلَمْ يَذْهَبْ مَذْهَبَ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (ت١٧٥هـ) الَّذِي يَرَى (أَنَّ الأَلِفَ وَاللَّامَ اللَّتَيْنِ يُعَرِّفُونَ بِهِمَا حَرْفٌ وَاحِدٌ كَـ (قَدْ) ، وَأَنْ لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا مُنْفَصِلَةً مِنَ الأُخْرَى كَانْفِصَالِ أَلِفِ الاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِهِ : أَأُرِيْدُ ، وَلَكِنَّ الأَلِفَ كَأَلِفِ ايْمِ فِي ايْمِ اللهِ ، وَهِيَ مَوْصُولَةٌ كَمَا أَنَّ أَلِفَ ايْمِ مَوْصُولَةٌ)[٥٤].

أَمَّا مَعَانِي الأَلِفِ واللَّامِ فَقَدْ تَعَدَّدَتْ مَعَانِيهَا عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ ، وَمِنْهَا :

- الَّتِي تَكُونُ لِبَيَانِ الجِنْسِ : وَقَدْ مَثَّلَ لَهَا الخَطَّابِيُّ بِقَوْلِهِ : (الشَّاءُ خَيْرٌ مِنَ الإِبِلِ ، وَالذَّهَبُ خَيْرٌ مِنَ الفِضَّةِ) ، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ (ت٣١٦هـ) : (وَأَمَّا دُخُولُهَا لِلْجِنْسِ فَأَنْ تَقُولَ : أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّيْنَارُ وَالدِّرْهَمُ، لَا تُرِيْدُ دِيْنَارًا بِعَيْنِهِ ، وَلَا دِرْهَمًا بِعَيْنِهِ)[٥٥] ، وَإِنَّمَا تُرِيدُ جِنْسَ الدِّيْنَارِ ، وَجِنْسَ الدِّرْهَمِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر : ٢] ، وَأَرَادَ جِنْسَ الإِنْسَانِ .

- وَالَّتِي تَكُونُ لِلْعَهْدِ : وَقَدْ نَأَى الخَطَّابِيُّ بِذِكْرِهِ عَنْهَا وَتَجَاوَزَهَا ، وَالمَقْصُودُ بِالعَهْدِ هُنَا : ذَلِكَ الأَمْرُ الَّذِي تَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَيْهِ بَيْنَ المُتَكَلِّمِ

---

[٥٣] غريب الحديث للخطّابي : ٦٩٤/١.

[٥٤] كتاب سيبويه : ٦٣/٢.

[٥٥] الأصول في النحو : ١٥٠/١.

وَالسَّامِعِ ، أَوْ أَنَّهُ عُرِفَ بَيْنَهُمَا ، فَهِيَ الَّتِي تَعُودُ إِلَى شَيْءٍ سَابِقٍ مَفْهُومٍ لِكُلٍّ مِنْهُمَا ، فَتَدْخُلُ الأَلِفُ وَاللَّامُ عَلَى ذَلِكَ الاسْمِ المَعْرُوفِ؛ مِنْ أَجْلِ إِفَادَةِ المَعْنَى السَّابِقِ المَنْشُودِ. مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل :١٥ – ١٦].

– وَالَّتِي تَكُونُ لِلتَّعْظِيْمِ : وَهِيَ الَّتِي مَثَّلَ لَهَا الخَطَّابِيُّ بِقَوْلِهِ : (وَالتَّعْظِيْمُ كَقَوْلِكَ : حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، ثُمَّ تَقُولُ : الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَالعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ).

وَالحَقِيقَةُ أَنَّ مَعَانِيَ الأَلِفِ واللَّامِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرَهُ الخَطَّابِيُّ ، وَقَدْ فَصَّلَ المُرَادِيُّ (ت٧٤٩هـ) القَوْلَ فِيهَا ، فَأَبَانَ مُجْمَلَهَا بِقَوْلِهِ : (الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي كَلَامِ العَرَبِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قِسْمًا عَلَى التَّفْصِيلِ ، بِالمُتَّفَقِ عَلَيْهِ وَالمُخْتَلَفِ فِيْهِ. وَهِيَ : العَهْدِيَّةُ ، وَالجِنْسِيَّةِ ، وَالَّتِي لِلْكَمَالِ ، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الجِنْسِيَّةِ ، وَالَّتِي لِلْحَقِيْقَةِ ، وَالَّتِي لِلْحُضُورِ ، وَالَّتِي لِلْغَلَبَةِ ، وَالَّتِي لِلَمْحِ الصِّفَةِ ، وَالزَّائِدَةُ اللَّازِمَةُ ، وَالزَّائِدَةُ لِلضَّرُورَةِ ، وَالَّتِي هِيَ عِوَضٌ مِنَ الضَّمِيْرِ ، وَالَّتِي هِيَ عِوَضٌ مِنَ الهَمْزَةِ ، وَالَّتِي لِلتَّفْخِيْمِ ، وَبَقِيَّةُ الَّذِي ، وَالمَوصُولَةُ ، وَكُلُّهَا عِنْدَ التَّحْقِيقِ رَاجِعَةٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : مُعَرِّفَةٌ ، وَزَائِدَةٌ ، وَمَوْصُولَةٌ)[٥٦].

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الخَطَّابِيَّ ذَكَرَ قِسْمَيْنِ مِنْ أُصُولِهَا : المُعَرِّفَةِ الَّتِي لِلتَّجْنِيسِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ : (الشَّاءُ خَيْرٌ مِنَ الإِبِلِ ، وَالذَّهَبُ خَيْرٌ مِنَ الفِضَّةِ) ، وَالزَّائِدَةِ الَّتِي لِلتَّعْظِيمِ ، كَقَوْلِهِ : (الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَالعَبَّاسُ بْنُ

---

[٥٦] الجنى الداني : ٢٢٣-٢٢٤.

عَبْدِ المُطَّلِبِ) ، وَغَضَّ الطَّرْفَ عَنْ بَقِيَّةِ أَقْسَامِهَا؛ لِأَنَّ شَرْحَ الحَدِيثِ لَا يَتَّسِعُ لِأَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرَ ، وَمَا ذَكَرْتُهُ فِيهِ غُنْيَةٌ.

*** التَّبْرِئَةُ فِي المَعْرِفَةِ :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ عَلِيٍّ (أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِقَضِيَّةٍ شَدِيدَةٍ قَالَ : مُعْضِلَةٌ وَلَا أَبَا حَسَنٍ لَهَا) ، ثُمَّ عَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : (قَوْلُهُ : وَلَا أَبَا حَسَنٍ لَها، نَادِرٌ جِدًّا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّبْرِئَةَ لَا تَقَعُ عَلَى المَعْرِفَةِ ، إِنَّمَا حَقُّهَا فِي النَّكِرَةِ ، كَقَوْلِكَ : لَا بَاكِيَةَ لِحَمْزَةَ ، وَلَا حَامِيَةَ لِلْجَيْشِ.

وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ(٥٧) :

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ)(٥٨)

اسْتَعْمَلَ الخَطَّابِيُّ مُصْطَلَحَ (التَّبْرِئَةِ) ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ كُوفِيٌّ ، وَيُقَابِلُهُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ (نَفْيُ الجِنْسِ) ، وَالمَعْرُوفُ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ البَصْرِيِّينَ أَنَّ (لَا) النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ يَكُونُ اسْمُهَا نَكِرَةً ، وَلَا يَكُونُ مَعْرِفَةً. أَمَّا الحَدِيثُ المَذْكُورُ فَقَدْ جَاءَ اسْمُ (لَا) مَعْرِفَةً ، وَهُوَ قَوْلُهُ : (وَلَا أَبَا حَسَنٍ لَها) ، وَهَذَا نَادِرٌ جِدًّا كَمَا ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ. وَمَعَ هَذِهِ النُّدْرَةِ فَالبَصْرِيُّونَ يَرَوْنَ أَنَّ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مُؤَوَّلٌ بِنَكِرَةٍ . قَالَ سِيبَوَيْهِ (ت١٨٠هـ) : (وَتَقُولُ : قَضِيَّةٌ وَلَا أَبَا حَسَنٍ ، تَجْعَلُهُ نَكِرَةً. قُلْتُ : فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَإِنَّمَا أَرَادَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(٥٧) شَطْرُ بَيتٍ لِلنَّابِغَةِ الذُّبْيَاني ، وَتَمَامُهُ :

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ *** وَتَتَّقِي مَرْبِضَ المُسْتَنْفِرِ الحَامِي

ديوانه : ٢٤٥.

(٥٨) غريب الحديث للخطّابي : ٢/١٩٩-٢٠٠.

فَقَالَ : لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تُعْمِلَ (لَا) فِي مَعْرِفَةٍ ، وَإِنَّمَا تُعْمِلُهَا فِي النَّكِرَةِ ، فَإِذَا جَعَلْتَ أَبَا حَسَنٍ نَكِرَةً حَسُنَ لَكَ أَنْ تُعْمِلَ (لَا) ، وَعَلِمَ المُخَاطَبُ أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ فِي هَؤُلَاءِ المَنْكُورِينَ عليٌّ ، وَأَنَّهُ قَدْ غُيِّبَ عَنْهَا.

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَنْفِيَ كُلَّ مَنْ اسْمُهُ عَلِيٌّ؟ فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَنْفِيَ مَنْكُورِينَ كُلُّهُمْ فِي قَضِيَّتِهِ مِثْلُ عَلِيٍّ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا أَمْثَالَ عَلِيٍّ لِهَذِهِ القَضِيَّةِ ، وَدَلَّ هَذَا الكَلَامُ عَلى أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا عَلِيٌّ ، وَأَنَّهُ قَدْ غُيِّبَ عَنْهَا)[٥٩].

وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مَا سُمِعَ مِمَّا ظَاهِرُهُ إِعْمَالُ (لَا) فِي المعرفَة فَإِنَّهُ مُؤَوَّلٌ بِاعْتِقَادِ تَنْكِيرِهِ ، وَاسْتَشْهَدَ الخَطَّابِيُّ لِهَذَا التَّأْوِيلِ بِقَوْلِ الفَرَّاءِ (ت٢٠٧هـ) : (هَذِهِ مَعْرِفَةٌ وُضِعَتْ فِي مَكَانِ نَكِرَةٍ ، فَأُعْطِيَتْ إِعْرَابَهَا ، قَالَ : وَالمَعْنَى كَأَنَّهُ قَالَ : مُعْضِلَةٌ وَلَا رَجُلَ كَأَبِي حَسَنٍ يُؤْخَذُ عِلْمُهَا مِنْ قِبَلِهِ)[٦٠].

وَلِهَذَا التَّأْوِيلِ عِنْدَ النَّحوِيِّينَ أَكْثَرُ مِنْ وَجْهٍ :

فَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّ هُنَاكَ لَفْظَ (مِثْلِ) قَدْ أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ العَلَمِ ، ثُمَّ حُذِفَ هَذَا المُضَافُ ، وَأُقِيمَ المُضَافُ إِلَيهِ مَقَامَهُ ، وَتَقْدِيرُ الكَلَامِ : قَضِيَّةٌ وَلَا مِثْلَ أَبِي حَسَنٍ لَهَا[٦١].

---

[٥٩] كتاب سيبويه : ١/٣٥٥.

[٦٠] غريب الحديث للخطّابي : ٢/٢٠٠.

[٦١] ينظر : شرح شذور الذهب : ٢٣٧-٢٣٨ ، والتصريح بمضمون التوضيح : ٤/٤٣.

وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنَّ العَلَمَ قَدْ قَامَ مَقَامَ وَصْفٍ اشْتُهِرَ بِهِ ، وَتَقْدِيرُ الكَلَامِ : قَضِيَّةٌ وَلَا فَيْصَلَ لَهَا. فَأَصْبَحَ لَفْظُ أَبِي حَسَنٍ لَهَا (كَالجِنْسِ المُفِيدِ لِمَعْنَى الفَصْلِ وَالقَطْعِ ، كَلَفْظِ الفَيْصَلِ ، وَعَلَى هَذَا يُمْكِنُ وَصْفُهُ بِالمُنَكَّرِ ، وَهَذَا كَمَا قَالُوا : لِكُلِّ فِرْعَوْنٍ مُوسى ، أَيْ : لِكُلِّ جَبَّارٍ قَهَّارٌ)[٦٢]. فَتَقْدِيرُ الكَلَامِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَنَّهُ : لَا شَيْءَ يَصْدُقُ عَلَيْهِ هَذَا الاسْمُ كَصِدْقِهِ عَلَى المَشْهُورِ بِهِ .

* مَجِيءُ (أَوْ) بِمَنْزِلَةِ وَاوِ العَطْفِ :

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ الزُّبَيْرِ (أَنَّهُ قَاتَلَهُ غُلَامٌ فَكَسَرَ الزُّبَيْرُ يَدَيْهِ وَضَرَبَهُ ضَرْبًا شَدِيدًا ، فَمرَّ بِهِ عَلَى صَفِيَّةَ وَهُوَ يُحْمَلُ ، فَقَالَتْ : مَا شَأْنُهُ؟ فَقَالُوا : قَاتَلَ الزُّبَيْرَ فَأَشْعَرَهُ ، فَقَالَتْ[٦٣] :

كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْرَا

أَأَقِطًا أَوْ تَمْرَا

أَوْ مُشْمَعِلًّا صَقْرَا)[٦٤]

---

[٦٢] شرح الرضي لكافية ابن الحاجب : ٨٣٠/١.

[٦٣] الرَّجَزُ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ أُمُّ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ . وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ : كتاب سِيبَوَيْهِ : ٤٨٨/١ ، والمُقْتَضَبُ : ٣٠٣/٣ ، والنهاية في غريب الحديث : ٣٣٥/٤ ، ولسانِ العَرَبِ : ٣٧٢/١١ (شمعل)...

[٦٤] غريب الحديث للخطّابي : ٢٠٩/٢.

ثُمَّ تَابَعَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَهُ بِتِبْيَانِ مَعَانِي الأَلْفاظِ ، فَقَالَ : (وَقَوْلُهَا : (أَوْ تَمْرًا) لَيْسَ بِمَعْنَى الفَصْلِ ، وإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ وَاوِ العَطْفِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ [النور : ٦١] ؛ وَكَقَوْلِهِ : ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان : ٢٤].)[٦٥].

وَاخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي مَجِيءِ (أَوْ) بِمَعْنَى الوَاوِ ، فَبَيَّنَ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّهُ : (حَرْفُ عَطْفٍ ذَكَرَ لَهُ المُتَأَخِّرُونَ مَعَانِيَ انْتَهَتْ إِلَى اثْنَيَ عَشَرَ)[٦٦]. وَمِنْ هَذِهِ المَعَانِي أَنَّهُ يَأْتِي بِمَعْنَى الوَاوِ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ لَبْسٌ ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الكُوفِيُّونَ[٦٧] ، وَاسْتَشْهَدَ لِذَلِكَ الخَطَّابِيُّ بِقَوْلِ جَرِيرٍ[٦٨] :

نَالَ الخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا *** كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

وَالتَّقْدِيرُ : نَالَ الخِلَافَةَ وَكَانَتْ لَهُ قَدَرًا. وَبِقَوْلِ تَوْبَةَ بْنِ الحُمَيِّرِ :

وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ *** لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا[٦٩]

وَالتَّقْدِيرُ : لِنَفْسِي تُقَاهَا وَعَلَيْهَا فُجُورُهَا. أَيْ أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَى الوَاوِ هُنَا[٧٠].

---

[٦٥] غريب الحديث للخطّابي : ٢/٢١٠.

[٦٦] مغني اللبيب : ١/٣٩٨.

[٦٧] ينظر : معاني الحروف للرماني : ٧٩ ، والإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/٤٧٨.

[٦٨] دِيوَانُ جَرِير : ٢/٤١٦.

[٦٩] البيت من شَواهِدِ : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ١٢٤ ، ولسان العرب : ١٤/٥٥ (أوا) ، ومغني اللَّبِيبِ : ١/٤٠٦.

[٧٠] ينظر : رصف المباني للمالقي : ٢١٢.

وَحجَّةُ الكُوفيِّينَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : (إنَّمَا قُلْنا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، وَكَلَامِ العَرَبِ)[٧١]. وَمِمَّا اسْتَشْهَدَ بِهِ الخَطَّابِيُّ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات : ١٤٧] ، وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا مِمَّا اخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِهِ ، ثُمَّ أَوْرَدَ آرَاءَ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ فَقَالَ : (قَالَ أَبُو العَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ (أَوْ) بِمَعْنَى الوَاوِ ، وَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ بِمَعْنَى (بَلْ) ، وَقَالَ قَوْمٌ : أَرَادَ : أَوْ يَزِيدُونَ عِنْدَكُمْ)[٧٢].

وَأَمَّا حجَّةُ البَصْرِيِّينَ فِي عَدَمِ مَجِيءِ (أَوْ) بِمَعْنَى الوَاوِ بِأَنْ قَالُوا : (الأَصْلُ فِي (أَوْ) أَنْ تَكُونَ لِأَحَدِ الشَّيْئَيْنِ عَلَى الإِبْهَامِ ، بِخِلَافِ الوَاوِ وَ (بَلْ) ؛ لِأَنَّ الوَاوَ مَعْنَاهَا الجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ، وَ(بَلْ) مَعْنَاهَا الإِضْرَابُ ، وَكِلَاهُمَا مُخَالِفٌ لِمَعْنَى (أَوْ) ، وَالأَصْلُ فِي كُلِّ حَرْفٍ أَنْ لَا يَدُلَّ إِلَّا عَلَى مَا وُضِعَ لَهُ ، وَلَا يَدُلَّ عَلَى مَعْنَى حَرْفٍ آخَرَ؛ فَنَحْنُ تَمَسَّكْنَا بِالأَصْلِ ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِالأَصْلِ اسْتَغْنَى عَنْ إِقَامَةِ الدَّلِيلِ ، وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الأَصْلِ بَقِيَ مُرْتَهَنًا بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ ، وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا ادَّعَوْهُ)[٧٣]. وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَسْرُدَ أَدِلَّةَ الفَرِيقَيْنِ ، وَأَتَعَمَّقَ فِيهَا أَكْثَرَ مِمَّا ذُكِرَ ، فَقَدْ وَسِعَتْهَا كُتُبُ النَّحْوِ وَالخِلَافِ ، وَمَا ذَكَرْتُهُ فِيهِ غُنْيَةٌ .

---

[٧١] الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/٤٧٨.

[٧٢] غريب الحديث للخطّابي : ٢/٢١٠. وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١/ ٣٨٦.

[٧٣] الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/٤٨٠-٤٨١.

وَالَّذِي يَبْدُو لِي أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الخَطَّابِيُّ وَالكُوفِيُّونَ أَحَقُّ بِالاتِّبَاعِ؛ لِأَنَّ أَدِلَّتَهُمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تُدْحَضَ ، فَقَدْ دَلَّلُوا عَلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيهِ بِأَمْثِلَةٍ كَثِيرَةٍ مِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، وَكَلَامِ العَرَبِ.

أَمَّا مَا ذَكَرَهُ البَصْرِيُّونَ مِنْ أَنَّهُ لا يَدُلُّ حَرْفٌ عَلَى مَعْنَى حَرْفٍ آخَرَ ؛ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ؛ لِأَنَّ مَسْأَلَةَ تَعَاقُبِ الحُرُوفِ ، وَتَبَادُلَ مَعَانِيهَا قَدْ أَقَرَّ بِهَا النَّحْوِيُّونَ ، وَاشْتُهِرَتْ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَأَمْثِلَتُهَا كَثِيرَةٌ عِنْدَ العَرَبِ ، وَمِنْهَا حَرْفُ الجَرِّ (مِنْ) الَّذِي يَأْتِي عَلى وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ[٧٤] ، وَمِنْ هَذِهِ الوُجُوهِ أَنَّهُ يَأْتِي بِمَعْنَى (عَنْ) ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى البَاءِ ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى (فِي) ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى (عَلَى) ، وَغَيْرِهِ مِنَ الحُرُوفِ الأُخْرَى ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلِمَ التَّمَسُّكُ بِالأَصْلِ ، وَالاكْتِفَاءُ بِهِ ، بَعِيدًا عَنِ المَعَانِي الأُخْرَى الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَتَلَبَّسَ الحَرْفَ ، وَتَحلَّ فِيهِ؟

*** وُقُوعُ (لَا) فِي مَاضِي الفِعْلِ بِمَعْنَى (لَمْ) :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَالِهِ فَقَالَ : (فِرْقٌ لَنَا وَذَوْدٌ ، قِيلَ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّمَا سَأَلْنَاكَ عَنْ صَامِتِ المَالِ ، قَالَ : مَا أَصْبَحَ لَا أَمْسَى ، وَمَا أَمْسَى لَا أَصْبَحَ).

ثُمَّ قَالَ : (وَقَوْلُهُ : مَا أَصْبَحَ لَا أَمْسَى ، يُرِيدُ : لَمْ يُمْسِ ، وَقَدْ تَقَعُ (لَا) فِي مَاضِي الفِعْلِ بِمَعْنَى (لَمْ) ، كَقَوْلِهِ[٧٥] :

---

[٧٤] ينظر : الجنى الداني : ٣١٤- ٣٢٣ ، ومغني اللبيب : ٤/١٣٦-١٦٦.

[٧٥] بَيتٌ مِنَ الرَّجَزِ لِأُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ ، وَتَمَامُهُ :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا *** وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

ديوانه : ١١٤.

وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

أَيْ : لَمْ يُلِمَّ بِذَنْبٍ وَلَمْ يُقَارِفْ إِثْمًا. وَقَالَ آخَرُ [٧٦] :

زَنًّا عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ قَتَلَهْ *** فَأَيُّ فِعْلٍ سَيِّئٍ لَا فَعَلَهْ)[٧٧]

أَيْ : لَمْ يَفْعَلْهُ .

وَيَرَى النَّحْوِيُّونَ أَنَّ (لَا) مَعَ الفِعْلِ المَاضِي هِيَ بِمَنْزِلَةِ (لَمْ) مَعَ الفِعْلِ المُسْتَقْبَلِ ، لِأَنَّ (لَمْ) تَنْفِي الفِعْلَ المُسْتَقْبَلَ ، وَتَنْقُلُ مَعْنَاهُ مِنَ الحَاضِرِ أَوِ المُسْتَقْبَلِ إِلَى المُضِيِّ[٧٨] ، نَحْوُ قَوْلِكَ : لَمْ يَقُمْ زَيْدٌ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ مَا قَامَ زَيْدٌ فِي المَاضِي. قَالَ ابْنُ فَارِسٍ : ((لَا) حَرْفُ نَسَقٍ يَنْفِي الفِعْلَ المُسْتَقْبَلَ ، نَحْوُ : لَا يَخْرُجُ زَيْدٌ... وَيَكُونُ بِمَعْنَى (لَمْ) إِذَا دَخَلَ عَلَى مَاضٍ ، كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ [القيامة : ٣١] ، أَيْ : لَمْ يُصَدِّقْ ، وَلَمْ يُصَلِّ)[٧٩].

وَالأَصْلُ أَنَّنَا إِذَا أَرَدْنَا نَفْيَ الفِعْلِ المَاضِي كَانَ النَّفْيُ بِـ(مَا) ، وَلَيْسَ بِـ(لَا)؛ لِأَنَّ (لَا) مَعَ الفِعْلِ المَاضِي تُفِيدُ الدُّعَاءَ ، إِلَّا إِذَا تَكَرَّرَتْ كَمَا جَاءَ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ السَّابِقَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ النَّفْيَ؛ وَالعَرَبُ لَا تَكَادُ تُفْرِدُ (لَا) مَعَ الفِعْلِ المَاضِي حَتَّى تُعِيدَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، أَيْ : (قَلَّمَا يَتَكَلَّمُ العَرَبُ فِي مِثْلِ هَذَا

---

[٧٦] هُوَ العَفِيفُ العَبْدِيُّ ، كَمَا جَاءَ فِي لِسَانِ العَرَبِ : ١/٩١ (زنأ) ، وَيُرْوَى لِشِهَابِ بنِ العَيِّفِ ، كَمَا جَاءَ فِي خِزَانَةِ الأَدَبِ : ١٠/٨٩-٩٠ ، وتَاجِ العَروسِ : ١/٢٦٠ (زنأ) .

[٧٧] غريب الحديث للخطّابي : ٢/٢٧٥-٢٧٦.

[٧٨] ينظر : معاني الحروف للرماني : ١٠٠-١٠١.

[٧٩] الصاحبي في فقه اللغة : ١/٤٠.

المَكَانِ إِلَّا بِـ (لَا) مَرَّتَيْنِ ، أَوْ أَكْثَرَ)[80] ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الخرُوجِ بِالكَلَامِ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى النَّفْيِ.

وَقَدْ وَصَفَ الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ (ت١٧٥هـ) عَدَمَ التَّكْرَارِ هَذَا بِالقُبْحِ ، فَقَالَ : (وَإِذَا لَمْ تُعَدْ (لَا) فَهُوَ فِي المَنْطِقِ قَبِيحٌ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ ، قَالَ :

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا *** وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

أَيْ : لَمْ يُلِمَّ)[81].

لَكِنَّ أَبَا عَلِيٍّ الفَارِسِيَّ (ت٣٧٧هـ) لَمْ يُوجِبْ تَكْرَارَ (لَا) فِي مِثْلِ هَذِهِ الأَمْثِلَةِ ، فَقَالَ : (إِذَا كَانَتْ (لَا) بِمَعْنَى (لَمْ) ، لَمْ يَلْزَمْ تَكْرِيرُهَا ، كَمَا لَمْ يَلْزَمْ التَّكْرِيرُ مَعَ (لَمْ) ، فَإِنْ تَكَرَّرَتْ فِي مَوْضِعٍ نَحْوُ : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ﴾ [القيامة : ٣١] ، فَهُوَ كَتَكَرُّرِ ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ [الفرقان : ٦٧])[82].

وَتَابَعَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَهُ فَقَالَ : (وَتَقَعُ (لَمْ) بِمَعْنَى (لَا) ، كَقَوْلِكَ : مَا شَاءَ اللهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، أَيْ : مَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ)[83]. وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ عَنِ العَرَبِ ، فَفِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « لَمْ تُرَاعُوا إِنَّهُ لَبَحْرٌ ». وَعَلَّقَ العَيْنِيُّ (ت٨٥٥هـ) شَارِحًا ذَلِكَ فَقَالَ : (قَوْلُهُ : « لَمْ تُرَاعُوا » ، أَيْ : لَا تُرَاعُوا ، وَ (لَمْ) بِمَعْنَى

---

[80] معاني القرآن وإعرابه : ٣٢٩/٥. وينظر : مفاتيح الغيب : ٢٣٣/٣٠.

[81] العين : ٣٢١/٨ (لَمَ) .

[82] الحجة للقرّاء السّبعة : ٤١٤/٦-٤١٥.

[83] غريب الحديث للخطّابي : ٢٧٦/٢.

(لَا).)[٨٤]. وَفِي حَدِيثِ رِفَاعَةَ بَعْدَ أَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ، وَوَصَفَهَا بِالنُّشُوزِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « فَإِن كَانَ ذَلِكَ لَمْ تَحِلِّي لَهُ ، أَوْ لَمْ تَصْلُحِي لَهُ حَتَّى يَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِكِ » ، وَشَرَعَ العَيْنِيُّ (ت٨٥٥هـ) يُوَضِّحُ غَامِضَ الحَدِيثِ قَائِلًا : (وَيُرْوَى « لَا تَحِلِّينَ » ، وَوَجْهُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ (لَمْ) بِمَعْنَى (لَا) ، وَالْمعْنَى أَيْضًا عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ (لَا) لِلاسْتِقْبَالِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ (ت٢١٥هـ) : إِنَّ (لَمْ) تَجِيْءُ بِمَعْنَى (لَا).

وَأَنْشَدَ[٨٥] :

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ وَأُسْرَتِهِمْ *** يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالجَارِ)[٨٦]

وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ الشَّاعِرَ هُنَا مَا أَعْمَلَ (لَمْ) فِي الفِعْلِ المُضَارِعِ (يُوفُونَ) ، فَحُمِلَتْ (لَمْ) عَلَى مَعْنَى (لَا) النَّافِيَةِ غَيْرِ العَامِلَةِ ، قَالَ ابْنُ عُصْفُورٍ (ت٦٦٩هـ) : (فَحُكِمَ لِـ(لَمْ) ، بَدَلًا مِنْ حُكْمِهَا ، بِحُكْمِ (مَا) لَمَّا كَانَتْ (مَا) نَافِيَةً مِثْلَهَا ، فَرُفِعَ المُضَارِعُ بَعْدَهَا كَمَا يُرْفَعُ بَعْدَ (مَا).)[٨٧]. وَوَصَفَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الحَالَ بِأَنَّهَا ضَرُورَةٌ ، وَذَكَرَ آخَرُونَ بِأَنَّهَا لُغَةٌ مِنْ لُغَاتِ العَرَبِ[٨٨] ، وَهَذَا مَا نَمِيلُ إِلَيْهِ.

---

[٨٤] عمدة القاري : ٢٣٠/١٤. باب الجعائل.

[٨٥] البَيتُ من شواهِدِ : سِرِ صِنَاعَةِ الإعْرَابِ : ٤٤٨/٢ ، وشَرحِ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ : ١٥٧٤/٣، و١٥٩٢/٣ ، ولِسَانِ العَرَبِ : ١٩٨/٩ (صلف) ، ومُغْنِي اللَّبِيبِ : ٤٦٨/٣ ، و٢٦٣/٤...

[٨٦] عمدة القاري : ٦/٢٢.

[٨٧] ضرائر الشعر : ٣١٠. وينظر : المحتسب : ٤٢/٢ ، و خزانة الأدب : ٣/٩.

[٨٨] ينظر : شرح الكافية الشافية : ١٥٧٤/٣ ، ومغني اللبيب : ٤٦٨/٣ ، وهمع الهوامع : ٣١٣/٤.

*** إِعْرَابُ مَا كَانَ مِنَ الوَاحِدِ عَلَى بِنَاءِ الجَمْعِ :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ أَبِي وَائِلٍ أَنَّهُ قَالَ : (شَهِدتُ صِفِّيْنَ[٨٩]، وَبِئْسَتِ الصِّفُّونَ). ثُمَّ عَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : (بِئْسَتِ الصِّفُّونَ ، إِنَّمَا أَعْرَبَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَجْرَاهُ مَجْرَى الجَمْعِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الوَاحِدِ عَلَى بِنَاءِ الجَمْعِ ، فَإِعْرَابُهُ كَإِعْرَابِ الجَمْعِ ، كَقَوْلِكَ : دَخَلْتُ فِلَسْطِيْنَ[٩٠] ، وَهَذِهِ فِلَسْطُوْنَ ، وَأَتَيْتُ قِنَّسْرِيْنَ[٩١] وَهَذِهِ قِنَّسْرُونَ)[٩٢].

أَرَادَ الخَطَّابِيُّ تِبْيَانَ إِعْرَابِ لَفْظِ (صِفِّيْنَ) ، وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا ؛ مِثْلَ : (فِلَسْطِيْنَ ، وَقِنَّسْرِيْنَ) فَذَكَرَ لَهَا وَجْهَيْنِ :

الوَجْهُ الأَوَّلُ : أَنَّهَا تُعْرَبُ إِعْرَابَ المُلْحَقِ بِجَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ؛ لِكَوْنِهَا لِمَا لَا يَعْقِلُ ، فَاليَاءُ وَالنُّونُ فِي : (شَهِدتُ صِفِّيْنَ) ، وَالوَاوُ وَالنُّونُ فِي (بِئْسَتِ الصِّفُّونَ) حُرُوفٌ زَائِدَةٌ.

---

[٨٩] بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ ، وَتَشْدِيدِ الفَاءِ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ بِالشَّامِ ، بِقُرْبِ الرَّقَّةِ عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ مِنَ الجَانِبِ الغَرْبِيِّ ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : صِفُّونَ. ينظر : معجم ما استعجم : ٨٣٧/٣ ، ومعجم البلدان : ٤١٤/٣.

[٩٠] بِكَسْرِ أَوَّلِهِ ، وَفَتْحِ ثَانِيهِ ، وَسُكُونِ السِّينِ ، وَطَاءٍ مُهْمَلَةٍ ، وَنُونٍ فِي آخِرِهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ أَجْنَادِ الشَّامِ مِنْ نَاحِيَةِ الغَرْبِ ، وَآخِرُ كُورِ الشَّامِ مِنْ نَاحِيَةِ مِصْرَ ، قَصَبَتُهَا البَيْتُ المَقْدِسِ. ينظر : معجم البلدان : ٢٧٤/٤.

[٩١] بِكَسْرِ أَوَّلِهِ ، وَفَتْحِ ثَانِيهِ وَتَشْدِيدِهِ وَكَسَرَهُ قَوْمٌ ، ثُمَّ سِينٍ مُهْمَلَةٍ ، وَهِيَ كُورَةٌ بِالشَّامِ مِنْهَا حَلَبُ ، وَكَانَتْ قِنَّسْرِينُ مَدِينَةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلَبَ مَرْحَلَةٌ مِنْ جِهَةِ حِمْصَ. معجم البلدان : ٤٠٣/٤-٤٠٤.

[٩٢] غريب الحديث للخطّابي : ٣٠/٣.

وَهَذَا يَعْنِـي أَنَّ (صِـفِّيْنَ) جَمْـعٌ ، وَمُفْرَدُهُ (صِـفٌّ) ، وَأَيْضَـا لَفْظُ (فِلَسْطِيْنَ ، وَقِنَّسْرِيْنَ) جَمْعٌ ، وَمُفْرَدُهُ (فِلَسْطٌ ، وَقِنَّسْرٌ).

قَـالَ ابْـنُ جِنِّـي (ت٣٩٢هـ) : (وَوَجْـهُ الجَمْـعِ فِـي هَـذِهِ الأَشْـيَاءِ أَنَّهُـمْ جَعَلُـوا كُـلَّ نَاحِيَـةٍ مِـنْ (فِلَسْـطِينَ) ، وَ(قِنَّسْـرِينَ) كَأَنَّـهُ (فِلَسْـطٌ) ، وَ(قِنَّسْـرٌ) ، وَكَـأَنَّ وَاحِـدَ (يَبْـرِينَ) : (يَبْـرٌ) ، وَوَاحِـدَ (نَصِـيبِينَ) : (نَصِيبٌ) ، وَوَاحِدَ (صَرِيفِينَ ، وَعَانِدِينَ) : (صَرِيفٌ ، وَعَانِدٌ). وَكَذَلِكَ (السَّـيْلَحُونَ)[٩٣] ، كَـأَنَّ وَاحِـدَهَا (سَـيْلَحٌ) ، وَإِنْ لَـمْ يُنْطَـقْ بِـهِ مُفْـرَدًا ، وَ(النَّاحِيَـةُ ، وَالجِهَـةُ) مُؤَنَّثَتَـانِ ، فَكَأَنَّـهُ قَدْ كَـانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي الوَاحِدِ هَاءٌ ، فَصَارَ (فِلَسْطٌ ، وَقِنَّسْرٌ))[٩٤].

وَاسْتَشْهَدَ الخَطَّابِيُّ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْشَدَهُ المُبَرِّدُ[٩٥] :

وَشَاهِدُنَا الجُلُّ وَاليَاسَمُوْ *** نَ وَالمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا

وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين : ١٨-١٩]، ثُمَّ قَالَ : (وَفِي هَذَا مَذْهَبٌ لَـهُمْ آخَرُ ، وَهُوَ

---

(٩٣) السَّيْلَحُونَ مَوْضِعٌ قُرْبَ الحِيرَةِ ، بَيْنَ الكُوفَةِ والقَادِسِيَّةِ وَقِيلَ: هُوَ رُسْتَاقٌ مِنْ رَسَاتِيقِ العِرَاقِ. ينظـر: معجـم مـا اسـتعجم : ٢٣٧/١ ، و ٧٧٢/٣ ، ومعجـم البلـدان : ٢٩٨/٣.

(٩٤) سِرّ صناعة الإعراب : ٦٢٤/٢-٦٢٥.

(٩٥) ينظر: الكامل : ٦٣٥/٢. وَالبَيتُ لِلأَعْشَى الكَبِيرِ ، وَرِوَايَتُهُ :

وَشَاهِدُنَا الوَرْدُ وَاليَاسَمِيْ *** نُ وَالمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا

دِيوَانِهِ: ١٧٣.

أَنْ يُعْرِبُوا النُّونَ فَقَطْ، وَيَجْعَلُوهَا بِاليَاءِ فِي كُلِّ حَالٍ ، كَقَوْلِكَ : هَذِهِ السَّيْلَحِينُ ، وَرَأَيْتُ السَّيْلَحِينَ ، وَمَرَرْتُ بِالسَّيْلَحِينِ)[٩٦].

أَمَّا الوَجْهُ الثَّانِي مِنَ الإِعْرَابِ : فَهُوَ إِقْرَارُ اليَاءِ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَيَكُونُ الإِعْرَابُ عَلَى النُّونِ ، قَالَ النَّسَفِيُّ (ت٥٣٧هـ) : (وَفِي إِعْرَابِهِ وَجْهَانِ : مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : سَالِحُونَ فِي الرَّفْعِ ، وَسَالِحِينَ فِي النَّصْبِ وَالخَفْضِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : سَالِحِينَ بِالْيَاءِ بِكُلِّ حَالٍ ، وَيُعْرَبُ النُّونُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالخَفْضِ)[٩٧].

وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ الخَطَّابِيُّ بِقَوْلِهِ : (هَذِهِ السَّيْلَحِينُ ، وَرَأَيْتُ السَّيْلَحِينَ ، وَمَرَرْتُ بِالسَّيْلَحِينِ) ، وَمِثْلُهُ كَذَلِكَ : هَذِهِ صِفِّينُ ، وَشَهِدْتُ صِفِّينَ ، وَمَرَرْتُ بِصِفِّينِ[٩٨].

*** إِعْرَابُ (لُكَع) :**

ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ حَدِيثَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الَّذِي جَاءَ فِيهِ : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ». وَبَيَّنَ مَعْنَى (لُكَعَ) بِأَنَّهُ : اللَّئِيمُ[٩٩]. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَيَانِ إِعْرَابِ (لُكَعَ) عِنْدَ

---

(٩٦) غريب الحديث للخطّابي : ٣/٣٠.

(٩٧) طلبة الطلبة : ٢٦٧ ، (سلح).

(٩٨) ينظر : الفائق في غريب الحديث : ٢/٣٠٦.

(٩٩) قال ابنُ منظور : (اللَّكَعُ : وَسِخُ القُلْفَةِ . لَكِعَ عَلَيْهِ الوَسَخُ لَكَعًا إذا لَصِقَ بِهِ ولَزِمَه... واللُّكَعُ : المُهْرُ والجَحْشُ ، والأُنثى بِالهَاءِ ، ويُقَالُ للصبيِّ الصَّغِيرِ أيضا لُكَعٌ... واللَّكِيعةُ : الأَمَةُ اللَّئِيمَةُ . وَلَكِعَ الرَّجُلُ يَلْكَعُ لَكَعًا وَلَكَاعَةً : لَؤُمَ وحَمُقَ). لسان العرب : ٨/ ٣٢٢ (لكع). وينظر : تاج العروس : ٢٢/١٦١ (لكع).

النَّحْوِيِّيْنَ ، فَقَالَ : (حُكْمُ إعْرَابِ (لُكَعَ) عِنْدَ النَّحْوِيِّيْنَ حُكْمُ عُمَرَ ، يَنْصَرِفُ فِي النَّكِرَةِ وَلَا يَنْصَرِفُ فِي المَعْرِفَةِ)[100].

وَحُكْمُ إعْرَابِ (عُمَرَ) عِنْدَ النَّحْوِيِّيْنَ أَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالعَدْلِ[101] ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَفْظُ (عُمَرَ) هَوَ جَمْعُ (عُمْرَةٍ) ، فَعِنْدَهَا يَكُونُ مَصْرُوفًا ، حَتَّى لَو سُمِّيَ بِهِ عَلَمٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ العَدُولُ عَنْ اسْمٍ سَابِقٍ لَهُ. أَيْ : إِذَا كَانَ المُلَاحَظُ فِي لَفْظِ (عُمَرَ) العَدْلَ مُنِعَ مِنَ الصَّرْفِ ، أَمَّا إِذَا كَانَ المُلَاحَظُ فِيهِ الجَمْعَ فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الصَّرْفُ.

قَالَ المُبَرِّدُ : (فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهُ نَكِرَةً ، وَيعرف بِالألف وَاللَّام فَهُوَ مَصْرُوف ، وَاحِدًا كَانَ أَوْ جَمْعًا فَالوَاحِدُ؛ نَحْوُ : صُرَدٍ ، وَنُغَرٍ ، وَجُعَلٍ ، يَنْصَرِفُ فِي المَعْرِفَةِ وَالنَّكِرَةِ وَالجَمْعِ ، نَحْوُ : ثُقَبٍ ، وَحُفَرٍ ، وَعُمَرٍ : إِذَا أَرَدْتَ جَمْعَ عُمْرَةٍ ... فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهُ لَمْ يَقَعْ إِلَّا مَعْرِفَةً؛ نَحْوُ : عُمَرَ ، وَقُثَمَ ، وَلُكَعَ ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَصْرُوفٍ فِي المَعْرِفَةِ؛ لِأَنَّهُ المَوْضِعُ الَّذِي عُدِلَ فِيهِ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ : هَذَا القُثَمُ ، وَلَا هَذَا العُمَرُ؛ كَمَا تَقُولُ : هَذَا الجُعَلُ ، وَهَذَا النُّغَرُ)[102].

أَمَّا لَفْظُ (لُكَعَ) فَالأَصْلُ أَنْ يَأْتِيَ فِي بَابِ النِّدَاءِ ، وَقَدْ يَرِدُ فِي غَيْرِ النِّدَاءِ كَالحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ الخَطَّابِيُّ ، وَبَيَّنَ فِيهِ أَنَّ حُكْمَ إِعْرَابِهِ عِنْدَ النَّحْوِيِّيْنَ

---

[100] غريب الحديث للخطّابي : ١٠٣/٣.

[101] العَدْلُ هُوَ : تَحْوِيلُ الاسْمِ مِنْ حَالٍ إِلَى أُخْرَى ، كتحويل (أَلْكَع) إِلَى (لُكَع) ، و(عامِر) إلى (عُمَر).

[102] المقتضب : ٣٢٣/٣. وينظر : شرح الرضي لكافية ابن الحاجب : ١٢٨/١-١٢٩.

حُكْمُ إعْرَابِ عُمَرَ ، أَيْ أَنَّهُ يَنْصَرِفُ فِي النَّكِرَةِ وَلَا يَنْصَرِفُ فِي المَعْرِفَةِ ، وَيَكُونُ مَنْعُهُ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالعَدْلِ ، فَ(لُكَعُ) مَعْدُولٌ بِهِ عَنْ (أَلْكَع)[١٠٣] لِلْمُبَالَغَةِ.

أَمَّا (عُمَرُ) فَقَدْ ذَكَرَ النَّحْوِيُّونَ أَنَّهُ مَعْدُولٌ بِهِ عَنْ (عَامِرٍ)[١٠٤]. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ (فُعَل) قَدْ يَكُونُ مَعْدُولًا بِهِ عَنْ (أَفْعَل) ، كَمَا فِي (لُكَعَ) و (أَلْكَع) ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْدُولًا بِهِ عَنْ (فَاعِل) ، كَمَا فِي (عُمَرَ) و (عَامِرٍ).

---

[١٠٣] ينظر : همع الهوامع : ١/٨٩.

[١٠٤] ينظر : كتاب سيبويه : ٢/٤٠.

الخَاتِمَـةُ :

بَعْدَ هَذِهِ الوِقْفَةِ المُتَأَنِيَـةِ فِـي كِتَـابِ غَرِيـبِ الحَـدِيثِ لِأَبِـي سُـلَيمَانَ الخَطَّابِيِّ الَّذِي اخْتَزَنَ فِي صَفَحَاتِهِ أَعْلَاقًا نَفِيسَةً ، كَوَّنَتْ مَادَّةً طَيِّبَةً لِلْبَاحِثِ الجَادِّ ، وَمِنْ هَذِهِ الأَعْلَاقِ تِلْكَ المَسَائِلُ النَّحْوِيَّةُ الَّتِي قُمْتُ بِدِرَاسَتِهَا والتَّنْقِيرِ فِي مَظَانِّهَا وَأُصُولِهَا ، وَيُمْكِنُ لِي أَنْ أُوجِزَ مَا تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ بِالنَّتَائِجِ الآتِيَةِ :

- إِنَّ الخَطَّابِيَّ كَانَ يُقَلِّبُ الأَلْفَاظَ عَلَى وُجُوهِهَا المُحْتَمَلَةِ؛ لِيَقِفَ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى أَسْرَارِ صِنَاعَةِ الإِعْرَابِ فِيهَا.
- إِنَّ الخَطَّابِيَّ كَانَ يَلْتَمِسُ أَهَمِّيَّةَ النَّحْوِ بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ العَلَاقَةَ بَيْنَ المَعْنَى المُعْجَمِيِّ ، وَعَلَاقَتِهِ بِالتَّطْبِيقِ الإِعْرَابِيِّ.
- إِنَّ الخَطَّـابِيَّ كَـانَ لَا يَلْتَـزِمُ بِوَاحِـدٍ مِـنْ مَـذَاهِبِ النَّحـوِيِّينَ ، بَـلْ يَـذْكُرُ المَسْأَلَةَ ، ويَذْكُرُ آرَاءَ النَّحوِيِّينَ فِيهَا ، دُونَ الالْتِفَاتِ إِلَى مَذَاهِبِهِمْ.
- إِنَّ الخَطَّابِيَّ كَانَ يُقَدِّمُ أَحْيَانًا آرَاءَ الكُوفِيِّينَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، بَعِيدًا عَنْ ذِكْرِ المَذْهَبِ ، أَو المَدْرَسَةِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا هَذَا العَالِمُ أَوْ ذَاكَ.

وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ ، وَهُوَ يَهْدِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ

وَالحَمْدُ للهِ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى...

المصادر :

- أَدَبُ الكَاتِبِ : (ابنُ قُتَيبَةَ) أَبُو مُحَمَّدٍ عَبدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق : الدكتور مُحَمَّد الدَّالِي ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ ، بَيرُوت ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

- إسْفارُ الفَصِيحِ : (الهَرَوِيُّ) أَبُو سَهْلٍ مُحَمَّد بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّد الهَرَوِيُّ النَّحْوِيّ (ت٤٣٣هـ) ، تحقيق : الدكتور أَحمَد بْنِ سَعِيد بْنِ مُحَمَّد قَشَّاش ، مَطبُوعات الجَامِعةِ الإسْلامِيّةِ ، المَدِينَة المُنَوّرَة ، ١٤٢٠هـ .

- أَشْعَارُ العامِرِيِّينَ الجاهِلِيِّينَ : جمعُ وتَقديمُ : الدكتور عَبد الكَرِيم إبْراهِيم يَعقُوب ، دار الحوار ، اللاذِقِيّة ، سورية ، ط١ ، ١٩٨٢م.

- الأُصُولُ في النَّحْوِ : (ابْنُ السَّرَّاجِ) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ السَّرَّاجِ (ت٣١٦هـ)، تَحْقِيقُ : الدكتور عَبْدِ الحُسَيْنِ الفَتْلِي ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسالَةِ ، بَيْرُوت ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- إعْرَابُ القُرْآنِ : (ابنُ النَّحّاسِ) أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إسْمَاعِيلَ (ت٣٨٨هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور زُهَير غَازِي زَاهِد، عَالَمُ الكُتُبِ ، بَيْرُوت ، ط٢، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م .

- إكْمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم : (القَاضِي عِيَاض) أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ اليَحْصُبِيُّ (ت٥٤٤هـ) ، تحقيق : الدكتور يَحْيَى إسْمَاعِيل ، دَارُ الوَفَاءِ ، المَنْصُورَة ، مِصْر ، ط١ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م .

- أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ فِي النَّحْوِ وَالصَّرْفِ ، المُسَمَّاةُ : الخُلَاصَةُ فِي النَّحْوِ : (ابْنُ مَالِكٍ) أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٌ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْدَلُسِيُّ (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق : سُلَيْمَانِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ العُيُونِي ، مَكْتَبَةُ دَارِ المِنْهَاجِ ، الرِّيَاض ، ط١ ، ١٤٣٢هـ.

- أَمَالِي المُرْتَضَى (غُرَرُ الفَوائِدِ وَدُرَرُ القَلائِدِ) : (الشَّرِيفُ المُرْتَضَى) عَلِيُّ بْنُ الحُسَينِ المُوْسَوِيُّ (ت٤٣٦هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّد أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيم ، المَكْتَبَةُ العَصْرِيَّةُ ، صَيْدا ، بَيرُوت ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- إِنْبَاهُ الرُّوَاةِ عَلَى أَنْبَاهِ النُّحَاةِ : (القِفْطِيُّ) جَمَالُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ (ت٦٤٦هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيم ، المَكْتَبَةُ العَصْرِيَّةُ، صَيْدَا، بَيْرُوت، ط١، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

- الإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الخِلَافِ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ البَصْرِيِّينَ وَالكُوفِيِّينَ : (الأَنْبَارِيُّ) أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ (ت٥٧٧هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور مُحَمَّد مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الحَمِيدِ، مَكْتَبَةُ الخَانْجِي ، القَاهِرَةُ، ط١، ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م.

- أَوْضَحُ المَسَالِكِ إِلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ : (ابْنُ هِشَامٍ) أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ جَمَالَ الدِّينِ بْنُ يُوسُفَ الأَنْصَارِيُّ (ت٧٦١هـ)، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ مُحْيِي الدِّينِ عَبْد الحَمِيدِ ، المَكْتَبَةُ العَصْرِيَّةُ ، بَيْرُوت (لا. ت).

- بُغْيَةُ الوُعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ : (السُّيُوطِيُّ) جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ، (ت٩١١هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور عَلِيّ مُحَمَّد عُمَر ، مَكْتَبَةُ الخَانْجِي، القَاهِرَةُ، ط١، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

- البُلْغَةُ فِي تَرَاجِمِ أَئِمَّةِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ : (الفَيْرُوزآبَادِي) أَبُو طَاهِرٍ مَجْدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الشِّيرَازِيُّ (ت٨١٧هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّد المِصْرِيّ ، دَارُ سَعْدِ الدِّينِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ ، دِمَشْقُ، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

- تَاجُ العَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ القَامُوسِ : (الزَّبِيْدِيُّ) مُحَمَّدُ مُرْتَضَى الحُسَينِيُّ الزَّبِيْدِيُّ (ت١٢٠٥هـ)، تَحْقِيقُ : جَمَاعَةٍ مِنَ المُحَقِّقِينَ، مَطْبَعَةُ حُكُومَةِ الكُوَيْتِ ، ١٣٨٥-١٤١٠هـ = ١٩٦٥-١٩٩٠م.

- التَّصْرِيحُ بِمَضْمُونِ التَّوْضِيحِ : (الأَزْهَرِيُّ) خَالِدُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَزْهَرِيُّ (ت٩٠٥هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور عَبْدِ الفَتَّاحِ بُحَيْرِي إِبْرَاهِيم ، الزَّهْرَاءُ لِلإِعْلَامِ العَرَبِيّ ، مِصْر ، ط١ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

- الجَامِعُ الصَّحِيحُ : (البُخَارِيُّ) أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ المُغِيرَةِ الجُعْفِيُّ (ت٢٥٦هـ) ، بِعِنَايَةِ : مُحَمَّدُ زُهَيرُ بْنُ نَاصِرِ النَّاصِر ، دَارُ طَوْقِ النَّجَاةِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ.

- الجَنَى الدَّانِي فِي حُرُوفِ المَعَانِي : (المُرَادِيُّ) بَدْرُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ قَاسِمٍ (ت٧٤٩هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور طَهَ مُحْسِن ، مُؤَسَّسَةُ دَارِ الكُتُبِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، المَوْصِلُ ، ط١، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

- الحُجَّةُ لِلْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ أَئِمَّةِ الأَمْصَارِ بِالحِجَازِ وَالعِرَاقِ وَالشَّامِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ أَبُو بَكْرِ ابْنُ مُجَاهِدٍ : (أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ) الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الغَفَّارِ (ت٣٧٧هـ) ، تَحْقِيقُ : بَدْرِ الدِّينِ قَهْوَجِي ، وَبَشِيرِ جُوَيْجَاتِي ، دَارُ المَأْمُونِ لِلتُّرَاثِ ، دِمَشْقُ ، بَيْرُوت ، ط٢ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

- خِزَانَةُ الأَدَبِ وَلُبُّ لُبَابِ لِسَانِ العَرَبِ : (البَغْدَادِيُّ) عَبْدُ القَادِرِ بْنُ عُمَرَ (ت١٠٩٣هـ)، تَحْقِيقُ : عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّد هَارُون، مَكْتَبَةُ الخَانْجِي، القَاهِرَةُ، ط٤، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

- الخَصَائِصُ : (ابْنُ جِنِّيّ) أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيّ (ت٣٩٢هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ عَلِي النَّجَّار، دَارُ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ ، القَاهِرَةُ ، ط٢، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.

- دِيوَانُ أَبِي النَّجْمِ العِجْلِي : الفَضْلُ بْنُ قُدَامَةَ (ت١٣٠هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور مُحَمَّد أَدِيب عَبْد الوَاحِدِ جمرَان ، مَطْبُوعَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقَ ، ط١ ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

- دِيوَانُ الأَعْشَى الكَبِيرِ (مَيمُونِ بْنِ قَيسٍ) : مُحَمَّد حُسَين ، الإسْكَنْدَرِيَّة ، ١٩٥٠م.

- دِيْوَانُ جَرِيْرٍ بِشَرْحِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ : تَحْقِيقُ : الدكتور نُعْمَان مَحَمَّد أَمِين طَه ، دَارُ المَعَارِفِ ، القَاهِرَةُ ، ط٣ ، ١٩٨٦م.

- دِيوَانُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : قَدَّمَ لَهُ : الدكتور فَايِز مُحَمَّد ، دارُ الكِتَابِ العَرَبِي ، بَيرُوت ، ط٢ ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

- دِيوَانُ النَّابِغَةِ الجَعْدِيّ : جمع وتحقيق : الدكتور وَاضِح الصَّمَد ، دَارُ صَادِرٍ ، بَيرُوت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

- دِيوَانُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيّ : تحقيق : مُحَمَّد أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيم ، دارُ المعَارِفِ ، القَاهِرَةُ ، ط٢ ، ١٩٨٥م.

- رَصْفُ المَبَانِي فِي شَرْحِ حُرُوفِ المَعَانِي : (المَالِقِيُّ) أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ النُّورِ المَالِقِيُّ (ت٧٠٢هـ) ، ، دَارُ القَلَمِ ، دِمَشْقُ ، الدَّارُ الشَّامِيَّةُ ، بَيْرُوت ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .

- الزَّاهِرُ في غَرِيبِ أَلفَاظِ الإِمَامِ الشَّافِعِيّ : (الأَزْهَرِيُّ) أَبُو مَنصُورٍ مَحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق : الدكتور عَبْدِ المُنْعِم طَوْعِي بشْنَاتِي ، دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلامِيَّةِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

- السَّبْعَةُ فـي القِراءَاتِ : (ابْنُ مُجَاهِدٍ) أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ العَبَّاسِ التَّمِيمِيُّ البَغْدادِيُّ (ت٣٢٤هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور شَوْقِي ضَيْف ، دَارُ المَعارِفِ ، القَاهِرَة ، ط٣ ، ١٩٨٨م.

- سِرُّ صِنَاعَةِ الإِعْرَابِ : (ابْنُ جِنِّي) أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ)، تَحْقِيقُ : الدكتور حَسَن هِنْدَاوِي ، دَارُ القَلَمِ ، دِمَشْقُ ، ط٢ ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

- سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ : (الذَّهَبِيُّ)، شَمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت٧٤٨هـ) ، تَحْقِيقُ : شُعَيْب الأَرْنَؤُوط وَجَمَاعَة، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوت ، ط١١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

- شَرْحُ الأَبْيَاتِ المُشْكِلَةِ الإِعْرَابِ ، المُسَمَّى : إِيْضَاحُ الشِّعْرِ : (أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت٣٧٧هـ) ، تحقيق : الدكتور حَسَن هِنْدَاوِي ، دَارُ القَلَمِ ، دِمَشْقُ ، دَارُ العُلُومِ الثَّقَافِيَّةِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

- شَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ : (ابْنُ عَقِيلٍ) بَهاءُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَقِيلٍ العُقَيْلِيُّ الهَمَذانِيُّ المِصْرِيُّ (ت٧٦٩هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّد مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الحَمِيدِ، المَكْتَبَةُ العَصْرِيَّةُ، صَيْدا، بَيْرُوت، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

- شرحُ ابْنِ النَّاظِمِ عَلَى أَلفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ : (ابْنُ النَّاظِمِ) أَبُو عَبْدِ اللهِ بَدْرُ الدِّينِ مَحَمَّدُ بْنُ مَحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ (ت٦٨٦هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد بَاسِل عُيُون السُّودِ ، دارُ الكُتُب العِلمِيَّةِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

- شَرْحُ دِيوانِ الفَرَزْدَقِ : ضَبَطَهُ إِيلِيَا الحَاوِي ، دار الكِتَابِ اللبْنَانِي ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٩٨٣م.

- شَرْحُ الرَّضِيِّ لِكَافِيَةِ ابْنِ الحَاجِبِ : (الرَّضِيُّ الإِسْتِرَابَاذِي) محمّدُ بْنُ الحَسَنِ (ت٦٨٦هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور حسن محمّد الحفظي، والدكتور يحيى بشير مصري ، مطبوعات جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرّياض ، ط١، ١٤١٤-١٤١٧هـ = ١٩٩٣-١٩٩٦م.

- شَرْحُ شُذُورِ الذَّهَبِ فِي مَعْرِفَةِ كَلَامِ العَرَبِ : (ابْنُ هِشَامٍ الأَنْصَارِيُّ) جَمالُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنِ يُوسُفَ (ت٧٦١هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ مُحْيِي الدِّين عَبْدِ الحَمِيد ، دَارُ الطَّلَائِعِ ، القَاهِرَةُ ، ٢٠٠٤م.

- شَرْحُ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ : (ابن مالك) أَبُو عَبدِ اللهِ مُحَمّدُ جَمالُ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ الطَّائِيُّ الجيَّاني (ت٦٧٢هـ) ، تَحقِيقُ : الدكتور عَبْدِ المُنْعِمِ أَحْمَد هُرَيْدِي ، مَطْبُوعَاتُ جَامِعَةِ أُمِّ القُرَى ، مَكَّة المُكَرَّمَة ، دَارُ المَأمُونِ لِلتُّرَاثِ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ.

- شَـرْحُ المُفَصَّـلِ : (ابْـنُ يَعِـيشَ) مُوَفَّـقُ الـدِّينِ بْـنُ يَعِـيْشَ النَّحْـوِيُّ (ت٦٤٣هـ)، عَالَمُ الكُتُبِ ، بَيْرُوت ، (لا . ت).

- الصَّـاحِبِيُّ : (ابْـنُ فَـارِسٍ) أَبُـو الحُسَـيْنِ أَحْمَـدُ بْـنُ فَـارِسِ بْـنِ زَكَرِيَّـا (ت٣٩٥هـ) ، تَحْقِيقُ : السَّيِّدُ أَحْمَد صَقْر ، مَطْبَعَةُ عِيْسَى البَابِي الحَلَبِيُّ، القَاهِرَةُ، ١٩٧٧م.

- الصِّحاحُ تاج اللغة وصِحاحُ العربيّة : (الجوهري) إسماعيل بن حمَّاد (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطَّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

- ضَرَائِرُ الشِّعْرِ : (ابْنُ عُصنفُورٍ) أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُؤْمِنٍ النَّحْوِيُّ الإشْـبِيلِيُّ (ت٦٦٩هـ) ، تحقيـق : السَّيِّد إِبْـرَاهِيم مُحَمَّـد ، دَارُ الأَنْـدَلُسِ للطِّبَاعَةِ ، ط١ ، ١٩٨٠م.

- طِلْبَةُ الطَّلَبَةِ فِي الاصطِلَاحَاتِ الفِقْهِيَّةِ : (النَّسَفِيُّ) أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسَفِيُّ (ت٥٣٧هـ) ، تحقيـق : خَالِد عَبْدِ الرَّحْمَنِ العِك ، دَارُ النَّفَائِسِ ، بَيْرُوتُ ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

- عُمْدَةُ القَارِي شَرْحُ صَحِيحِ البُخَـارِي : (العَيْنِـي) أَبُو مُحَمَّدٍ بَدْرُ الدِّينِ مَحْمُـودُ بْـنُ أَحْمَـدَ العَيْنِـي (ت٨٥٥هـ) ، إِدَارَةُ الطِّبَاعَـةِ المُنِيرِيَّـةِ ، دَارُ الفِكْرِ ، لا . ت.

- العَيْنُ : (الفَرَاهِيْدِيُّ) الخَلِيْلُ بْنُ أَحْمَدَ (ت١٧٥هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور مَهْدِي المَخْزُومِـيّ ، والـدكتور إِبْرَاهِيْم السَّامَرَّائِيّ ، دَارُ الشُّؤُونِ الثَّقَافِيَّـةِ ، ودَارُ الرَّشِيْدِ ، بَغْدَادُ ، ط١ ، ١٤٠٠-١٤٠٦هـ = ١٩٨٠- ١٩٨٦م.

- غَرِيبُ الحَدِيثِ : (الخَطَّابِيُّ) أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَطَّابِيُّ البُسْتِيُّ (ت٣٨٨هـ) ، تحقيق : عَبْدِ الكَرِيمِ إِبْرَاهِيمَ العَزْبَاوِي ، مَنْشُورَاتُ جَامِعَةِ أُمِّ القُرَى ، مَكَّةُ المُكَرَّمَة ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

- غريبُ الحَدِيثِ لِأَبِي سُلَيْمَانَ ، تُوُفِّيَ عَامَ ٣٨٨ هِجْرِيَّة – دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ : الدكتور عَبْدُ الكَرِيمِ مُصْطَفَى مُدْلِج ، عَالَمُ الكُتُبِ الحَدِيثِ ، إِرْبِد ، الأُرْدُن ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

- الفَائِقُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ : (الزَّمَخْشَرِيُّ) أَبُو القَاسِمِ جَارُ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ (ت٥٣٨هـ) ، تَحْقِيقُ : عَلِي البَجَّاوِي ، ومُحَمَّد أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيم ، دَارُ الفِكْرِ ، بَيْرُوت ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

- الكَامِلُ : (المُبَرِّدُ) أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ (ت٢٨٥هـ)، تَحْقِيقُ : الدكتور مُحَمَّد أَحْمَد الدَّالِيّ ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ ، بَيْرُوت ، ط٢، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

- الكِتَابُ : (سِيبَوَيْهِ) عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ (ت١٨٠هـ)، المَطْبَعَةُ الكُبْرَى الأَمِيرِيَّةُ بِبُولَاقٍ ، مِصْرُ، ط١، ١٣١٧هـ .

- اللُّبَابُ فِي عِلَلِ البِنَاءِ وَالإِعْرَابِ : (العُكْبَرِي) أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ (ت٦١٦هـ) ، تَحْقِيقُ : غَازِي مُخْتَار طُلَيْمَات ، دَارُ الفِكْرِ المُعاصِرِ، بَيرُوت، دَارُ الفِكْرِ، دِمَشْق ، مِنْ مَطْبُوعَاتِ مَرْكَزِ جُمْعَةَ المَاجِدِ لِلثَّقَافَةِ وَالتُّرَاثِ بِدُبَي ، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م .

- لِسَانُ العَرَبِ : (ابْنُ مَنْظُورٍ) أَبُو الفَضْلِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُكَرَّمٍ الإِفْرِيقِيُّ المِصْرِيُّ (ت٧١١هـ) ، دَارُ صَادِرٍ ، بَيْرُوتُ ، (لا. ت) .

- مَا تَلْحَنُ فِيهِ العَامَّةُ : (الكِسائِيُّ) أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الكِسائِيُّ (ت١٨٩هـ) ، تحقيق : الدكتور رَمَضان عَبدِ التَّوابِ ، مكتبَةُ الخانْجِي ، القَاهِرَة ، ودار الرِّفاعِي ، الرِّياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.

- المَبْسُوطُ في القِراءَاتِ العَشْرِ : (ابْنُ مِهْرانَ) أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ بْنِ مَهْرانَ الأَصْبَهانِيُّ (ت٣٨١هـ) ، تَحْقِيقُ : سُبَيْع حَمْزَةَ حَاكِمِي ، مَطْبُوعاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ، دِمَشْقُ ، ط١ ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

- المُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَاذِّ القِرَاءَاتِ وَالإيضَاحِ عَنْهَا : (ابْنُ جِنِّي) أَبُو الفَتْحِ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي (ت٣٩٢هـ) ، تَحْقِيقُ : عَلِي النَّجْدِي نَاصِف، و الدكتور عَبْدِ الحَلِيمِ النَّجَّارِ، والدكتور عَبْدِ الفَتَّاحِ إِسْمَاعِيل شَلَبِيّ، طَبْعَةُ المَجْلِسِ الأَعْلَى لِلشُّؤُونِ الإسْلَامِيَّةِ ، القَاهِرَة ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

- المُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ : (ابْنُ الأَنْبَارِيِّ) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ القَاسِمِ (ت٣٢٨هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّد عَبْد الخَالِقِ عُضَيْمَة ، مَطْبُوعَاتُ المَجْلِسِ الأَعْلَى لِلشُّؤُونِ الإسْلَامِيَّةِ ، القَاهِرَةُ ، ط١ ، ١٤٠١-١٤١٩هـ = ١٩٨١-١٩٩٩م.

- المُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ : (الفَرَّاءُ) أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ (ت٢٠٧هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور رَمَضَان عَبْدِ التَّوَّابِ ، مَكْتَبَةُ دَارِ التُّرَاثِ ، القَاهِرَةُ ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

- مَعَانِي الحُرُوفِ : (الرُّمَّانِي) أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِي النَّحْوِيُّ (ت٣٨٤هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور عَبْدِ الفَتَّاحِ إِسْمَاعِيل شَلَبِي ، دَارُ الشُّرُوقِ ، جُدَّة ، ط١ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

- مَعَانِي القُرْآنِ : (الفَرَّاءُ) أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ (ت٢٠٧هـ)، تَحْقِيقُ : أَحْمَد يُوسُف نَجَاتِي، وَمُحَمَّد عَلِي النَّجَّار، مَطْبَعَةُ دَارِ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ ، القَاهِرَةُ، ط٣، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

- مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ : (الزَّجَّاجُ) أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ (ت٣١١هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور عَبْد الجَلِيلِ عَبْده شَلَبِي ، عَالَمُ الكُتُبِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

- مُعْجَمُ الأُدَبَاءِ (إِرْشَادُ الأَرِيبِ إِلَى مَعْرِفَةِ الأَدِيبِ) : (يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ) أَبُو عَبْدِ اللهِ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ (ت٦٢٦هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور إِحْسَان عَبَّاس، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ ، بَيْرُوت ، ط١، ١٩٩٣م.

- مُعْجَمُ البُلْدَانِ : (يَاقُوتُ الحَمَوِيُّ) أَبُو عَبْدِ اللهِ يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللهِ (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

- مُعْجَم مَا اسْتَعْجَم مِنْ أَسْمَاءِ البِلَادِ وَالمَوَاضِعِ : (البَكْرِي) أبو عُبَيْدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ البَكْرِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ (ت٤٨٧هـ) ، تَحقِيق : مُصْطَفَى السَّقَّا ، عالَم الكُتُبِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥م.

- مُغْنِي اللَّبِيبِ عَنْ كُتُبِ الأَعارِيبِ : (ابْنُ هِشَامٍ الأَنْصارِيُّ) جَمالُ الدِّينِ عَبْدُ اللهِ بْنِ يُوسُفَ (ت٧٦١هـ)، تَحْقِيقُ : الدكتور عَبْدِ اللَّطِيفِ مُحَمَّد الخَطِيب، المَجْلِسُ الوَطَنِي لِلثَّقافَةِ وَالفُنُونِ وَالآدابِ، الكُوَيت، ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

- مَفاتِيحُ الأَغانِي فِي القِراءَاتِ وَالمَعانِي : (أَبُو العَلاءِ الكَرْمانِيُّ) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي المَحاسِنِ بْنِ أَبِي الفَتْحِ (ت بعد٥٦٣هـ)، تَحْقِيقُ : الدكتور عَبْدِ

الكَريمِ مُصْطَفَى مُدْلِج ، دَارُ ابْنِ حَزْمٍ ، بَيرُوت ، ط١، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

- مَفَاتِيحُ الغَيْبِ ، أو التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ : (الرَّازِي) مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الحُسَيْنِ التَّيْمِيُّ البَكْرِيُّ (ت٦٠٤هـ) ، دَارُ الفِكْرِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ ، بَيْرُوت ، ط١ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

- المُفْهِمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ : (القُرْطُبِيُّ) أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ القُرْطُبِيُّ (ت٦٥٦هـ) ، تَحْقِيقُ : مُحْيِي الدِّينِ دِيب مِسْتُو ، وَآخَرِينَ ، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ ، دِمَشْقُ ، ودَارُ الكَلِمِ الطَّيِّبِ ، دِمَشْقُ ، ط١ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

- المَقَاصِدُ الشَّافِيَةُ فِي شَرْحِ الخُلَاصَةِ الكَافِيَةِ : (الشَّاطِبِيُّ) أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى (ت٧٩٠هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيم البَنَّا ، مَطْبُوعَاتُ جَامِعَةِ أُمِّ القُرَى ، مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ ، ط١ ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- مَقَايِيسُ اللُّغَةِ : (ابْنُ فَارِسٍ) أَبُو الحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ بْنِ زَكَرِيَّا (ت٣٩٥هـ) ، تَحْقِيقُ : عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّد هَارُونَ، دَارُ الفِكْرِ، بَيْرُوت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

- المُقْتَضَبُ : (المُبَرِّدُ) أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ المُبَرِّدُ (ت٢٨٥هـ)، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدِ عَبْدِ الخَالِقِ عُضَيْمَة، طَبْعَةُ المَجْلِسِ الأَعْلَى لِلشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ ، القَاهِرَةُ ، ط٣، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

- هَمْعُ الهَوَامِعِ فِي شَرْحِ جَمْعِ الجَوَامِعِ : (السُّيُوطِيُّ) جَلَالُ الدِّينِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت٩١١هـ)، تحقيق : الدكتور عَبْد العَالِ سَالِم مكرم ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ ، بَيْرُوت ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
- الوَافِي بِالوَفَيَاتِ : (الصَّفَدِي) صلاحُ الدِّينِ بْنُ أيبك (ت٧٦٤هـ) ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ : (ابْنُ خِلِّكَان) أَبُو العَبَّاسِ شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ (ت٦٨١هـ) ، تَحْقِيقُ : الدكتور إِحْسَان عَبَّاس ، دَارُ صَادِرٍ ، بَيْرُوت ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

التقرير السنوي للمجمع العلمي لسنة ٢٠١٣

أسس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧ ثم أعيد تشكيله بموجب القانون ذي الرقم ٤٩ لسنة ١٩٦٣ وبعدها صدر قانون المجمع العلمي الكردي رقم ١٨٣ لسنة ١٩٧٠ وقانون مجمع اللغة السريانية رقم ٨٢ لسنة ١٩٧٢ وبالنظر لأهمية التنسيق والتكامل بين المؤسسات العلمية المتخصصة وذات المهمات المتشابهة ، ولما دلت علية تجربة المرحلة السابقة من بعثرة الجهود والطاقات والخبرات لتعدد المجامع العلمية للوطن الواحد فقد ارتئي وضع أطار تنظيمي موحد لهذه المجامع بما يؤمن التنسيق والتكامل فيما بينها مع الحفاظ على الغايات الوطنية العليا الأساسية التي قامت من اجلها المجامع السابقة ، وأعيد تشكيله بموجب (قانون المجمع العلمي العراقي ذي الرقم ١٦٣ لسنة ١٩٧٨) ، ثم أعيد تشكيله عند صدور قانونه ذي الرقم ٣ لسنة ١٩٩٥ باسم (المجمع العلمي) للنهوض بالمجمع وتحديد مسيرته العلمية .

وقد نصت المادة الأولى منه على أن (المجمع العلمي) مؤسسة ذات شخصية معنوية واستقلال مالي وأداري ، وكان يرتبط بديوان الرئاسة المنحل وارتبط بعد ذلك بمجلس الوزراء استنادا إلى كتاب مجلس الوزراء ذي العدد م.خ/٥/١٨١٦ في ٢٠٠٤/٨/٢٢ .

أولا : أهداف المجمع

١- المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على تنميتها ووفائها لمطالب العلوم والآداب والفنون .

٢- الإسهام الفاعل في حركة التعريب ، ووضع مصطلحات العلوم والآداب والفنون والحضارة .

٣- أ : المحافظة على سلامة اللغة الكردية والعمل على أنمائها ووفائها بمطالب الحياة وتنقيتها من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية ويستعاض عنها بمفردات من اللغة العربية كلما يتطلب الأمر ذلك .

ب : المحافظة على سلامة اللغة السريانية والعمل على أنمائها وحفظ التراث السرياني .

٤- أحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون .

٥- العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته وتراثه .

٦- النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمواكبة التقدم العلمي في العالم .

٧- تشجيع وتعضيد التأليف والبحث في العلوم والآداب والفنون .

٨- ترجمة أهم ما يصدر عن كتب وبحوث باللغات الأجنبية .

٩- رصد الكتابات غير النزيهة التي تتعرض لتراث الأمة ومقاومتها ومناقشتها بأسلوب علمي رصين وتأمين نشر ذلك على الرأي العام .

١٠- التعاون مع المؤسسات المعنية بشؤون الثقافة والفكر على تسمية أهم المؤلفات العربية الرصينة لترجمتها إلى اللغات الأجنبية .

١١- أقامة صلات ثقافية مع جهات الاستشراف مؤسسات وأفرادا .

٢٤- أقامة الصلات بالمجامع العلمية واللغوية والمؤسسات العلمية الثقافية في البلاد العربية والأجنبية .

ويتخذ المجمع العلمي الوسائل الملائمة لتحقيق أهدافه ولا سيما ما يأتي :

١- وضع معجمات وموسوعات علمية ولغوية .

٢- تحقيق الكتب والوثائق القديمة ونشرها .

٣- نشر الكتب والدراسات والرسائل الجامعية والتعاون مع الجهات المعنية بهذا المجال .

٤- إصدار المجلات والنشرات .

٥- أقامة مؤتمرات قطرية وعربية ودولية وعقد ندوات ومواسم ثقافية .

٦- أمداد وسائل الأعلام بالمادة العلمية والثقافية المفيدة في توجيه الرأي العام .

٧- تحديد أهم محاور التقدم في العالم للإفادة منها في التطوير والتنمية .

٨- أنماء مكتبة المجمع العلمي وتحديث أساليبها ، وتطوير شؤون الطباعة والنشر فيه .

ثانيا : يتألف المجمع العلمي من :

أ - أعضاء عاملين لا يقل عددهم عن خمسة وعشرين ولا يزيد على سبعة وثلاثين بضمنهم رئيس المجمع .

ب- أعضاء مؤازرين .

ج- أعضاء شرف .

وللمجمع العلمي أمين عام متفرغ بدرجة خاصة للأشراف على سير الأعمال الإدارية والمالية في المجمع ويمارس الصلاحيات الممنوحة له بموجب القانون .

ثالثا : للمجمع العلمي دوائر علمية لتنمية أموره العلمية والثقافية وهي :

١- دائرة علوم اللغة العربية.

٢- دائرة اللغة الكردية.

٣- دائرة اللغة السريانية.

٤- دائرة التراث العربي والإسلامي.

٥- دائرة العلوم الإنسانية.

٦- دائرة العلوم الصرفة .

٧- دائرة العلوم التطبيقية .

٨- دائرة المصطلحات والترجمة والنشر .

رابعا : يكون للمجمع العلمي أقسام لإدارة شؤونه هي :

أ- مكتب رئيس المجمع

ب- قسم الإدارية والأفراد

ج- قسم الحسابات

د- قسم الأعلام والعلاقات العامة

هـ- قسم المكتبة

و- قسم المطبعة

ز- قسم الخدمات العلمية والفنية

ح- قسم الشؤون الهندسية

ط- قسم الرقابة والتدقيق الداخلي (أضيف استنادا إلى المادة ٢٣ من قانون المجمع ذي الرقم ٣ لسنة ١٩٩٥ م).

أولا : مكتب رئيس المجمع

١- نقل توجيهات معالي رئيس المجمع فيما يخص توزيع المهام والمسؤوليات لرؤساء الأقسام .

٢- التبليغ عن مواعيد عقد الاجتماعات الدورية الاستثنائية لرؤساء الأقسام .

٣- تهيئة مستلزمات رئاسة المجمع .

٤- تسليم البريد وحفظة في السجلات وتوزيعه بحسب العائدية .

٥- متابعة القرارات في الكتب الرسمية وبحسب هامش معالي رئيس المجمع .

٦- الأشراف على البريد السري والبريد العاجل من الدوائر العليا .

٧- توثيق المراسلات بتصوير نسخه منها قبل أحالتها على الأقسام التي تخصها تلك المراسلات .

٨- متابعة المخاطبات الخاصة بأعضاء المجمع .

٩- تسليم طلبات العلامات التجارية من المواطنين ومنح تراخيص بالعلامة أو رفضها بعد إنهاء المعاملة الخاصة بذلك .

ثانيا : قسم الشؤون الإدارية والقانونية

شعبة الملاك :

١- أعداد سجل الملاك بحسب الدرجات الوظيفية والعناوين .

٢- متابعة ترفيعات الموظفين .

٣- عمل نظام الملاك على الحاسوب .

٤- مفاتحة وزارة المالية بشأن أجراء الحذف والأحداث للموظفين .

٥- إصدار الأوامر بتغيير العناوين الوظيفية لموظفي المجمع.

٦- أعداد الملاك السنوي والمصادقة عليه من قبل وزارة المالية .

٧- أعداد موازنة الملاك لكل عام .

٨- إصدار الأوامر الإدارية الخاصة بالترفيع بعد تنظيم استمارات الترفيع وتدقيق الأضابير .

٩- إدخال أسماء موظفي المجمع في برنامج موظفي الدولة بعد التحديثات عليه .

شعبة الأفراد :

١- متابعة شؤون الموظفين (الدوام / العلاوات السنوية) .

٢- أعداد سجلات جديدة لتنظيم عمل الموظفين .

٣- عمل نظام الصادر والوارد على الحاسوب .

٤- عمل نظام الأفراد على الحاسوب .

٥- انجاز المعاملات الرسمية من طبع الكتب وإرسالها إلى الدوائر المختصة .

٦- توزيع البريد الداخلي والخارجي وفتح سجل بذلك.

٧- متابعة الأجازات وحفظها ضمن سجلات خاصة.

٨- تنظيم هويات الموظفين وفتح سجل خاص بها.

٩- متابعة صحة صدور الوثائق الدراسية موظفي المجمع كافة.

((جدول ملاك موظفي المجمع المشغول))

الدرجة الوظيفية	مكتب الرئيس	الشؤون الادارية	الرقابة والتدقيق	الشؤون المالية	الشؤون الهندسية	الشؤون العلمية	المطبعة	المكتبة	الاعلام	العلوم الانسانية	المجموع
الاولى	–	٢	١	–	–	–	–	–	–	–	٣
الثانية	٢	١	٢	١	١	١	٤	٣	–	–	١٦
الثالثة	–	٥	–	–	–	١	–	٣	١	–	١٠
الرابعة	٣	٩	٢	٢	٣	–	١	٩	٢	١	٣٢
الخامسة	٢	١٧	–	٤	١	١٢	٢	٤	–	–	٤٢
السادسة	–	١٠	–	١	٢	٤	٤	٤	–	–	٢٥
السابعة	–	١٢	–	٢	١	–	٤	٥	–	١	٢٥
الثامنة	–	٦	–	–	١	–	٢	١	–	–	٩
التاسعة	–	٣	–	–	١	–	–	–	–	–	٤
العاشرة	٤	–	–	–	٢	–	–	–	–	–	٦
المجموع النهائي											١٧٢

((جدول ملاك موظفي المجمع المشغول))

الدرجة الوظيفية	المجموع
الاولى	٣
الثانية	١٦
الثالثة	١٠
الرابعة	٣٢
الخامسة	٤٢
السادسة	٢٥
السابعة	٢٥
الثامنة	٩
التاسعة	٤
العاشرة	٦
المجموع النهائي	١٧٢

شعبة التقاعد :

١- فتح سجل خاص بالموظفين وحسب الأعمار وسنوات الخدمة .

٢- إصدار الأوامر الخاصة بقرار تثبيت عمر الموظفين .

٣- انجاز المعاملات التقاعدية للمحالين على التقاعد .

٤- متابعة كافة التعليمات التي ترد إلى الشعبة وتنفيذها .

٥- أعداد دفاتر الخدمة الخاص بالموظفين .

شعبة الأرشيف :

١- فتح سجل خاص بكافة الأضابير الخاصة بالموظفين .

٢- تنظيم أضابير الموظفين وترقيمها وفهرستها حسب نظام الأرشفة والحفظ .

٣- حفظ الأوامر في الأضابير كافة حسب اضبارته .

الشعبة القانونية :

من مهام الشعبة القانونية في المجمع العلمي أقامة الدعاوى القضائية بين المجمع والجهات الأخرى ، ومتابعة الجلسات الخاصة وحضورها في المحاكم وإبداء الرأي القانوني في جميع الأمور التي تحال على الشعبة . من جميع الأقسام . وتدقيق العقود المبرمة بين المجمع والجهات الأخرى وتصديقها ، ومتابعة وتصديق السلف للموظفين وتصديقها حسب شروط المصارف . والمشاركة في جميع اللجان التحقيقية الخاصة بالدعاوى المقامة .

واللجان التحقيقية الخاصة بالشهادات المزورة . والتحقيقات الإدارية وفقا لقانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام بالرقم ١٤ لسنة ١٩٩١

للمخالفات القانونية أن وجدت في الدائرة وإمكانية أحالتها على القضاء أو الاكتفاء بالعقوبات الإدارية . الدخول في لجان فتح العطاءات في المناقصة الخاصة بالمشاريع الاستثمارية في المجمع وتحليلها.والتأكد من توفر الشروط القانونية فيها.

أبداء الرأي والمشورة القانونية والتحقيقات الخاصة بالسرقات واتخاذ القرارات الخاصة كالإحالة على المحاكم أو هيئة النزاهة أو العزل والاحتفاظ بالتضمين للمبالغ المستردة للمجمع .

الدعاوى المحسومة لعام ٢٠١٣

١- الدعوى المرقمة ١٨٢٤/ب/٢٠١٢ المقامة من قبل المجمع العلمي على شركة طريق الدر للمقاولات (مجهز مولدة) حيث قمنا بالاعتراض على القرار البدائي الصادر من محكمة بداءة الاعظمية والقاضي برد دعوة الفسخ مع التعويض أمام محكمة استئناف الرصافة بالرقم ٦٨٦/س٢/٢٠١٣ وصدر قرار من هذه المحكمة بالمصادقة على القرار البدائي وقمنا بتمييز هذه الدعوى أمام محكمة التمييز الاتحادية بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٧ ومازالت قيد المرافعة .

٢- الدعوى المرقمة ١٢٧/ب/٢٠١٣ المرفوعة من قبل المجمع على مطبعة الأجيال وحصولنا على مبلغ تعويضي عن ما فاتنا من كسب بسبب عدم تجهيزه للمكائن وفقا للفترة المتفق عليها .

٣- اللجان التحقيقية حيث قامت الشعبة القانونية بالحقيق مع المدعوة رباب جمعة فرج الموظفة في المجمع بتهمة تزوير شهادة وصدر قرار عزل بحقها .

شعبة الخدمات الإدارية :

١- تبديل لوحات تسجيل السيارات المنفيست إلى أرقام بغداد بيضاء جديدة .

٢- صيانة أسطح البناية وتنظيفها من الأتربة .

٣- نقل الأثاث من المخازن إلى الغرف .

٤- توزيع الأجهزة من المكاتب وحسب الحاجة .

٥- عمل جرد بالمستهلكات وجمعها في مكان واحد .

٦- الأشراف على تنظيف البنايات .

٧- تنظيف جميع الساحات العامة للبنايات .

٨- إدامة الحدائق في كافة البنايات .

٩- الأشراف على صيانة مطافئ الحريق .

١٠- صيانة منظومة إطفاء متحسسات لهب .

١١- وضع جرس إنذار مبكر عن الحريق في كل بناية .

شعبة الآليات

١- متابعة انتظام الخطوط الموظفين وبحسب المناطق الجغرافية .

٢- شراء سيارتين جديدتين .

٣- تجفيت عدد من السيارات وتهيئتها للعمل .

٤- تشكيل لجان فحص وصيانة السيارات وإدامة جميع السيارات العاطلة .

٥- توزيع السيارات حسب الحاجة الفعلية .

شعبة الصيانـة :

تقوم شعبة الصيانة بتنفيذ جميع الواجبات التي يكلف بها من رئاسة المجمع وما يحال عليها من قسم الشؤون القانونية والإدارية وبحسب ما مبين أدناه :

أولا : الأعمال الكهربائية

١- عمل التأسيسات الكهربائية أو أعادة تأسيسها في جميع أبنية المجمع .
٢- أعمال الصيانة الكهربائية الخاصة بمولدات المجمع وربطها بالمنظومة الكهربائية الرئيسة وتشمل قابلوات الربط في اللوحة الكهربائية الخاصة .
٣- الصيانة الدورية لمنظومة الاتصالات السلكية في المجمع .

ثانيا : الأعمال الميكانيكية والتدفئة والتبريد

١- الصيانة الدورية والفصلية لجميع أجهزة التدفئة والتبريد المركزية في المجمع وكذلك أجهزة التبريد المنفصلة .
٢- نصب أجهزة التبريد والتأكد من عملها وإعادة نصبها .
٣- صيانة جميع الأعطال الميكانيكية للمولدات .

ثالثا : الأعمال الإنشائية

١- نصب الأبواب الحديدية لأبنية المجمع ومداخلها الخارجية وتحكيمها وكذلك النوافذ الحديدية وأبواب الألمنيوم .
٢- صيانة الأبواب الخشبية وتصليح مفاتيحها وتبديلها .
٣- صيانة السقوف الثانوية في جميع بنايات المجمع .
٤- تبديل الزجاج المتضرر بزجاج مسلح في جميع أبنية المجمع .

٥- تبديل الكاربت المتضرر وفرش الجديد .

٦- نصب أبواب كهربائية عدد ٢ في مدخل البناية وكذلك تغليف الجدران بخشب MDF للاستعلامات الداخلية .

٧- عمل كتائب حديدية ونصبها في أماكن متفرقة من المجمع .

رابعا : الأعمال الصحية

١- صيانة خزانات الماء ونصبها، وربطها ضمن شبكة التأسيسات المائية للمجمع .

٢- صيانة شبكة أنابيب الماء كلما دعت الحاجة وتبديلها .

٣- صيانة مضخات الماء المتصلة بالخزانات ونصبها .

٤- معالجة تجمع مياه الأمطار في أسطح بنايات المجمع .

خامسا : كان لمنتسبي الشعبة مساهمة فاعلة وكبيرة في معالجة جميع الاضرار التي سببتها الامطار الغزيرة خلال السنة .

الحسابات / الموازنة الجارية

رقم الكشف	اسم الحساب	الاعتماد المرصود لعام ٢٠١٣	الاضافة	المجموع	المصروف	نسبة التنفيذ
٥	تعويضات الموظفين	٢٩٣٢٠٠٠٠٠٠	٢٦٥٤٢٣٨	٢٩٣٤٦٥٤٢٣٨	٢٦٠٤٢٥٣١٣٦	%٨٩
٦	المستلزمات السلعية	١٨٨٠٠٠٠٠٠		١٨٨٠٠٠٠٠٠	١٦٩١٩٥٤٨٠	%٩٠
٧	المستلزمات الخدمية	١٤٨٥٠٠٠٠٠		١٤٨٥٠٠٠٠٠	١٠٩٥٥٦٧٨٠	%٧٤
٨	صيانة الموجودات	١٠٦٥٠٠٠٠٠		١٠٦٥٠٠٠٠٠	٨٢٨٤٧٧٥٠	%٧٨
٩	الموجودات الثابتة	٤٢٠٠٠٠٠٠		٤٢٠٠٠٠٠٠	٣١٤٢٠٠٠٠	%٧٥
١٠	المنح	١٢٠٠٠٠٠٠		١٢٠٠٠٠٠٠	١٧٤٩٠	%١
١١	المصروفات الاخرى	١٢٧٠٠٠٠٠		١٢٧٠٠٠٠٠	١٠١٣٥٠٠٠	%٨
	المجموع	٣٥٥٦٠٠٠٠٠٠	٢٦٥٤٢٣٨	٣٥٥٨٦٥٤٢٣٨	٣٠٠٧٤٢٥٦٣٦	%٨٥

١- بلغت موازنة المجمع العلمي لسنة ٢٠١٣ (٣٥٥٦٠٠٠٠٠٠) ثلاثة مليارات وخمسمائة وخمسون مليون دينار .

٢- تمت اضافة مبلغ (٢٦٥٤٢٣٨) وذلك عن نقل رواتب ومخصصات السيد صفاء الدين سامي من موازنة الشركة العامة للتبوغ والسكائر الى موازنة المجمع العلمي ليصبح مجموع موازنة المجمع (٣٥٥٨٦٥٤٢٣٨) ثلاثة مليارات وخمسمائة وثمانية وخمسون مليون وستمائة واربعة وخمسين الف ومائتان وثمانية وثلاثون دينار .

وبلغت الايرادات كالاتي : -

اسم الحساب	سنة ٢٠١٣
الضريبة على دوائر منتسبي الدولة	٥٣٠٦٨٤٤
رسوم العلامة التجارية	١٧٨٠٠٠٠
خدمات الطبع والاستنساخ	٧٥٦٩٨٨
بيع مطبوعات وكراريس	٤٤٣١٣٩٧
الايرادات المتنوعة	٢٤٩٠١٠٠
المجموع	١٤٧٦٥٣٢٩

قسم الحسابات / الموازنة الاستثمارية

اسم الحساب	الاعتماد المرصود لعام ٢٠١٣	المصرف	نسبة التنفيذ
تاهيل وتطوير المجمع العلمي العراقي	١٣٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٢٢٦٦٠٠٠	١٠٪
المجموع	١٣٠٠٠٠٠٠٠٠	١٣٢٢٦٦٠٠٠	١٠٪

بلغت الموازنة الاستثمارية للمجمع العلمي لسنة ٢٠١٣ (١٣٠٠٠٠٠٠٠٠) مليار وثلاثمائة مليون دينار

رابعا : قسم الأعلام والعلاقات العامة

أهم نشاطات قسم الأعلام والعلاقات العامة خلال سنة ٢٠١٣ هي :

١- أقام المجمع العلمي احتفالية بمناسبة يوم اللغة العربية في ٢٠١٣/١٢/١٨، ألقى فيها الدكتور احمد مطلوب – رئيس المجمع العلمي – كلمة بالمناسبة وأقيم معرضا للكتب والمخطوطات بهذه المناسبة في أحدى قاعات المجمع العلمي .

٢- متابعة تجديد الاشتراك في الصحف والمجلات المحلية .

٣- طبع التقرير السنوي للمجمع العلمي لسنة ٢٠١٢ م بحسب توجيه السيد رئيس المجمع العلمي وتوزيعه على الأقسام الإدارية .

٤- تواصل إرسال المطبوعات إلى المجامع العربية والمؤسسات الثقافية داخل العراق وخارجه ، إذ بلغ عدد مطبوعات المجمع في سنة ٢٠١٣ أربعة عشر كتابا فضلا عن صدور ثلاثة أجزاء من مجلة المجمع العلمي (المجلد ٦٠) .

٥- التعاون مع العاملين والإعلاميين في وسائل الأعلام المختلفة لغرض عقد اللقاءات الصحفية مع السيد رئيس المجمع أو بعض مديري أقسام المجمع .

٦- متابعة ما يرد إلى المجمع العلمي عن طريق البريد الالكتروني من استفسارات ودعوات ومشاركات والإجابة عنها بحسب توجيه السيد رئيس المجمع العلمي .

٧- التعاون مع قسم المجلة والمطبعة في ترجمة ملخصات البحوث التي تنشر في مجلة المجمع العلمي .

٨- توزيع التقويم الخاص بالمجمع العلمي لسنة ٢٠١٤ الذي قام بتصميمه قسم الخدمات العلمية والفنية في المجمع على دوائر الدولة بحسب توجيه السيد رئيس المجمع العلمي .

٩- المتابعة مع قسم الخدمات العلمية والفنية لنشر ملخص وصور النشاطات الثقافية التي أقيمت في المجمع العلمي .

١٠- متابعة موضوع تخصيص ارض سكنية لموظفي المجمع العلمي (لبناء مجمع سكني) مع دائرة عقارات الدولة وأمانة بغداد .

خامسا : قسم المكتبة

١- بلغ عدد المطالعين والزائرين والباحثين (١٤١١) للمكتبة العربية والأجنبية والاطاريح (١٠٥) والمكتبات الشرقية (١٣٠) زائر ومكتبة المخطوطات (٦٥) زائر .

٢- الزيارات

أ- زار المكتبة وفد من العتبة العباسية واطلعوا خلال الزيارة على أجهزة المايكرو فلم والأجهزة الرقمية وعلى خزانة المكتبة ومكتبة المخطوطات بتاريخ ٢٠١٣/٤/٣ .

ب- زار مكتبة المجمع وفد من العتبة العلوية المقدسة (النجف الاشرف) واطلعوا على التطورات الحاصلة في المكتبة .

ج- زار وفد من الجامعة العراقية ، مكتبة المجمع واطلعوا على العمل في شعبة المخطوطات والمايكروفلم .

د- زار السيد (كاظم فاضل عباس) ممثل دار الكتب المجمع العلمي بتاريخ ٢٠١٣/٣/٣ .

هـ - زار مكتبة المجمع مجموعة من طلاب معهد الإدارة / الرصافة – قسم النظم والمعلومات مكتبة المجمع واطلعوا على جميع شعب المكتبة في تاريخ ٢٠١٣/٣/٥ .

و- زار وفد من أساتذة معهد الإدارة وطلابه / قسم المكتبات واطلعوا على العمل والتطورات الحاصلة في مكتبة المجمع العلمي بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٢ .

ز- زار مكتبة المجمع السيد (احمد الشلبي) رئيس اتحاد الناشرين العرب وقد أبدى إعجابه بالتطورات الحاصلة في المكتبة .

ح- الاستجابة لدعوة العتبة العباسية للاطلاع على مشاريع العتبة العمرانية والثقافية والمكتبة ودار المخطوطات في تاريخ ٢٠١٣/٤/٦.

٣- الدورات

أ- أقامة دورة بمشاركة العتبة العلوية المقدسة (النجف الاشرف) دورة أولى في صيانة الورق والوثائق التاريخية للفترة من ٢٦/٩-٢٠١٣/١٠/٤.

ب- أقامة دورة مكملة لدورة صيانة الورق والوثائق التاريخية وترميمها بمشاركة العتبة العلوية المقدسة (النجف الاشرف) في مستشارية الأمن الوطني في قاعة (النهرين) للفترة من٢٤-٢٠١٣/١١/٢٨.

٤- المعارض والنشاطات

أ- المشاركة في معرض بغداد الدولي الثاني للكتاب للفترة من ٢٠١٣/٤/٢٩ ولغاية ٢٠١٣/٥/٥ .

ب- اقامة معرض لمطبوعات المجمع والمخطوطات والكتب الحجرية بمناسبة اليوم العالمي لغة الضاد بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٨ .

٥- شعبة التزويد والاجراءات الفنية :

١- تم استلام (٩٦) امر اداري الى المكتبة .

٢- تم تحرير (٢٢) مذكرة داخلية .

٣- بلغ عدد المطالعين والزائرين الى المكتبة الالكترونية (١٣٥) زائر وتم طبع (١٢) CD ليزري .

٦- التبادل :

١ - تبادل الأشخاص :

* تم استلام عدد من المطبوعات من قبل د.علي مجدي علاوي .
* تم استلام عدد من المطبوعات من قبل السيد عبد الرزاق غافل الحميري .
* تم استلام مجموعة من المطبوعات من قبل السيد نجاة كوثر اوغلو .

٢- تبادل المؤسسات العلمية :

* مؤسسة زين .
* مكتبة الأمام محمد حسين كاشف الغطاء .
* ديوان الوقف السني .

* العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والفكرية والثقافية .
* العتبة العلوية المقدسة (النجف الاشرف) .
* ديوان الوقف الشيعي .
* مركز البحوث الإسلامية .

٧- **الاهداءات**

* عدد كتب الشكر/ الاهداء (١٣٤) كتاب .
* تم اهداء مخطوطتين الى جامعة واسط .
* تم استلام المكتبة الشخصية للدكتور (خلف رشيد نعمان) الى مكتبة المجمع بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢٣ والبالغ عدد الكتب فيها تقريبا (٧٩٥) مطبوعا عن طريق الاهداء .

تم استلام مكتبة الدكتور (حاتم صالح الضامن) والبالغ عدد الكتب فيها تقريبا (١٠٠٠٠) مطبوعا.

٨- **الشــراء**

* اقتنى المجمع العلمي / شعبة المخطوطات بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢٠ مجموعة من المخطوطات الأصلية التي تعود إلى مجموعة الشيخ (عبد الرحمن القره داغي) ابن الخياط والبالغ عددها (٣٨) مخطوطة أصلية منها نسخ فريدة و (٩) مجاميع من الأوراق والجذاذات أودعت في الحفظ وسوف يصدر كتاب من منشورات المجمع العلمي عن فهرسة هذه المجموعة (قيد الطبع) .
* اقتنى المجمع العلمي / شعبة المخطوطات بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢٠ مجموعة من المخطوطات المصورة والبالغ عددها (٣٦) مخطوطة .

* اقتنى المجمع العلمي / شعبة المايكروفلم بتاريخ ٢٠/٥/٢٠١٣ مجموعة من شرائح الزجاج والبالغ عددها (٣٤) .

٩- المراسلات

* متابعة البريد الداخلي والخارجي ومفاتحة المكتبات العربية والأجنبية بخصوص تبادل الكتب والخبرات .
* الاشتراك مع مكتبة المصطفى مجانا حيث نستطيع الاستفادة من هذا الموقع لتنزيل كتب ومخطوطات نادرة .

١٠- التثمين

تم تثمين (٤٢١) مطبوعا منها (٣٠٩) كتاب و (١٩٢) مجلة و (٤) رسالة جامعية و (١٥) جريدة (١٠٨) قرص ليزري .

١١- الفهرسة

* تم جرد الكتب في المكتبة العربية وتم الانتهاء من جميع الكتب .
* فهرسة وتصنيف الواردة إلى المكتبة عن طريق الإهداء والتبادل من الأشخاص والمؤسسات العلمية .
* فهرسة وتصنيف الكتب السريانية والبالغ عددها (٢٠٠) كتاب .
* إرسال الكتب المتضررة عن طريق الإدخال والإخراج نتيجة الاستعارة وإرسالها إلى وحدة التجليد والبالغ عددها (١٠٠٠) كتاب .

١٢- شعبة المعلوماتية والصيانة

*** وحدة الاستنساخ :**

١- الاستنساخ

أ- تم تصوير (١٩٩٠٣) ورقة بثمن للباحثين والطلبة من كتب ومخطوطات .

ب- تم تصوير (٣٨٩٣) ورقة متفرقة على سبيل الاهداء والتبادل.

ج- تم تصوير (٢٠٥٠) ورقة للأستاذ عبد الحميد الرشودي على سبيل الاهداء والتبادل .

١- مجلة المجمع الجزء الأول مع التجليد .

٢- مجلة المجمع الجزء الثاني مع التجليد .

٣- مجلة المجمع الجزء السادس مع التجليد .

٤- الجامع المختصر مع التجليد (من الأعداد النادرة) .

٥- جريدة الزوراء مع التجليد (من الأعداد النادرة) .

٢- وحدة التصوير

تم تصوير على جهاز (i_2s) من التسلسل (٣/٩٠٠ و٢/٨٠٠ و٧٠٠ و٦٠٠ و٥٠٠ و ٤٠٠ و ١٠٠و ٣/٣٠٠ و ٢/٢٠٠ وسجل الاطاريح وسجل و(٢٢٥٣) لقطة وتصوير الكتب النادرة الخاصة بمشروع تصوير الوثائق والكتب النادرة ب (١٧٨٩) لقطة .

وتم تصوير أضابير أعضاء المجمع العلمي وتصوير المخطوطات المصورة (٤٧٦٣) لقطة والمجلات (٣٧٥٩) لقطة والكتب (٤٥٧٦) لقطة بمشروع تصوير الوثائق والكتب .

٣- وحدة المايكرو فلم

تم طبع افلام (مايكروفلم) بجهاز الدبلكيتر (جهاز طبع الافلام) وعددها (٢٠) فلم على سبيل الاهداء والتبادل ويضم (١٥٠) عنوان كتاب نادر ومخطوط بمختلف الموضوعات .

وتم تحميض (٩) افلام من الوثائق والكتب النادرة وتصوير على جهاز المايكروفلم (١٤١٣٠) لقطة ولمشروع حفظ الوثائق وتم تحويل فلم (مايكروفلم) الى الحاسبة بصيغة (jpg) على جهاز مينولتا (١٠٥٠) لقطة .

٤- وحدة الصيانة

تجليد الكتب للمكتبة العربية (٢٦١) كتاب والنوادر (٥٣) كتاب سجلات للحسابات وسجلات أخرى (٤٠) وعمل نماذج صناديق بأحجام مختلفة للكتب والجرائد .

٧٠/٥٠ ٤٥/٣٥ ٤٠/٢٦ ٣٢/٢٢

وتم تحويل فلم (مايكروفلم) الى الحاسبة بصيغة (jpg) على جهاز مينولتا (١٠٥٠) لقطة .

سادسا : قسم المطبعة

١- الكتب المنجزة مع مجلة المجمع العلمي وعددها (١٤) .

٢- المطبوعات الإدارية لأقسام المجمع وعددها (٦) .

٣- طبع التقويم السنوي للعام ٢٠١٤ باسم المجمع العلمي .

٤- الانتهاء من انجاز طبع جميع الكتب الواردة إلى المجمع .

٥- تم معالجة الطبع الملون داخل المجمع بدلا من السوق المحلية بعد شراء الطابعة الرقمية .

٦- تم معالجة عمل مونتاج الملازم بعد الاستعانة بمنتسبي المجمع بدلا من المتعهد الخارجي وحسب توجيه الرقابة المالية .

سابعا : قسم الشؤون العلمية

١- الصيانة الدورية لمنظومة الانترنت الخاصة بالمجمع العلمي ومتابعة تجديد الاشتراك في خدمة الانترنت للمجمع .

٢- صيانة أجهزة الحاسوب الموجودة في كافة أقسام المجمع العلمي .

٣- التعاون مع قسم المطبعة في طبع وتنضيد بعض الكتب التي تطبع في المجمع العلمي .

٤- تصميم وتنفيذ تقويم عام ٢٠١٤ .

٥- تصميم مطوية لمعرض الكتاب الذي أقيم في معرض بغداد الدولي .

٦- متابعة عمل أنظمة الأفراد والصادر والوارد على أجهزة الحاسوب في قسم الشؤون الإدارية .

٧- تقديم دورة تدريبية في الحاسبة لبعض منتسبي قسم الشؤون الإدارية لتطوير مهاراتهم في استخدام أنظمة هذا الجهاز .

٨- إدخال أعداد المجلة الصادرة في عام ٢٠١٣ على جهاز السكنر (الماسح الضوئي) ونشرها في الموقع الرسمي للمجمع .

٩- المشاركة في اللجان التي تشكل في المجمع .

١٠- إصدار التخاويل الخاصة بسيارات المجمع العلمي .

١١- تحديث الموقع الرسمي للمجمع العلمي حيث تم نشر ملخص وصور عن النشاطات الثقافية التي أقامها المجمع والنشاطات التي شارك فيها خارج المجمع ، وكذلك نشر عناوين وملخص عن آخر الإصدارات والمطبوعات وغير ذلك .

١٢- العمل على نظام إحصاء السيارات الموحد والمقدم من وزارة التخطيط .

١٣- المشاركة في الدورات والمؤتمرات العلمية والثقافية التي تقيمها مؤسسات الدولة الأخرى .

١٤- العمل على بناء نظام أرشفة لقسم الشؤون الهندسية حيث تم انجاز جزء منه .

١٥- الإجابة على المذكرات والكتب الواردة إلى القسم ومتابعة ما جاء فيها من تعليمات .

ثامنا : قسم الشؤون الهندسية

أولا : أنجز القسم بالتعاون مع شعبة العقود ودوائر المهندس المقيم ما يأتي :

١- تهيئة كتب الإحالة وأعداد العقود بالتنسيق مع شعبة العقود ، علما أن المجمع العلمي ابرم عقدا واحدا خلال هذا العام من تخصيصات الخطة الاستثمارية وهو (أنشاء سياج جانبي للمجمع) أحيل على المقاول أيسر ياسر طه بمبلغ (٣٠٣٢٥٠٠٠) بتاريخ ٢٠١٣/٩/١١، وانتهى العمل بالمقاولة بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٨.

٢- مراجعة وزارة التخطيط (دائرة الاستثمار الحكومي ،ودائرة تخطيط القطاعات ، ودائرة العقود الحكومية) لغرض تزويدهم بالبيانات المطلوبة عن مدى تنفيذ المشاريع.

٣- الإجابة عن استفسارات ديوان الرقابة فيما يتعلق بمشاريع الخطة الاستثمارية .

٤- الأشراف على تسليم مشروع تأهيل وإضافة طابق إلى بناية ابن الهيثم تسلما نهائيا من شركة طريق البادية .

ثانيا: انجازات أخرى

١- متابعة استملاك المجمع لقطعة ارض سكنية وقد جرى فرز القطعة المحددة وترقيمها خلال هذه السنة، وجاري العمل على متابعة الإجراءات الإدارية المتعلقة بالاستملاك .

٢- الإسهام الفاعل لمنتسبي القسم في لجان منها : لجنة المدد والكشوفات الإضافية ، لجنة الاعتراضات ، لجنة صيانة الأبنية ، لجان أعداد الخطة السنوية .

٣- القيام بصيانة أسطح بنايات المجمع .

٤- الأشراف على معالجة تسرب المياه في مخزن الكتب .

٥- الأشراف على صيانة الحدائق وترتيبها وتشجيرها .

٦- الأشراف على التدريب الصيفي لعدد من طلبة معهد الفنون التطبيقية .

٧- أنشاء حمامات في الجناح الرئيسي لبناية ابن الهيثم .

تاسعا : قسم الرقابة والتدقيق الداخلي

قام القسم بما يأتي :

١- تدقيق مستندات الصرف قبل الصرف وإبداء الملاحظات الفنية والقانونية كلما تطلب الأمر .

٢- تدقيق مستندات التسوية القيدية والمصادقة عليها وبيان الرأي والملاحظات عليها .

٣- تدقيق رواتب منتسبي المجمع شهريا .

٤- المشاركة في اللجان التي تشكل في المجمع .

٥- أعداد وتدقيق كشف المصرف الشهري .

٦- تدقيق الحسابات الختامية الخاصة بالمجمع بعد أعدادها من الشؤون المالية وقبل إرسالها إلى ديوان الرقابة المالية .

٧- المشاركة في لجان أعمال المشاريع الاستثمارية التي تقام في المجمع حاليا .

٨- في النية أقامة دورات للكوادر المالية والتدقيق والإدارية .

٩- تنفيذ أي تكاليف أو توجيه يتم من معالي رئيس المجمع العلمي .

عاشرا : شؤون المجلة

قامت شعبة المجلة بمتابعة البحوث المقدمة إلى هيئة تحرير مجلة العلمي لنشرها ضمن المجلد الستين ثم إرسالها إلى المقومين العلميين واللغويين لإبداء الملاحظات أن وجدت ومتابعة تدقيق وتصحيح طبع البحوث في مطبعة المجمع العلمي .

١- البحوث التي نشرت في المجلد الستين لسنة ٢٠١٣م هي :

الجزء الأول :

١- التعليم التقني في دول الخليج العربي

الدكتور داخل حسن جريو

٢- كعب بن زهير بين الغربة والانتماء في نصه الشعري

الدكتور عبد الرزاق خليفة محمود

٣- الوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها عند البلخي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

٤- لامية تأبط شرا بين الطبع الصنعة

الدكتور طارق ساجر أمين

٥- التعليم الالكتروني وإمكانية توظيفه في مؤسسات التعليم العالي العراقي

أيمان عبد اللطيف عبد الرحمن

محمود عبد الله عطية

الدكتورة لمياء حسين المولى

٦- ريادة البصرة في تنوع طرائق التدريس والمخرجات

الدكتور عبد الحسين احمد

٧- البلاغة والأسلوبية (التجاذب والتنافر)

الدكتور لطيف يونس حمادي

٨- إصدارات المجمع العلمي

أخلاص محيي رشيد

الجزء الثاني :

الجزئيين الثالث والرابع

٢- تم تدقيق وتصحيح كتاب كل من

أ - الدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي

ب- الدكتور محمود الحاج قاسم بتكليف من رئاسة المجمع العلمي وبالتعاون مع قسم المطبعة

٣- متابعة الشؤون المالية للباحثين الذين ينشرون بحوثهم في المجلة والخبراء والمقومين الذيم يقومون بتدقيق البحوث علميا ولغويا.

٤- التواصل مع الباحثين عبر شبكة المعلومات (الانترنت) لمتابعة نشر بحوثهم من عدمها .

القيام بإعمال التنضيد الطباعي لبحوث المجلة والأشراف على تصميمها وترتيب موادها ، وكذلك الأشراف على التصحيح الطباعي لها وتدقيقها لغويا .

وقامت الشعبة بتنضيد كتاب الدكتور احمد مطلوب ((بكائية نقدية)).

مديـرو الأقسـام

١- هادي محمد نجم	مكتب رئيس المجمع
٢- فارس يحيى عبد المجيد	الشؤون الادارية والقانونية
٣- عائد احمد جواد	المالية
٤- جوان محمود هياس	المكتبة
٥- غادة سامي عبد الوهاب	الاعلام والعلاقات العامة
٦- علي خليل	المطبعة
٧- نزيه عبد السلام	الشؤون العلمية والفنية
٨- طه كامل حمد	الشؤون الهندسية
٩- عبد الاله نجم سهيل	الرقابة والتدقيق الداخلي
١٠- اخلاص محيي رشيد	شؤون المجلة

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

٢/ ٢/ ٢٠١٤

Diagnosis of Nature and Projection in the Poetry of Ibn Khafajah

Dr. Nojoud Attallah Alhawamdeh
Jarash University - Jordan

Abstract:

The Andalusian nature, with its charm, beauty and diversity, can be regarded as one of the factors that contributed to the formation of the phenomena of creativity and innovation in the Andalusian poetry, and particularly the poetry of Ibn Khafajah, which the research will deal with some of its creativity phenomena.

Among the notable manifestations of creativity in the poetry of Ibn Khafajah is *the image*. The image is at the forefront of innovation phenomena of the poem, due to its ability to embody the imagination of the poet, flexibility in expressing his inner feelings, portraying his self-experience, as well as the beauty that spreads in the poem. The image in the poetry of Ibn Khafajah has such influence in the formation of the phenomena of

creativity; in fact it has artistic merits, which enabled it to give Ibn Khafajah the advantage of being a poet.

The first of these advantages is that it is often colored with natural colors, which give it the ability to infer and excite. The color of the image contributes to the highlighting of the diagnosis which fills the poet's image. The color, which coats the phenomenon of movement, vitality and activity that accompany the diagnosis, gives the image transparency that offer a truly unique potential additive to express what it entails of implications and signals.

If it is allowed for this colorful diagnosis to be paired with meanings (projection), which sometimes Ibn Khafajah does deliberately, it will be at an artistic level which has more ways to impress, influence and fascinate. This is one of the functions of creative art.

Study of the Sources and Kinds of Food and Drinks in the Arab Islamic Heritage

Nabeela Abdul Muni'm Dawood
Center of Arabic Scientific Heritage Revival / Baghdad University

Abstract:

This research deals with the study of the sources and kinds of food in the Arab and Islamic heritage, where the art of cooking was considered a manifestation of the Arab Islamic civilization. These manifestations are many and various, and that they change and evolve according to times and places, and characterize according to the social, economic and cultural factors.

The Arab and Muslims were interested in this art so they wrote many good books in the art of cooking that enrich the Arab library with a good set of books in this field. The Arab realized that the art of cooking has a good effect in modifying moods and repair the bodies.

Pun in Banee Al-Ahmar Age

Dr. Ban Kadhum Makee
College of Education for Girls / The Iraqi University

Abstract:

This research (Pun in Banee Al-Ahmar Age) comes in the field of literary studies dealing with Andalusians' literature.

The researcher seeks to elucidate the picture of this phenomenon in their literary environment, and reveals it, which forms a new scientific addition in the literary studies that is worth studying.

The research has been divided (to get the aim of the study) to the doctrine of workmanship, the doctrine of workmanship in Banee Alahmar and Puns in the age of Banee Alahmar. It is divided to: first/ pun by quote from the Quran, second/ Book titles, third/ pun by some scientific and literary terms and fourth/ pun by mentioning of media scholars, readers and writers and puns in stanzas.

Health and Physical Care for Children in the Arab Islamic Medical Heritage

Dr. Mahmoud Al-Haj Kasim Mohemmed
Dr. Amer Aziz Jawad

Abstract:

Research objectives: to detect the preferred book of God Almighty (Quran) and the Sunnah in child's care, the most important rules of scientific and medical contributions of Arab and Muslim doctors and scientists in the health and physical care for children. The research includes the following:

The first section / child's care in the Holy Quran and the Sunnah

The second section / fetal care (care for the pregnant mother)

The third section / health and physical care for the newborn child in infancy. it includes: -

1 / Feeding of the newborn child: A / mother's milk, B/ Extra milk for the newborn, C / Extra food and weaning

2/ Physical care for the newborn child

3/ Diseases of the newborn child (causes and treatment)

4 / [illegible] of the child and the (psychological) care for him.

5 / [illegible] Development of the [illegible] born child

The fourth section / health care and growth development for the child during pre-school (3-6 years), it includes:

First / Child's health care: mentioned the diseases that affect children and their treatment in this age which were mentioned by Arab and Muslim scientists.

Second / The special therapy of children

Third / Physical care for children

The fifth section / Health and physical care for the child in primary school (7-12 years):

First / Diseases of children and their therapy

Second / Physical therapy for children

Third / Physical care for children

Conclusions: The interest in the welfare of children is a need to the development of people and societies, as well as being a basic human requirement. Whenever the society progresses and increases in urbanization, the interest in children increase also the aspects of care provided for their children. The researchers concluded the following:

1 / Quran and the Sunnah confirm the obligatory human rights of Muslims in the care of the child. There is no doubt that these verses and hadiths have been sources for many of the scientific views and medical, psychological, educational researches in the past and present time. The [illegible] religion took care of the children and enacted their rights that must be provided for their proper upbringing.

2/ The reader of the writings of Arab and Muslim doctors comes to an inevitable conclusion that they have gone in the correct scientific method in dealing with children's diseases. And the heritage of geniuses Arab and Muslim doctors still constitutes the essential parts of modern knowledge Pediatrics.

3 / Physical care is a necessary point urged by the Islamic religion. Parents must take care of their children and their physical health. Arab and Muslim scientists were interested by sport education which is legislated by Islam to activate muscles and strengthen the body and develop the will and self-reliance.

Arabic Language and the Challenges of Globalization

Prof. Dr. Ahmed Matloub
President of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

Contemporary man cannot follow the movements that appear from time to time. In the beginning of every decade, a movement appears that calls for a certain direction serves the interests of those who called for it, one of these movements is (Globalization), which called on the first to the unification of the global economy and the establishment of multinational companies, then turned to culture and related language, to make the world going about the culture and a known language that achieve the objectives of unipolar after the collapse of the Soviet Union.

This paper sheds light on the challenges of globalization and the language of the Koran and the [illegible] the Arab culture and publishing it [illegible] the danger is still [illegible], and that some [illegible] still [illegible] by [illegible].

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)



Journal Of the ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No.2

Vo2. 61

1435H - 2014

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٤م